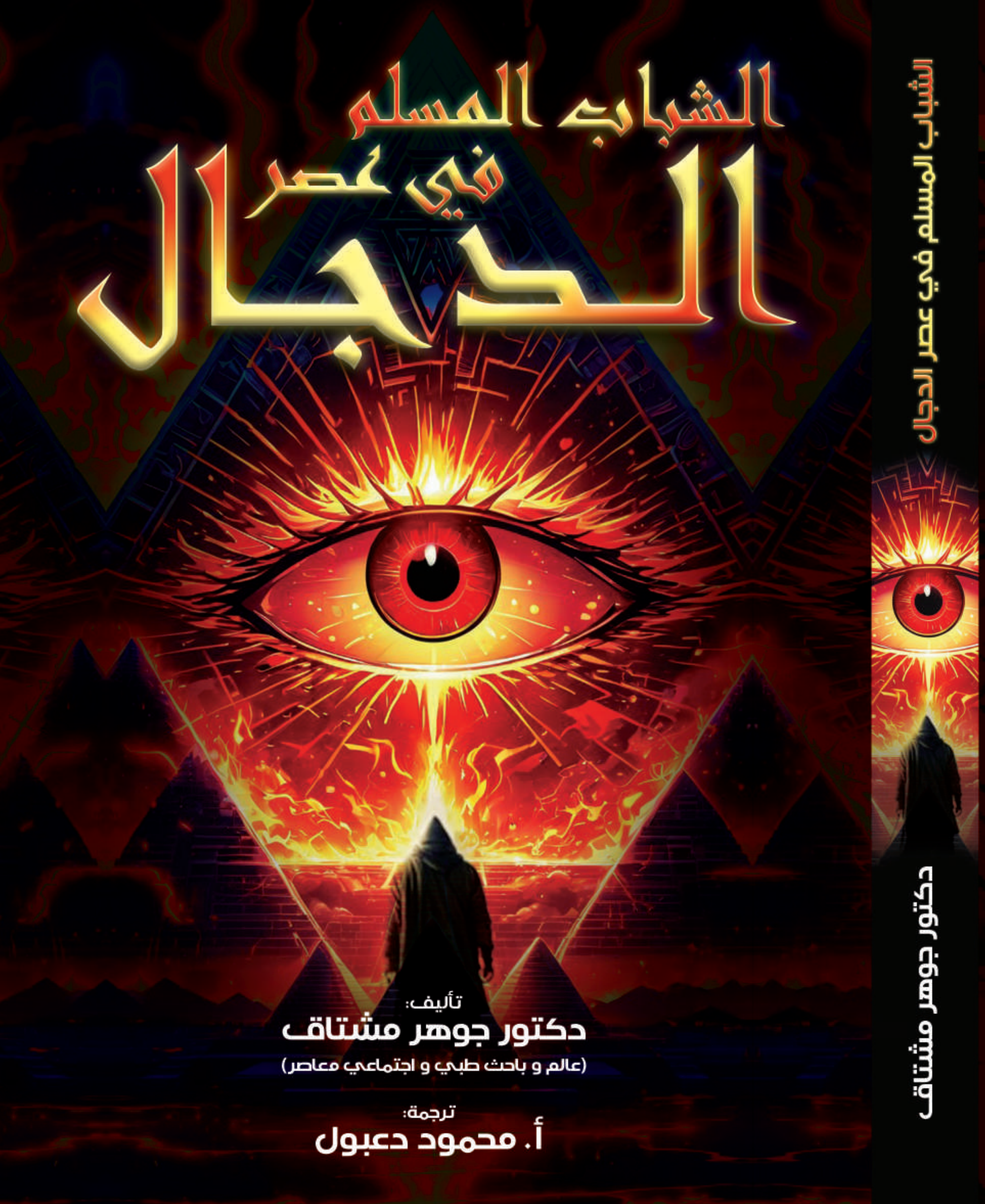


# الشباب المسلم في عصر الدجال

تأليف:

**دكتور جوهر مشتاق**

(عالم و باحث طبي و اجتماعي معاصر)

ترجمة:

**أ. محمود دعبول**

الشباب المسلم في عصر الدجال
دكتور جوهر مشتاق

# الشباب المسلم في

# عصر الدجال


**الدكتور جوهر مشتاق**

(عالم و باحث طبي و اجتماعي معاصر)


**ترجمة**

**أ. محمود دعبول**

# نبذة عن كتاب: شباب المسلم في عصر الدجال

اليومَ، وأكثرَ من أيِّ عصرٍ آخر؛ يقاتل الشَّباب المسلم بصعوبةٍ متزايدة، عملاءَ الدَّجَّال (المسيح الدَّجَّال).

إنَّ الطَّبيعة الإدمانيَّة لتكنولوجيا اليوم - من أجهزة "الآيباد" إلى "الهواتف الذَّكيَّة"- تضمَن تشبُّع الشَّباب وانبهارَهم بالأنشطة الفارغة في الأساس من المعنى، والخالية من الهدف.

وفي ضوءِ القرآن، والأحاديث الصَّحيحة، وأحدث الأبحاث العلميَّة؛ يستكشف المؤلِّف الشّهير الدكتور "جوهر مشتاق" القضايا الأكثرَ تهديدًا، والَّتي تواجه الشَّباب المسلم اليوم .

المواضيع التي يتناولها هذا الكتاب تشمل: المواقع الإباحيَّة والشَّباب المسلم، الشَّباب والاستماع إلى الموسيقا، الشَّباب المسلم والتَّعليم المختلط، الشَّباب ووسائل التَّواصل الاجتماعيّ، إدمان الفيسبوك، الشَّباب وصناعة الإعلان، الشَّباب والزَّواج المتأخِّر، الآثار اللَّاحقة عن

الخطوبة والمُواعدة واللِّقاءات قبل الزَّواج، ودور عيد الحُبِّ في تفكيك علاقات الحُبِّ، وغيرها كثيرٌ من المواضيع.

يوضِّح الدكتور "جوهر" الطَّرائق الَّتي يمكننا - في المجتمع - اعتمادها لإنقاذ شبابنا من هذه الإغراءات، وتوجيههم نحو حياة الإيمان، والتَّفاني في سبيل الله.

"الشَّباب المسلم في عصر الدَّجَّال" كتاب ينبغي قراءته للشَّباب، والآباء، والمعلِّمين، وقادة المجتمع، وأيِّ شخصٍ مهتمٍّ بمستقبل الشَّباب المسلم في العصر الرَّقْميّ.

# المحتويات

# مقدمة

الشباب هم العمود الفقري لأي مجتمع. وإذا كان الشباب يتمتعون بشخصية قوية ولهم هدف يسعون لتحقيقه، فإنهم يخلقون بذلك مجتمعًا مبنيًا على أسس قوية، وبناء مستقبلنا يتمحور على شباب اليوم. فالأمم تنهض على أكتاف شبابها المتحمس النشط. وما نعلمه لأجيالنا الشابة اليوم وكيفية تعاملنا معهم سيكون له أثر كبير على الغد. لكن من المؤسف أننا نرى اليوم الكثير من الشباب المسلم يسير على خطى الشباب الغربي غير المسلم فيمضون وقتهم ويهدرون طاقاتهم الإبداعية في مساع عبثية مثل ممارسة ألعاب الفيديو وتصفح الإنترنت ومشاهدة الأفلام وإضاعة وقتهم على مواقع التواصل الاجتماعي والتدخين ووسائل اللهو، على سبيل المثال لا الحصر، وغيرها الكثير. مع أن شبابنا المسلم لديه من الإمكانيات الهائلة ما يضج بالطاقة التي تحتاج إلى وضعها في قناة تسير في الاتجاه الصحيح.

إن عصرنا هذا هو عصر اضطراب الشباب المسلم لأنه عصر الدجال. فنتيجة لغسيل الأدمغة الذي تمارسه وسائل الإعلام، بتنا نرى اليوم حتى أعقل الشباب المسلم وأكثرهم أناةً قد اختلطت عليهم الأمور. هذا، وقد علمنا من أحاديث نبينا الحبيب محمد ﷺ أن آخر حملة للدجال ستتركز على نظام الأسرة المسلمة وهي حملة تشمل الشباب أيضـًا. لذا، فإن الغرض من هذا الكتاب هو إنقاذ نظام الأسرة المسلمة الذي يتعرض إلى هجمة مباشرة في عصر الدجال هذا، وموضوعه المشكلات التي تواجه الشباب المسلم وطرح حلول لها.

ليس الغرض من كتابة هذا الكتاب إنكار أهمية المسنين المسلمين بل تأكيد أهمية الشباب المسلم لأن منهم يتكون مستقبلنا. لذا، فالكتاب لم يكتب للشباب فقط بل وللكبار أيضـًا. إن الشباب المسلم في حاجة إلى الإرشاد والصبر والمعرفة والخبرة من آبائهم ومعلميهم وقادتهم في الدين. وأمر آخر يتعين عليَّ تبيانه هنا وهو أنني قدمت أحدث الأبحاث العلمية في هذا الكتاب كي أبين المحن والفتن التي تعترض شبابنا المسلمين. وقد فعلت ذلك لأن شبابنا يعيشون في عصر الاقتناع بالمعقولات، وكونهم يفتقدون إلى الإيمان، فهم يناقشون آباءهم عندما

يمنعونهم شيئًا ما. وشباب المسلمين اليوم يفهمون لغة العلوم وهي اللغة التي كتبت بها هذا الكتاب في حين حافظت على رجحان القرآن والسنة على أي شيء آخر. وعندما سألوا العالم الإسلامي الراحل الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن كيفية طلب العلم الشرعي وكيفية دعوة الآخرين إلى الإسلام أجابهم بما يأتي:

"وبهذه المناسبة أود لطلبة العلم أن يكون لديهم شيء من العلم بالمعقول. لماذا؟ لأن الناس الآن أصبح اقتناعهم بالمحسوس – لضعف إيمانهم – أكثر من اقتناعهم بالنظريات يعني بالأدلة الشرعية، والقصد من هذا أن أدعو إخواني طلبة العلم أن يكون لديهم علم بالمعقولات وبالعلل، وإذا شاءوا أن يصححوا ما أقول فلينظروا إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مقارعة الفلاسفة وأهل الكلام والمنطق وغيره يجدوا أن الرجل يتكلم بالدليل الشرعي، وبالدليل العقلي." (الصحوة الإسلامية)[1]

[1] الشيخ محمد بن صالح العثيمين (1426 هجري). "الصحوة الإسلامية: ضوابط وتوجيهات". صفحه 71. دار الوطن للنشر. الرياض.

# الفصل الأول

# الشباب المسلم في عصر الدجال

يمكننا أن نعد عصرنا الحديث هذا عصر الدجال. ولا نشك في أن الدجال سيكون إنسانًا يمتلك بعض القوى الخارقة وأنه سيظهر في آخر الزمان. وقد ورد في أحاديث النبي محمد ﷺ العديد من علامات ظهوره، التي هي في الأساس علامات آخر الزمان. وقد ظهر العديد من هذه العلامات بالفعل. لذا، فليس غريبًا أن نسمي عصرنا الحديث "عصر الدجال". وفتنة ظهور الدجال هي أكبر محنة يمر بها البشر. فقد رُوِي عن عِمرانَ بنَ حُصينٍ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

**"ما بَينَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيامِ السَّاعةِ أمرٌ أكبرُ مِنَ الدَّجَّالِ"**

(صحيح مسلم)[2]

---

[2] الراوي : هشام بن عامر، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم : 2946

والمسيح **الدجال** هو "المسيح المضلل"، أي **الدجال الأكبر** الذي تنبأ رسول الله ﷺ بمجيئه قبيل آخر الزمان في عدة أحاديث صحيحة. فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال:

**إني لَأُنْذِركُموه وَمَا مِن نَبيٍّ إِلّا قَد أَنذَرَهُ قَومَهُ، لقد أَنذَرَهُ نُوحُ قَومَه، ولكنْ سَأقُولُ لَكُم فِيهِ قَولاً لَم يَقُلْهُ نَبيُ لِقَومِهِ: تَعلَمُون أَنَّهُ أَعْوَرُ وأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَر.** (صحيح البخاري)[3]

وورد في رواية أخرى:

**ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ: إنَّ اللهَ لا يَخْفَى علَيْكُم، إنَّ اللهَ ليسَ بأَعْوَرَ - وأَشَارَ بيَدِهِ إلى عَيْنِهِ - وإنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ.** (صحيح البخاري)[4]

---

[3] الراوي : عبدالله بن عمر، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3057، كتاب الفتن وأشراط الساعة

[4] الراوي : عبدالله بن عمر، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 7407

كان صحابة النبي محمد ﷺ يحذرون كثيراً من فتنة الدجال، وكانوا دائما يتوقعون خروجه. ومما حصل فعلاً أنه عندما لقي النبي محمد ﷺ ابن الصيّاد (وكان أعور ما زال على الكفر حينها) وسأله عن بعض الأمور، غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ردود ابن الصيّاد، فقال لرسول الله ﷺ (يا رسول الله دعني أضرب عنقه) فقال النبي ﷺ (**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**) (صحيح البخاري)[(5)]

## وسائل الدجال في عصر الدجال

مما يؤسف له أن نرى المسلمين اليوم قد غفلوا كثيراً عن مجيء الدجال حتى أننا إن قلنا لهم إننا نعيش في عصر الدجال، لقال بعضهم: "لا، مازال زمانه بعيداً". إن لم يكن هذا عصر الدجال (وقد مضى أكثر من أربعة عشر قرنـاً على زمن الصحابة) فما هو هذا العصر إذاً؟

لقد تسللت وسائل الدجال اليوم إلى كل بيت من بيوت المسلمين على هيئة تلفزيون أو حاسوب أو انترنت أو تلغراف أو صحن فضائي أو كاميرات فيديو أو شبكات تواصل اجتماعي أو تطبيقات دردشة – وذلك على سبيل المثال لا الحصر. ووسائل الدجال هذه تهيئ الظروف لمجيء "المُضلِّ الكبير" – الدجال.

---

[5] الراوي : عبدالله بن عمر، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم : 1354، أيضـاً أخرجه مسلم (2930)

وبالفعل، إن هذه المرحلة مهيأة تماماً لظهوره، وما هي إلا مسألة وقت حتى يظهر الدجال الحقيقي بشخصه. وينبغي ألا نستغرب من غفلة مسلمي اليوم عن مجيء الدجال وإهمال الآباء المسلمين لوجود وسائله في منازلهم. فقد أنبأ نبينا محمد ﷺ في حديث له بحدوث هذا "الإهمال" واعتبره علامة من علامات عصر الدجال فقال ﷺ:

**لَا يَخرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتَّى تَتْرُكَ الأَئمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى المَنَابِرِ.** (مسند أحمد، مجمع الزوائد)[6]

وللعلم، إن هجوم الدجال الأخير سوف يقع على نظام الأسرة الإسلامي.

وحيث أنه لا يمكن للرجال وحدهم أن يُكوِّنوا أسرة وأن النساء والأطفال هم الذين يشكلون اللبنات الأساسية للأسرة، فسيجذب الدجال النساء إلى "شبكته" الخدَّاعة. وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما حديثاً جاء فيه أن آخر هجوم للدجال سيكون على النساء المسلمات:

**يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ – وادٍ في المدينة – فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ**

---

[6] الراوي: الصعب بن جثامة، المحدث: ابن كثير، المصدر:"جامع المسانيد والسنن"، الصفحة أو الرقم: 5261، خلاصة حكم المحدث: لا بأس بإسناده.

**وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ.** (مسند أحمد)(7)

يخبر نبينا الحبيب محمد ﷺ المسلمين، في هذا الحديث، أن إحدى علامات آخر الزمان هي أن آخر من يتبع الدجال من الناس هم النساء وأن فتنته ستطغى عليهن حتى أنه ليتعين على الرجل أن يرجع إلى منزله إلى والدته وابنته وأخته وعمته، ويتعين عليه أن يقيدهن (يوثقهن رباطًا) حماية لهن من غواية الدجال.

ويخبرنا هذا الحديث أن العديد من النساء المسلمات سوف ينخدعن بهذا "المُضل الكبير" لأنه سيغويهن بشعارات أخّاذة تبدو واقعية وجذابة للغاية، لكنها في الواقع مدمرة. وأصحاب النزعة النسوية (دعاة المساواة بين الجنسين) يستخدمون قوة الإغراء في وسائل الإعلام والأفلام لإقناع الشابات بالتخلي عن الحياء والعذرية. فهم يدَّعون عدم وجود فوارق بيولوجية بين الرجال والنساء، ولذلك يمكننا إنشاء مجتمع أحادي الجنس. وقد تحول في هذا العصر الإعلام

---

[7] الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: تخريج المسند أحمد لشاكر، الصفحة أو الرقم: 7/ 190، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

العالمي و"الأمم المتحدة" إلى "أمم متحدة معادية لنظام الأسرة الإسلامي".

وتعمل وسائل إعلام الدجال، تحت شعار "تحرير المرأة" الخادع، على إغراء النساء المسلمات بخلع حجابهن وترك مسؤولياتهن عن تربية أطفالهن ودخول سوق العمل. ومن الشعارات البراقة التي تستخدم لإغواء النساء: "المجتمع لا يمكن أن يتطور إن نحن حبسنا النساء داخل المنازل" و "النساء والرجال كعجلات السيارة، والسيارة لا تستطيع أن تسير إن تعطلت إحداها".

وقد أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ أنّ الدجال لن ينجب أطفالاً من صلبه. وهذا يدل على أن نمط الحياة التي يروج له الدجال سيكون "نمط حياة معاد للأسرة".

وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

**إنّه – الدجال – لا يولد له.** (صحيح مسلم)[8]

وإحدى سمات عصر الدجال البارزة هي أنه يستهدف شباب المجتمع وذلك أن الشباب يميلون إلى الانجذاب نحو شهوات الجسد. والدجال نفسه سيكون شاباً كما ورد في حديث النبي محمد ﷺ الذي رواه النواس بن سمعان:

[8] الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2927

**إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ، عَينُهُ طَافِئَةٌ.** (صحيح مسلم)[9]

وهذا قد يعني أن الدجال سيعزز ثقافة تمجيد الشباب ويروج لها في أنحاء العالم، وأن الشعور بالفضيلة عند الشباب سيضعف في عصر الدجال ما يجعلهم يدمنون على الإكثار من الزنا والتعود على نمط الحياة المادي. وفي عصر الدجال هذا، وَسَمَ الإعلام الغربي الإسلام بأنه "دين إرهاب"، وأصبح العيش كمسلم ملتزم أكثر صعوبة. وأصبح المسلم الملتزم يوصف بأنه "سلفي" و "متطرف". وصارت وسائل الإعلام تروج حالياً "للمسلم المعتدل" و "الإسلام المعتدل" وتمجده. وقد ساعد على تعريف "الإسلام المعتدل" في زمن الحداثة هذا علماء مسلمون حداثيون. وهذا "الإسلام المعتدل" هو النسخة "الجديدة والمعدلة" عن الإسلام وهي تختلف كثيراً عن الإسلام الحقيقي الذي تعلمناه من القرآن الكريم وسنة نبينا الحبيب محمد ﷺ والحقيقة أن مفهوم "الإسلام المعتدل" بحد ذاته ورم خبيث في جسد الأمة الإسلامية. والقرآن الكريم يصنف الناس في ثلاثة أصناف: (1) مؤمن (يؤمن حقاً بوحدانية الله)، (2) كافر (لا يؤمن بالله وبرسوله

[9] الراوي: النواس بن سمعان، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2937

محمد ز)، (3) منافق (مُراءٍ، في قلبه مرض وسيُلقى به في الدرك الأسفل من النار). والقرآن لا ينص على فرق بين "مسلم معتدل" و "مسلم متطرف"، بل يعلمنا أن المرء إن لم يكن مسلماً صادقاً فهو إما كافر أو منافق. وكذلك، ليس هناك مسلم لا يلتزم بدينه، ففي الإسلام يترافق الإيمان والأعمال الصالحة جنباً إلى جنب. ولا يكفي مجرد التصريح بالإيمان لفظاً، لأن الإيمان بالله يجعل طاعته لزاماً. ولكي تكون مسلماً فإن ذلك ينطوي على تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

يعيش شبابنا المسلمون اليوم في عصر الدجال هذا حيث ينتشر الشر ويعاني نظام الأسرة الإسلامي من خطر محدق. وقد يرتكب آباء اليوم المسلمون خطأ فادحاً إن هم ظنّوا أن أبناءهم الشباب سيبقون أبرياء طاهرين بعد أن تُعرض عليهم كل وسائل وأدوات ارتكاب المعاصي. والأسوأ من ذلك كله أنّ معظم الوقت الذي يمضيه عدد كبير من الشباب في تصفح وسائل الإعلام يكون في غياب آبائهم، وذلك ما أكده كُتّاب تقرير مؤسسة هنري كايزر للأسرة ( Henry Kaiser Family Foundation) عن الأطفال ووسائل الإعلام:

"في أغلب الأحيان لا يكون الآباء حاضرين عندما ينشغل أبناؤهم في أنشطة وسائل الإعلام، لذلك قد لا يدركون مقدار ما يستهلكه أبناؤهم من هذه الوسائل وما نوعها وما نوع محتواها وفي ظل أية ظروف."[10]

ونحن، كآباء مسلمين، لا يمكننا أن نتوقع نقاء القلب والعقل إن تركنا شبابنا يقضون وقتهم في تصفح مواقع البغاء المظلمة على الإنترنت. ولا يمكننا إنقاذ شبابنا المسلم من الوقوع في علاقات الحب الإلكترونية والوقوع ضحايا للجرائم الإلكترونية إن هم انغمسوا في مواقع التواصل الاجتماعي، ولا يمكننا أن نتوقع من بناتنا أن يلتزمن بالحجاب إن هنَّ أمضين وقتهن أمام كاميرات فيديو الإنترنت واستطاع رجال من غير المحارم رؤية أجسادهن على شبكات التواصل.

إن الغرض من كتابة هذا الكتاب هو أن نكشف للمسلمين الوجه الحقيقي لوسائل الإعلام ونظام وسائل الدجال حتى لا يقعوا في شركه.

---

[10] Roberts, D.F., Foehr, U.G., Rideout, V.J., and Brodie, M. (1999a). *Kids and media @ the new millennium.* Palo Alto, CA: Kaiser Family Foundation.

# المراحل المختلفة في حياة البشر

تمر حياة الإنسان في مراحل مختلفة في الفترة ما بين المهد واللحد. وتشمل رحلة البشر هذه من الرحم الى القبر الطفولة والصبا والشباب والبلوغ والشيخوخة. والله يقول في القرآن الكريم:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ

إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ

ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾ (سورة النحل: 70)

كتب العالم الإسلامي النيجيري المعاصر أبو بكر محمود جومي في تفسيره للقرآن **"رد الأذهان الى معاني القرآن"** ما يأتي:

"وفقا لبعض علماء الإسلام، يمكن تقسيم حياة الإنسان إلى أربع مراحل بعد الولادة. تبدأ المرحلة الأولى من الولادة وتمتد حتى سن الثالثة والثلاثين. وهذه الفترة من الطفولة إلى الشباب هي الفترة التي تزداد فيها قدراتنا الجسدية والعقلية كل يوم. والمرحلة الثانية تمتد من سن الثالثة والثلاثين إلى سن الأربعين، وهي مرحلة الرشد التي تنمو فيها قدرات الإنسان أكثر وتصل إلى ذروتها. وتعرف المرحلة الثالثة باسم الكهولة

أو منتصف العمر وتمتد من سن الأربعين إلى سن الستين وفيها تبدأ الملكات العقلية والجسدية في الانخفاض بوتيرة ثابتة. والمرحلة الرابعة والأخيرة هي مرحلة الشيخوخة وتمتد من سن الستين حتى الموت وفيها يكابد جسم الإنسان تدهوراً سريعـًا في قدراته ووظائفه ".[11]

## أهمية مرحلة الشباب

ذكرت مرحلة الشباب في القرآن وفي الأحاديث النبوية ذكراً خاصـًا.

ففي هذه المرحلة العمرية تبلغ قدرات الإنسان ذروتها، وفيها يسهل الانقياد لإغراءات الشيطان المختلفة. وقد عدَّ القرآن هذه المرحلة مرحلة قوة:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة الروم: 54)

[11] أبو بكر محمود الجومي الفقيه 1922 – 1993 [مؤلف] "رَد اَلأذهان إلى مَعَاني القُرآن". بيروت، مكتبة دار العربية. (1982).

وقد خص النبي ﷺ هذه المرحلة بالذكر في عدد من الأحاديث التي تشير إلى حساسيتها وأهميتها. ففي حديث (متفق عليه) رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر على وجه التحديد سبعة من الناس ينالون العزة ويستظلون في ظل عرش الله المجيد يوم القيامة:

**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ ...... وشاب نشأ في عبادة الله.** (متفق عليه)[12]

يخبرنا هذا الحديث عن الطبيعة الحرجة لفترة المراهقة التي تفيض بالإغراءات وأن أي شاب يقاوم هذه الإغراءات يستحق جزاءً خاصاً يوم القيامة. وفي حديث آخر أيضاً خص النبي ﷺ سن الشباب بالذكر، فقال:

**اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ**

---

[12] الراوي: أبو هريرة، المصدر: صحيح البخاري، التخريج: أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031)

**قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ.** (صحيح الترغيب و الترهيب)[13]

إن مرحلة الشباب مرحلة هامة في حياة الإنسان حتى أنه سيُسأَلُ يوم القيامة عن شبابه فيما أمضاه. هل قضاه في طاعة الله أم في عصيانه؟ يروي الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

**لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن أربعٍ عن عُمرِهِ فيما أفناهُ وعن عِلمِهِ ما عملَ بِهِ وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيما أنفقَهُ وعن شبابِهِ فيما أبلاهُ.**[14]

لا شك أن مرحلة الشباب غالبا ما تكون المرحلة التي يحاول فيها الناس إيجاد معنى جديد لحياتهم. وفي الواقع، فقد أبرَزَ علماءُ النفس وعلماء الاجتماع

---

[13] الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: 3355، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج : أخرجه الحاكم (7846)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (10248)

[14] الراوي: أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد، المحدث: الهيتمي المكي، المصدر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، الصفحة أو الرقم: 2/ 242، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الغربيون أهمية هذه الفترة الحرجة في تنمية شخصية الإنسان. كتب جوزيف شيلتون بيرس (Joseph Chilton Pearce)، وهو مفكر أمريكي يتمتع بخبرة واسعة في مجال تنمية الطفل، عن علم نفس الشباب التنموي في كتابه "**نهاية التطور** – The Evolution's End":

"يشعر المراهقون بعظمة كامنة وفريدة في ذواتهم تسعى إلى التعبير. وهم يشيرون إلى القلب عندما يحاولون التعبير عن أي شيء منها، وهو دليل جوهري على القضية برمتها.... فعندما يشعر الشاب أنه فريد ومختار لمهمة عظيمة أو تحدٍ حاسم يبحث عن وسيلة تعبر عن هذا التميز أو عن شخص تتمثل فيه مثل هذه المقدرة."[15]

وفي نفس السياق، تؤكد بيتي ستالي (Betty Staley)، عالمة نفس ومدرّسة تدرس بطريقة وولدورف في كلية رودولف شتاينر (كاليفورنيا)، في كتابها "بين الشكل والحرية – Between Form and Freedom" على أهمية البحث عن المثل الأعلى لدى المراهقين. وتشير إلى أنه عندما يبلغ الأطفال سن الشباب، فإنهم يطورون مفهوما للمثالية المقدسة في أنفسهم مما يجبرهم على البحث عن شخص يكون قدوة لهم يمكنهم محاكاته. ومن خلال اتباع

[15] Pearce, Joseph Chilton (1992). Evolution's End. New York, Harper San Francisco.

قدوة يحتذون بها، يشعر هؤلاء الشباب أنه يمكنهم التعبير عن إحساسهم الداخلي بالعظمة.(16)

(ملاحظة من المترجم: طريقة وولدورف هي نهج تعليمي تأسس على يد رودولف شتاينر في أوائل القرن العشرين. تهدف هذه الطريقة إلى تطوير الطفل بشكل شامل، بما في ذلك النواحي العقلية والعاطفية والروحية. ويعتمد نهج وولدورف على فهم الطفل ككيان يتطور تطوراً شاملاً. وتُعَدُّ طريقة وولدورف أيضًا منهجًا تعليميًا غير تقييمي، حيث لا يتم التركيز بشكل رئيسي على التقييم والامتحانات، بل يُشجَّع على تقديم الدعم والتوجيه الفردي لكل طالب وفقًا لاحتياجاته الفردية.)

لهذا السبب، يمكن أن تُعدَّ مرحلة الشباب أهم مرحلة في حياة الناس وذلك عندما يبحثون عن معنى لحياتهم. وعلى حد تعبير بيرس، عندما يلجؤون إلى ما يهديهم إليه قلبهم المرشد. وبالفعل، لدى الشباب علاقة مثيرة للاهتمام بقلوبهم وذلك ما تُظهره البحوث العلمية الحالية.

## المسلمون المسنون مهمون أيضـاً

الجدير بالذكر أن الغرض من تأليف هذا الكتاب ليس إنكار أهمية المسلمين المسنين فهم مهمون أيضـاً. ومن المستحسن أن تقترن حيوية

[16] Staley, Betty (2009). Between Form and Freedom: Being a Teenager (Lifeways). Gloucestershire (UK), Hawthorn Press.

الشباب وطاقاتهم الإبداعية بحكمة الشيوخ وخبرتهم في الحياة ويعتمد كل منهما على الآخر، فيقدم المسنون الإرشاد والدعم لشبان وشابات المسلمين. وفي النهاية فإن شباب اليوم هم المسنون في الغد ومستقبل الأمة الإسلامية يرتكز عليهم. ونلفت انتباه القراء إلى أن الفئة العمرية للشباب واسعة جداً، أي من سن الخامسة عشرة وحتى سن الأربعين. إذ يشمل سن الشباب فئة المراهقين بعد سن البلوغ وفئة البالغين الشباب وفئة البالغين الراشدين. وبذلك، وبهذه الفئات العمرية، يشكل الشباب المسلم الشريحة الرئيسة من مجموع المسلمين كما يتبين لاحقاً في هذا الكتاب. والإسلام يعلمنا أن نحترم المسنين. بالإضافة إلى ذلك، فإن المجتمع الإسلامي لا يقوم على نمط مجتمع فرداني متمحور على الذات، بل يقوم على التعاون المتبادل. وبالتالي، فإن المسنين المسلمين جزء له نفس الأهمية في الأمة الإسلامية. ومن المعروف، أن النبي محمد ﷺ كُلف بالنبوة (الرسالة) عندما بلغ سن الأربعين. وسن الأربعين هو السن الذي يصل فيه الشخص إلى النضج الفكري الكامل (الذي يفتقر إليه العديد من الشباب قبل بلوغ هذه السن) كما هو مذكور في القرآن:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ

صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ (سورة الأحقاف: 15)

وبالتالي، يجب على الشباب المسلم أن يعمل يداً بيد مع المسنين المسلمين لأنهم يمتلكون ثروة من المعرفة والخبرة التي لا يمتلكها الشباب. وإن اتبع كل من شبابنا وكبارنا التعاليم السليمة للقرآن والسنة واتخذوا حياة علماء الإسلام الأتقياء الأولين قدوة لهم، فإن أمتنا ستصبح منارة لبقية الأمم وسينال المسنون فيها العزة بأن لهم خلف صالح من الشباب المسلم، إن شاء الله.

## دور الوالدين والمجتمع التربوي

بحسب الإسلام، هناك عاملان رئيسان يؤثران في تطوّر شخصية الإنسان: الوراثة والبيئة. والوالدان وبيئة الطفل هما العاملان المحيطيان الأكثر أهمية في تكوين شخصيته. إن الدور التربوي للوالدين في تنشئة الأولاد مهم لدرجة أن النبي ﷺ وصفه في حديث كما يأتي:

**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ.** (متفق عليه)[17]

هذا الحديث دليل على تأثير البيئة في تطوّر الطفل. وكذلك ضرب النبي ﷺ مثلاً في حديث آخر عن حامل المسك ونافخ الكير ليبين كيف تؤثر الصحبة على سلوك الإنسان وشخصيته وسلوكه العام.

**إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، والْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.**

(صحيح مسلم)[18]

في هذا الحديث، يُعبر النبي محمد ﷺ بمعنى مجازي عن أن الصحبة الصالحة تؤثر إيجابياً على شخصية الإنسان وتجعله يتجه نحو الخير، بينما

---

[17] الراوي: أبو هريرة، المصدر: صحيح البخاري، التخريج: أخرجه البخاري (1385)، ومسلم (2658)

[18] الراوي: أبو موسى الأشعري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2628، أيضاً أخرجه البخاري (2101) باختلاف يسير.

تدفعه صحبة السوء نحو السلوك السيئ. لذلك، فإن البيئة تؤثر فعلاً على التطور العام لشخصية الإنسان. كما أن للوالدين والبيئة أثر كبير جداً على التطور النفسي العام للإنسان وعلى شخصيته. إن الإسلام يُولي اهتمامًا كبيراً بمختلف مراحل نمو الإنسان والتي تشمل مرحلة الرضاعة والطفولة والشباب. يلاحظ عالم الاجتماع المسلم المعاصر مالك بن نبي في كتابه "عن **أصول المجتمع البشري**" أنه ليس العامة من الأشخاص فحسب هم الذين يشكلون المجتمع، بل المجتمع هو الذي يتحكم في الحالة الفكرية لأفراده.[19]

إن الآباء المسلمون مكلفون بمهمة شاقة تتمثل في تربية الأجيال الصاعدة وتنشئتهم كمسلمين حقيقيين. فالإسلام يعلم الآباء أن يغرسوا في أطفالهم ليس الارتباط العاطفي بالإسلام فحسب وإنما أيضـاً أن يكونوا مسلمين فاعلين. ومن النصائح العامة للآباء المسلمين بشأن تربية أطفالهم وشبابهم ما يأتي:

1-تعليم الأطفال مفهوم التوحيد (وحدانية الله) والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

[19] Bennabi, Malik (1998). On the Origins of Human Society. (Translated by: Mohammad Tahir El-Mesawi), Kuala Lampur, The Open Press.

2-غرس الإيمان بالغيب في نفوس الأطفال.

3-تعليم شبابنا الأخلاق الحميدة.

4-البحث عن أنشطة بديلة لأطفالنا وشبابنا كي يقضوا وقتًا أقل في مشاهدة التلفزيون وتصفح الإنترنت.

5-توفير تعليم إسلامي جيد ومتوازن بالإضافة إلى التعليم المهني.

6-تزويج الشباب عندما يصلون إلى سن البلوغ ويكونوا قد أكملوا تعليمهم ما قبل الجامعي (يجب ألا يؤجل الآباء المسلمين زواج الشبان والشابات لمجرد أن تعليمهم الجامعي قد يمتد في بعض الأحيان إلى سن الثلاثين).

7-تعليم شبابنا الحياء (العفة).

8-من المهم أن نزرع في قلوب الشباب الخوف من الوقوف بين يدي الله يوم القيامة. وهذا هو مفهوم الآخرة في الإسلام.

يجب على الآباء أن يتذكروا أن شباب الإسلام لن يتمكنوا من تنفيذ هذه النصائح، وكذلك النصائح التي ترد في هذا الكتاب، دون توجيه مناسب من أولياء الأمور والأوصياء. لذلك، يجب على الآباء المسلمين أولاً أن يتحملوا مسؤوليتهم وأن يتوقعوا أي شيء من شبابهم. وكذلك، يجب على أئمة المساجد والقائمين على التربية والتعليم أيضـًا أن يعملوا من أجل ذلك.

والأهم من كل ذلك، يجب أن يتذكر الآباء أن الإسلام يعالج كل مسألة من جذورها. فأفضل طريقة لإعداد شبابنا كي يكونوا مسلمين مسؤولين ويصبحوا قدوة هي استخدام نفس النهج الذي استخدمه رسول الله ﷺ في تشكيل شخصيات أصحابه. وقد أوضح ذلك عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، أحد أصحاب النبي محمد ﷺ، ببلاغة شديدة حيث قال:

**تَعَلَّمْنَا الإِيْمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرآنَ** [20]

---

[20] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى 310 هجري)، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (تفسير الطبري)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992.

إن تَربَّى قلبُ الشاب المسلم على الإيمان، فإنه سيتوجه دائمـًا إلى القرآن والسنة للحصول على الهداية. وسبب تشتت شبابنا اليوم يعود إلى نقص الإيمان في المجتمع ككل. وبسبب هذا النقص في الإيمان، فإن هؤلاء الشباب هم مسلمون بشهادات ميلادهم فقط وليسوا على وعي بإسلامهم وما زالوا يبحثون عن هويتهم. فبعضهم يجد هويته في نجوم هوليوود وبوليوود، بينما يجد آخرون مُثُلهم العليا في أبطال الميداليات الذهبية في الأولمبياد، في حين ما زال آخرون يجدون مثلهم في مطربي برنامج أمريكان أيدول (American Idol). وإنما يحصل هذا لأن شبابنا يرون تناقضـًا في حياتهم: ففي بعض الأحيان، تكون منازلهم مسلمة متدينة بينما يعيش مجتمعهم حياة علمانية، وفي حالات أخرى، يفتح الشباب عيونهم وسط عائلات تعيش حياة غربية بكليتها في حين أن المجتمع متدين. وفي هذا الشأن، يقدم عالم الاجتماع المسلم من القرن العشرين مالك بن نبي مثالًا عن حضور صلاة الجمعة وملاحظاته على هذه الظاهرة في كتابه "عن **أصول المجتمع البشري**".

"قد يلاحظ المرء، على سبيل المثال، التأثير العاطفي الكبير الذي لا تزال حقيقة الإسلام تحرك به نفوس الأشخاص الذين يحضرون صلاة الجمعة ويستمعون إلى خطبة الإمام في المسجد. ففي الواقع، قد تهز كلمات الإمام الحاضرين بشدة

وبأسلوب نشهد فيه، في كثير من الأحيان، رجلاً في المسجد غارقـاً تمامـاً في دموعه...

ومع ذلك، بمجرد انتهاء الصلاة وبعدما يعود الرجل إلى شؤونه الدنيوية، فإن الحقيقة التي هزته قبل قليل تبقى، للأسف، في المسجد...

في أيامنا، يعاني المسلم فعليـاً من انقسام يفصم شخصيته إلى جانبين متعارضين: جانب يلهب سلوكه داخل المسجد، وجانب آخر يشكل سلوكه في الحياة العامة."[21]

يلاحظ بن نبي أن حالة المسلمين في العصر الحديث تشبه كثيراً "الاستحمام الإسكتلندي" الذي يصبون فيه ماء حاراً جداً يتبعونه بوابل من ماء بارد جداً. وبالتالي، فالمسلم "يتعرض لأقوى التأثيرات تناقضـاً وتضاربـاً." لذلك، عندما يذهب الشاب المسلم إلى المسجد، فإن قلبه وروحه يشعران بالتقوى، ولكنه ما أن يخرج من المسجد ويتعرض لهجوم وسائل الدجال ووسائل الإعلام، يُداخل نفسه التشتت وتلتبس عليه الأمور فوراً.

[21] Bennabi, Malik (1998). On the Origins of Human Society. (Translated by: Mohammad Tahir El-Mesawi), Kuala Lampur, The Open Press.

## المشاكل التي تواجه الشباب المسلم في عصر الدجال

إن موضوع هذا الكتاب هو الشباب المسلم والمشاكل التي يواجهونها. لماذا؟ الجواب على هذا السؤال هو أن الجزء الأكبر من عدد المسلمين اليوم هم الشباب. والشباب المسلم في أزمة اليوم وهناك حاجة إلى معالجة القضايا التي يواجهونها في عصر الدجال الحديث هذا. وإن نظرة على الدراسات السكانية تجعل هذه النقطة أكثر وضوحاً. ذكر عالم السياسة الأمريكي المحافظ صموئيل هنتنغتون (Samuel Huntington) في كتابه الأصولي "**صراع الحضارات** – The Clash of Civilizations":

"بلغت نسبة عدد المسيحيين في العالم في ذروتها حوالي 30 في المئة في ثمانينيات القرن العشرين، واستقرت. وهي الآن في انخفاض، ومن المرجح أن تقترب من حوالي 25 في المئة من سكان العالم بحلول عام 2025. ونتيجة لمعدلات النمو السكاني العالية للغاية لدى المسلمين، ستستمر نسبتهم في العالم في الازدياد بشكل كبير، لتصبح حوالي 20 في المئة من سكان العالم حوالي مطلع القرن، متجاوزة عدد المسيحيين بعد بضع

سنوات، وقد تصل إلى حوالي 30 في المئة من سكان العالم بحلول عام 2025."[22]

إن ذلك يحصل لأن عدد العجائز في أمريكا وأوروبا في ازدياد. ونتيجة للتقدم الطبي مؤخراً، زاد متوسط العمر الافتراضي. ولكن أمراض الشيخوخة والخرف وفقدان الوظائف الحركية والمعرفية لا تزال موجودة، مما يجعل العجائز عاجزين تقريباً عن العمل في السنوات القليلة الأخيرة من حياتهم. وبالتالي فإن عدد السكان في الدول الغربية غير متوازن والعجائز هم الأغلبية. أما في العالم الإسلامي فإن عدد السكان يتجه إلى العكس من ذلك.[23] إن أغلبية مسلمي العالم اليوم هم من الشباب. وهذا يعني أن غالبية المسلمين في مرحلة المراهقة والعشرينيات من أعمارهم في معظم البلدان الإسلامية وفي البلدان غير الإسلامية كذلك.

وفي الحقيقة، وصلت ظاهرة "تضخم الشباب المسلم" إلى ذروتها في عام 2000 حيث كانت نسبة الشباب والراشدين نسبة عالية (حوالي 65٪) من مجموع السكان في المجتمعات الإسلامية ذات الكثافة العالية.

---

22 Huntington, Samuel P. (1997). The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order. New York, Touchstone.

23 Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) "Islam and the New Millennium." (March 1997) Belfast Central Mosque. www.masudkhan.co.uk.

مركز بيو للأبحاث هو مركز أبحاث أمريكي مقره في واشنطن العاصمة يحلل التغيير الديني وأثره على المجتمعات في جميع أنحاء العالم. قام الباحثون فيه بأبحاث حول الكثافة السكانية للمسلمين في العالم على مجموعات مختلفة الأعمار. وقد كشف تقرير نشره منتدى مركز بيو للأبحاث حول الدين والحياة العامة في كانون الثاني 2011 بعنوان "مستقبل السكان المسلمين في العالم" عن أن ربع الشباب والراشدين من مجموع سكان العالم في عام 2010 كان من المسلمين، وسترتفع هذه النسبة إلى 29.1٪ بحلول عام 2030. ويؤكد كتَّاب التقرير:

"في عام 1990، كان أكثر من ثلثي مجموع السكان في الدول ذات الأغلبية المسلمة دون سن الثلاثين. أما اليوم، فيشكل الأشخاص دون سن الثلاثين حوالي 60٪ من سكان هذه البلدان... وستظل النسبة الكبرى من مسلمي العالم من الشباب خلال العقود القادمة... وفي الواقع، سيصبح عدد الشبان والشابات المسلمين في العالم بحلول عام 2030 أكثر من 540 مليون شاب وشابة (بأعمار تتراوح بين 15 و29 عامًا)، يشكلون حوالي ثلاثة من عشرة (29.1٪) من مجموع 1.9

مليار شخص وهو العدد المتوقع لتلك الفئة العمرية، بينما كانت هذه النسبة 25.8٪ في عام 2010 و20.0٪ في عام 1990."[24]

إذاً، فإن أغلبية المسلمين اليوم وفي المستقبل القريب ستكون من الشباب ومن الراشدين. لذا، يجب علينا كأمة مسلمة أن نغتنم الفرصة ونستخدم شبابنا في سبيل الله لنشر رسالة الإسلام تماماً كما فعل نبينا الحبيب محمد ﷺ في عصره. إلا أن الشباب المسلم يواجه في العصر الحالي العديد من التحديات التي تشمل التعليم العلماني والتعليم المختلط وحركة تحرير المراهقين وضغط الأقران الذي يسلبهم هويتهم الدينية فضلا عن عفتهم. ومع ظهور التكنولوجيا الحديثة، يتعين على شبابنا الحفاظ على نقاء فكرهم في الوقت الذي تُمطرهم وسائل الإعلام والموسيقى بمحتوى من التعري وعرض كل شبر من جسد الأنثى بغية إغواء مشاهديها. كما يعاني فتيان وفتيات الإسلام من ضغوط هائلة بسبب الانتشار الواسع لمخدرات المعلوماتية كالتلفزيون والإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية ومشغلات الموسيقى (mp3) وما إلى ذلك. علاوة على كل ذلك، يؤخر الآباء المسلمون في العديد من البلدان الإسلامية، دون مبرر، زواج الشبان والشابات،

[24] Pew Research Center's Forum on Religion & Public Life (January 2011) "The Future of the Global Muslim Population" Projections for 2010 – 2030. Pg. 43

وهذا يفتح الأبواب للتودد وإقامة العلاقات العاطفية ما قبل الزواج التي تبلغ ذروتها عند الاحتفال بأعياد كعيد الحب مثلاً. ثم أن هناك قضية التدخين المنتشرة بين الشباب المسلم التي تؤدي بالبعض إلى تعاطي المنوّمات والمخدرات. وبذلك، فإن قائمة المشاكل التي تواجه شبابنا المسلم طويلة جداً.  في الفصول القليلة القادمة، سنناقش بعض القضايا والمشاكل التي تواجه شبابنا المسلم واقتراح حلول لها.

## الفصل الثاني

# الشباب المسلم – في ضوء القرآن والسنة النبوية

يُخبرنا القرآن أن الشباب في أي مجتمع هم الذين يرفعون أصواتهم ضد تقاليده المنحرفة، وهم أول من يستجيب لنداء الحق. يغيرون مستقبل المجتمع

بشجاعتهم وإرادتهم. هم الذين يثبتون، في سبيل إعلاء كلمة الحق، ويعانون طويلاً. ومن عاداتهم أنهم لا يخشون الاعتراض ولا تغريهم المصالح، وعندما يقتنع الشاب منهم بصواب شيء ما، فإنه لا يهتم بتاتـًا لأي من المصاعب التي تعترض طريقه، ولا بأي نوع من أنواع المتاعب التي يتعين عليه تحملها ما دام مقتنعـًا بالحق. وهذا هو ألَقُ الشباب.

## الشباب الذين ورد ذكرهم في القرآن والسنة

### نبي الله إبراهيم (عليه السلام)

آمن النبي إبراهيم عليه السلام بوحدانية الله منذ أن كان شابـًا. وقد ذكر القرآن أن النبي إبراهيم عليه السلام قد حطم كل الأصنام في مدينته عندما ذهب أهل المدينة لحضور أحد المهرجانات، ثم وضع الفأس في يد الصنم الأكبر (كي يستفسر الناس منه). وعندما عاد أهل المدينة ورأوا الطامة التي حلت بآلهتهم غضبوا وقالوا:

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ (سورة الأنبياء)

ولذلك حاكم أهل المدينة النبي إبراهيم عليه السلام في محكمة الملك الطاغية الذي كان يدَّعى الألوهية. فحاور إبراهيم الشاب عليه السلام الملك وأثبت له بطلان حجته، لكن الملك رفض تقبل الحق وأمر أتباعه برمي النبي إبراهيم عليه السلام في النار. إلا أن الله أمر النار ألا تؤذي النبي إبراهيم عليه السلام ونجّاه منها. بعد ذلك، غادر النبي إبراهيم عليه السلام مدينته وهاجر إلى الأرض المباركة هو وزوجته سارة وابن أخيه الصغير لوط (الذي أصبح نبيًا فيما بعد) (سلام الله عليهم جميعًا).

## نبي الله اسماعيل (عليه السلام)

عندما هاجر النبي إبراهيم عليه السلام مدينته الأصلية مسقط رأسه إلى الأرض المباركة، كانت زوجته سارة عاقراً. لذا تزوج زوجة ثانية هي هاجر، فأنجبت له ابنـًا أسماه إسماعيل. يُخبرنا القرآن الكريم أنه عندما بلغ النبي إسماعيل عليه السلام سن الصبا، أمر الله أباه النبي إبراهيم عليه السلام بأن يذبحه. وكان هذا الأمر اختباراً واضحـًا للنبي إبراهيم عليه السلام ، حيث أنه يطلب منه أن يقدم ابنه الوحيد ذبيحةً أضحيةً لله. ولما أخبر النبي إبراهيم عليه السلام ابنه بأمر الله، لم يتردد الشاب المسلم

لحظة وقال لوالده أن يفعل ما يأمره الله بفعله. وأصبح هذا الشاب المسلم فيما بعد النبي إسماعيل عليه السلام، الجد الأكبر للنبي محمد ﷺ

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (سورة الصافات)

## نبي الله يُوسُف (عليه السلام)

وردت قصة النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم وسميت أحسن القصص. فبعد أن خدعه إخوته وبيع لقافلة، وصل إلى قصر حاكم مصر (العزيز)، وفيه بلغ سن الشباب. يخبرنا القرآن عن ذلك بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (سورة يوسف: 22)

كان النبي الشاب يوسف عليه السلام محاطًا بكل أنواع المغريات التي يمكن أن تجذب الشاب إليها. لكن الحقيقة أن النبي يوسف عليه السلام كان قدوة

يمكن أن يحتذي بها الشاب المسلم في كل العصور. فمن بين كل المغريات، تعد تلبية الرغبة الجنسية أكبر إغراء يمكن أن يتعرض له الشاب. لذلك وصف القرآن النبي يوسف ﷺ بأنه شاب مثالي ذو شخصية سمتها الوقار لم تغره واحدة من أجمل النساء. فقد سيطر على رغبته الجنسية خوفاً من الله ورفض عرض زوجة العزيز في مصر لمعاشرتها، رغم أنه كان شاباً فتياً حينذاك. وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك بكل وضوح:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾

(سورة يوسف: 30)

## نبي الله موسى و فتاه يوشع (عليهما السلام)

كذلك يبين لنا القرآن الكريم أن نبي الله موسى ﷺ عندما بُعث إلى قومه بعد تلقيه النبوة من الله، كان الشباب من قومه هم الوحيدون الذين آمنوا به:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ٨٣﴾ (سورة يونس: 83)

أولئك الشباب الذين آمنوا بالنبي موسى عليه السلام كانوا نخبة المجتمع وكانوا على إيمان راسخ. فعندما أشار عليهم النبي موسى عليه السلام بأن يثبتوا في سبيل الله، دعوا الله أن ينجيهم (والقرآن يثني عليهم على ذلك):

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ٨٦﴾

(سورة يونس: 85 – 86)

من بين أولئك الشباب الذين تحلقوا حول النبي موسى عليه السلام كان يوشع بن نون عليه السلام الذي أصبح نبياً بعد وفاة النبي موسى عليه السلام. والنبي يوشع عليه السلام شاب مسلم ذكره الله تعالى في القرآن دون ذكر اسمه، ولكن اسمه يرد في

أحاديث النبي محمد ﷺ ويذكر بعض العلماء القدامى أن يوشع عليه السلام قام بأعباء النبوة بعد وفاة النبي موسى عليه السلام.[25]

ذُكر النبي يوشع عليه السلام (دون ذكر اسمه) في القرآن في قصة فتح بلاد كنعان أنه أحد الرجلين الصالحين اللذين أنعم الله عليهما:

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة المائدة: 22-23)

علاوة على ذلك، ووفقًا لكثير من مفسري القرآن، كان النبي يوشع عليه السلام هو فتى النبي موسى عليه السلام وخادمه قبل أن يلتقي بعبد الله العارف (الذي سمَّاه بعض المفسرين الخضر).

25 أبو الفداء، إسماعيل بن كثير (المتوفى 774 هـ) "قصص الأنبياء" [مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنهاية]، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1968 م

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ (سورة الكهف: 62)

وقد ورد ذكر نبي الله يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله محمد ﷺ قال:

**ما حُبِسَتِ الشمسُ على بَشَرٍ قطُّ ، إلَّا على يُوشَعَ بنِ نُونَ لَيالِيَ سارَ إلى بَيتِ المَقْدِسِ.** (مسند أحمد)[26]

وقد ذكرت هذه الحادثة بمزيد من التفصيل في حديث آخر صحيح ورد فيه أن النبي يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ ذهب للجهاد وعندما اقترب من إحدى البلدات صلى صلاة العصر، ثم قال للشمس:

---

[26] الراوي: أبو هريرة، المصدر: السلسلة الصحيحة (الألباني)، الصفحة أو الرقم: 2226، خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد على شرط البخاري، التخريج: أخرجه أحمد (8315) باختلاف يسير، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (21/ 229).

**إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا؛ فَحُبِسَتْ حتى فتح الله عليهم.** (صحيح البخاري)[27]

## مريم، أم نبي الله عيسى (عليهما السلام)

مريم رضي الله عنها، أم النبي عيسى عليه السلام، هي شابة أُخرى صالحة ذكرها القرآن الكريم. ولقد كانت أم مريم عاقراً، وعندما شاخت، دعت الله أن يرزقها بمولود تهبه لله محرراً. وعندما وضعت أم مريم طفلتها مريم رضي الله عنها، خاب أملها في البداية أن كان المولود أنثى، فقد كانت تتوقع ولادة ذكر تهبه لله ولعبادته محرراً من كل أعمال الدنيا وواجباتها. إلا أنها رغم ذلك، نذرت ابنتها لله وقبل الله دعاءها. من ثم، كفل النبي زكريا عليه السلام مريم الصغيرة رضي الله عنها، وبصفته وصياً عليها فقد لاحظ تقوى هذه الشابة المسلمة المثالية. كما لاحظ معجزاتها التي ذكرها القرآن:

27 الراوي: أبو هريرة، التخريج: أخرجه البخاري (3124)، ومسلم (1747)

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ (سورة آل عمران: 37)

إن مريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حقـًا مثال عظيم للشابة التقية. وقد كانت ما تزال شابة صغيرة عندما بشرتها الملائكة بالبشرى السعيدة:

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ (سورة آل عمران: 42)

## أصحاب الكهف

وردت قصة أهل الكهف في سورة الكهف حيث يوضح القرآن الكريم أنهم كانوا بضعة شبان آمنوا بوحدانية الله. وتبدأ قصتهم بالكلمات التالية:

﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً
وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ
سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾ (سورة الكهف: 10 – 11)

وهؤلاء الشبان كانوا يعيشون في مدينة إفسس في تركيا ويقال في مدينة عمّان في الأردن (والله أعلم بمكانهم الحقيقي). وهم مجموعة من الشبان المؤمنين ثبتوا في وجه أهاليهم الذين كانوا يحضونهم على عبادة آلهة من دون الله. ومن ثم فروا من اضطهاد الملك الطاغية وشعبه الفاسد ولجأوا إلى كهف. وبعد أن اختبئوا في الكهف، ناموا لفترة طويلة. وعندما استيقظوا، ظنوا أنهم ناموا يوماً واحداً أو بعض يوم، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً. لكن استخدامه للنقود الفضية القديمة كشف عن وجودهم لأهل المدينة. وبعد هذا الاكتشاف بقليل، توفي أصحاب الكهف فبنى أهل مدينتهم مسجداً في المكان الذي دفنوهم فيه (الكهف).

# الغلام وأصحاب الأخدود

ذُكر "أصحاب الأخدود" في القرآن الكريم في سورة البروج، وهم الذين حفروا حفرة من نار وألقوا فيها المؤمنين:

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ۝٨﴾

(سورة البروج: 4 – 8)

إن الشخصية المحورية في هذه القصة هي شاب صغير يؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى، أنعم الله عليه بقوى عجيبة وعناية إلهية في مواجهة مكائد ملك وثني شرير وواحد من سحرته. وقد وردت هذه القصة مفصلة في أحاديث صحيحة رويت عن النبي محمد ﷺ جاء فيها أن ملكاً كان لديه ساحر في بلاطه قد نال منه الكبر. فأراد الساحر أن يختار أذكى صبي في المملكة لينقل إليه علومه قبل وفاته، وكان له ذلك. وكان الغلام طالب الساحر إذا سار إلى القصر يمر في طريقه براهب فيقعد إليه. وبدأ الغلام الصغير يتعلم من الراهب،

وكان الراهب يعلمه أن الله يستحق أن يعبد وحده. وذات يوم، جاءت دابة عظيمة قطعت الطريق وحبست الناس، فالتقط الغلام حجراً وقال:

اللّهُمّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرّاهِبِ أَحَبّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدّابّةَ، حَتّىَ يَمْضِيَ النّاسُ، فَرَمَاهَا، فَقَتَلَهَا، وَمَضَىَ النّاسُ

فَأَتَىَ الرّاهِبَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ:

أَيْ بُنَيّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىَ، وَإِنّكَ سَتُبْتَلَىَ

وكان الغلام يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبرص، ويداوي الناس من سائر الأمراض. فسمع به الملك، فاستدعاه إلى قصره وطلب منه أن يرجع عن دينه إلى دين الملك، فأبى فدفعه إلى نفر من جنوده لكي يطرحوه من الجبل، لكن الله كفاه إياهم. ويتابع الحديث في سرد القصة، إذ بعدما فشلت جميع محاولات الملك، قال له الغلام:

إِنّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي؛ حَتّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: تَجْمَعُ النّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى

جِذْعٍ، ثُمّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمّ ضَعِ السّهْمَ فِي كَبِدِ

الْقَوْسِ، ثُمّ قُلْ: بِاسْمِ اللّهِ، رَبّ الْغُلاَمِ، ثُمّ ارْمِنِي، فَإِنّكَ

إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،

وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمّ وَضَعَ

السّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمّ قَالَ:

بِاسْمِ اللّهِ، رَبّ الْغُلاَمِ

ثُمّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ

فِي مَوْضِعِ السّهْمِ، فَمَاتَ، فقال النّاسُ:

آمَنّا بِرَبّ الْغُلاَمِ، آمَنّا بِرَبّ الْغُلاَمِ، آمَنّا بِرَبّ الْغُلاَمِ

فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – وَاللّهِ– نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدّتْ، وَأَضْرَمَ النّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا؛ حَتّىَ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقالَ لَهَا الغُلاَمُ: يا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فإِنَّكِ علَى الحَقِّ.

(صحيح مسلم)[28]

## شاب مسلم في محكمة الدجال

إن الذين نصروا دين الله في صدر الإسلام كانوا شبانـًا وشابات. وكما كان الحال آنذاك سيكون كذلك في المستقبل، أي أن الذين سيحققون النصر للإسلام بقيادة النبي عيسى عليه السلام في مواجهة جيوش الدجال سيكونون أيضـًا

[28] الراوي: صهيب بن سنان الرومي، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 3005

من الشباب. وقد ورد في الحديث أن أعظم شهيد عند الله ممن يحاربون الدجال ويتحداه شاب مسلم في ريعان شبابه، ورغم أن الدجال يقتله، إلا أنه لن يتمكن من قتل غيره بعده. ويتبين فيما بعد أن قتل هذا الشاب المسلم ما هو إلا حكم إعدام على الدجال. فبعد فترة قصيرة، ينزل النبي عيسى عليه السلام من السماء ويقتل الدجال وهو يحاول الفرار منه.

وقد جاء في حديث أن هذا الشاب يُظهر شجاعة لا مثيل لها في مواجهة محن الدجال. ويضحي بحياته، وينطق بالحق ويكشف حقيقة الدجال أمام أتباعه. وقد ورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:

**ثُمَّ يَدعُو رَجلًا ممتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ ويتَهَلَّلُ وجهُهُ يضحَكُ.** (صحيح مسلم)[29]

وقد رويت هذه القصة بمزيد من التفصيل في رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري، قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

[29] الراوي: النواس بن سمعان الأنصاري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2937

يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَتَلْقاهُ المَسالِحُ، مَسالِحُ الدَّجَّالِ، فيَقولونَ له: أيْنَ تَعْمِدُ؟ فيَقولُ: أعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ، قالَ: فيَقولونَ له: أوَ ما تُؤْمِنُ برَبِّنا؟ فيَقولُ: ما برَبِّنا خَفاءٌ، فيَقولونَ: اقْتُلُوهُ، فيَقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أليسَ قدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دُونَهُ، قالَ: فَيَنْطَلِقُونَ به إلى الدَّجَّالِ، فإذا رَآهُ المُؤْمِنُ، قالَ: يا أيُّها النَّاسُ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ به فيُشَبَّحُ، فيَقولُ: خُذُوهُ وشُجُّوهُ، فيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْبًا، قالَ: فيَقولُ: أوَ ما تُؤْمِنُ بي؟ قالَ: فيَقولُ: أنْتَ المَسِيحُ الكَذّابُ، قالَ: فيُؤْمَرُ به فيُؤْشَرُ بالمِئْشارِ مِن مَفْرِقِهِ حتَّى يُفَرَّقَ بيْنَ رِجْلَيْهِ، قالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بيْنَ القِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يقولُ له: قُمْ، فَيَسْتَوِي قائِمًا، قالَ: ثُمَّ يقولُ له: أتُؤْمِنُ بي؟ فيَقولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً، قالَ: ثُمَّ يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ إنَّه لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فيُجْعَلَ ما بيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ

نُحاسًا، فلا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: فَيَأْخُذُ بيَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ به، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّارِ، وإنَّما أُلْقِيَ في الجَنَّةِ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: هذا أعْظَمُ النَّاسِ شَهادَةً عِنْدَ رَبِّ العالَمِينَ. (صحيح مسلم)[30]

## شباب مسلمون حول رسول الله

كان كبار السن في مكة هم قادتها ورفضوا بشكل صارخ الرسالة الإلهية التي أتى بها النبي محمد ﷺ ولم يكونوا على استعداد لقبول أي تغيير. أما شبابها وشابّاتها فهم الذين آمنوا بها وكانوا على استعداد لتحدي معتقدات مجتمعهم، كما كان أصحاب الكهف في عصرهم هم شباب المجتمع وهم الذين آمنوا برسالة التوحيد. فقصَّ القرآن قصة أصحاب الكهف ومن ثم بشر النبي محمد ﷺ وطمأنه بإبلاغه أن شباب المجتمع هم أول وفي طليعة من يؤمن برسالة الحق:

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ (سورة الكهف: 13)

[30] الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2938

وإن ألقينا نظرة على حياة النبي محمد ﷺ خلال فترة البعثة في مكة، نلاحظ أنه باستثناء زوجته خديجة (التي كانت تكبره بـ 15 عامًا) ولاحقا زوجته سودة بنت زمعة، لم يكن أي من صحابته الأولين أكبر سنًا منه. ومن ثم، فإن الذين تصدروا الدعوة في الفترة المكية التي ملأتها المحن والصعوبات لم يكونوا من كبار السن، بل كانوا شبابًا وشابات شجعان. وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه :

**قَدِمَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وليسَ في أصْحابِهِ أشْمَطُ غيرَ أبِي بَكْرٍ، فَغَلَفَها بالحِنَّاءِ، والكَتَمِ.** (صحيح البخاري)[31]

وفي رِوايةٍ أخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

**قَدِمَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المَدِينَةَ فَكانَ أسَنَّ أصْحابِهِ أبو بَكْرٍ، فَغَلَفَها بالحِنَّاءِ والكَتَمِ حتَّى قَنَأَ لَوْنُها.** (صحيح البخاري)[32]

| اسم الصحابي | العمر عند إسلامه في بداية |
| --- | --- |

[31] الراوي: أنس بن مالك، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3919

[32] الراوي: أنس بن مالك، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3919، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

| | |
|---|---|
| | الفترة المكية |
| علي بن أبي طالب | أقل من 20 عاماً |
| عبد الله بن مسعود | |
| جعفر بن أبي طالب | |
| طلحة بن عبيد الله | |
| الزبير بن العوام | |
| مصعب بن عمير | |
| أسماء بنت أبي بكر | |
| | |
| بلال بن رباح | بين 20 و 30 عاماً |
| عبد الرحمن بن عوف | |
| زيد بن حارثة | |
| صهيب الرومي | |
| | |
| أسماء بنت عميس (زوجة جعفر) | في أوائل الثلاثينيات |
| فاطمة بنت الخطاب (أخت عمر بن الخطاب | |
| | |
| عمر بن الخطاب | بين 30 و 35 |
| عثمان بن عفان | |
| زيد بن حارثة | |

| | |
|---|---|
| لبابة بنت الحارث (أم فضل) | |
| أم سلمة (أم المؤمنين) | |
| | |
| أبو بكر الصديق | 38 |
| | |

نعلم من هذا الحديث أنه بعد مرور ثلاثة عشر عاما على بعثة النبي ﷺ ونشر رسالة الإسلام في مكة، وعندما هاجر ﷺ من مكة ووصل إلى المدينة المنورة، كان أبو بكر رضي الله عنه هو الوحيد من بين أصحابه الذين هاجروا، الذي كان في رأسه شعر أشيب. وفي الواقع، عندما نزل الوحي على رسول الله في مكة المكرمة لأول مرة، كان أغلب الصحابة الذين أسلموا في سن أقل من العشرين أو بين العشرين والثلاثين أو في أوائل الثلاثينيات. وكان عمر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثمان وثلاثين سنة أي أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين. أما معظم الذين استجابوا لدعوة النبي محمد ﷺ في البداية كانوا شباباً أصغر سناً من رسول الله ﷺ وكانوا أول من نصر دين الإسلام. والجدول التالي يلخص أعمار الصحابة الذين أسلموا في بداية الفترة المكية:

بعد ثلاثة عشر عامًا من الدعوة في مكة، هاجر النبي محمد ﷺ مع أتباعه إلى المدينة المنورة (يثرب سابقـًا). فأثبتت المدينة، على عكس مكة أو الطائف، أنها أرضٌ خصبة لتأسيس أول دولة إسلامية بقيادة رسول الله ﷺ. ويُعزى ذلك إلى حد كبير إلى أن سادة القبائل في مكة والطائف كانوا كبار سن لا يزالون على قيد الحياة وكانوا يعارضون رسالة الحق. أما الوضع في المدينة المنورة فقد كان مختلفـًا تمامـًا. فقبل خمس سنوات من هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة، خاضت قبيلتا الأوس والخزرج، اللتان تعدان من أهم قبائل أنصار الإسلام في المدينة، معركة بُعاث الشهيرة التي أفنت كبار زعمائهم وسادتهم. فكانت هذه الواقعة تدخلاً ولطفـًا خفيـًا من الله سبحانه وتعالى، ومقدمةً لهجرة النبي إلى المدينة. قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث رواه الإمام البخاري:

**كانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَدِمَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وقُتِّلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وجُرِّحُوا، قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في دُخُولِهِمْ في الإسْلَامِ.**

(صحيح البخاري)[33]

نتيجة لتلك الواقعة، كان معظم الذين نجوا في المدينة المنورة من الشباب وكانوا على استعداد لقبول التغيير واعتناق الإسلام. وفعلاً، قال مسلمو المدينة الأوائل للنبي محمد ﷺ:

"إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك."

(السيرة النبوية لابن هشام)[34]

كان من بين شباب المدينة المنورة أولئك زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان عمره ست سنوات عندما توفي والده في معركة بعاث. وكان عمره ثلاثة عشر عاماً عندما طلب من النبي ﷺ الإذن كي يشارك في غزوة بدر. لكن الرسول لم يأذن له وأعاده لأن عمره كان أقل من خمسة عشر عاماً حينذاك، فدفعته

---

[33] الراوي: عائشة أم المؤمنين، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3846

[34] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، "السيرة النبوية" (ابن هشام)، دار الكتاب العربي، سنة النشر: 1990 ميلادي، ج 2 – الصفحة 292

طموحاته السامية إلى الاهتمام بتعلم القرآن، فاختاره رسول الله ﷺ لكتابة آيات القرآن وجمعها وحفظها. وعندما توفي النبي ﷺ كان زيد رضي الله عنه في سن الثالثة والعشرين. فاختار أبو بكر رضي الله عنه هذا الشاب لأداء المهمة العظيمة لتوثيق آيات القرآن المكتوبة والمحفوظة شفهياً وجمعها في مجلد واحد. وقد ورد في صحيح البخاري:

> قالَ أبُو بَكرٍ وعِندَهُ عُمَر بن الخطاب لِزَيد بن ثابت (رضي الله عنهم): **"إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نَتَّهِمُك، وكنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ فتَتَبَّعِ القرآنَ فاجْمعه."** (صحيح البخاري)[35]

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان قد أسلم في شبابه في مكة المكرمة، في حديث عن الرجال الذين التفوا حول رسول الله ﷺ في المدينة:

**كُنَّا نَغزُو مَعَ النَّبي صلَّى الله عَليهِ وسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَابٌ**

(مسند أحمد)[36]

---

[35] الراوي: زيد بن ثابت، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 4679

[36] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، "مسند الإمام أحمد". (جزء 1، رقم حديث 3698) وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث بشروط البخاري و مسلم.

وبالفعل، كان صاحبا الرسول ﷺ اللذان قتلا أبا جهل (أشد أعداء الإسلام) في غزوة بدر شابين، كلاهما في سن تقارب السابعة عشر، وقتلا واحداً من أمهر محاربي قريش، ألا وهو أبو جهل، وبَشَّرا نبينا الحبيب ﷺ بالنبأ السار بمقتله. يروي تفاصيل هذا المشهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فيقول:

بيْنَا أَنَا واقِفٌ في الصَّفِّ يَومَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عن يَمِينِي وعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بغُلَامَيْنِ مِنَ الأنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بيْنَ أَضْلَعَ منهما، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُما فَقالَ: يا عَمِّ، هلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلتُ: نَعَمْ، ما حَاجَتُكَ إلَيْهِ يا ابْنَ أَخِي؟ قالَ: أُخْبِرْتُ أنَّهُ يَسُبُّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حتَّى يَمُوتَ الأعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لذلكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقالَ لي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إلى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ في النَّاسِ، قُلتُ: أَلَا إنَّ هذا صَاحِبُكُما الذي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأخْبَرَاهُ، فَقالَ: أَيُّكُما قَتَلَهُ؟ قالَ كُلُّ واحِدٍ منهمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقالَ: هلْ مَسَحْتُما سَيْفَيْكُمَا؟ قالَا: لَا، فَنَظَرَ في السَّيْفَيْنِ، فَقالَ: كِلَاكُما قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بنِ عَمْرِو

بنِ الجَمُوحِ، وكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، ومُعَاذَ بنَ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ.

(صحيح البخاري)[37]

(ملاحظة من المترجم: الشابين معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء كانا في السادسة عشرة من عمرهما)

كان أنس بن مالك رضي الله عنه شاباً آخر من شباب المدينة المنورة. وقد وصف الحياة اليومية لسبعين شاباً يعيشون في ناحية ذات ظلال قريبة جداً من المسجد النبوي. وكان هؤلاء الشباب يبيعون الحطب والماء لشراء الطعام لهم ولفقراء المدينة. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

كانَ شَبَابٌ مِنْ الْأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَّاءُ، قَالَ: كَانُوا يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَمْسَوْا انْتَحَوْا نَاحِيَةً مِنْ الْمَدِينَةِ فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ يَحْسِبُ أَهْلُوهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ فِي أَهْلِيهِمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ

---

[37] الراوي: عبدالرحمن بن عوف، المصدر: صحيح البخاري، التخريج: أخرجه البخاري (3141)، ومسلم (1752)

اسْتَعْذَبُوا مِنْ الْمَاءِ وَاحْتَطَبُوا مِنْ الْحَطَبِ فَجَاءُوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إِلَى حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ. (مسند أحمد)[38]

كذلك يروي أبو سليمان مالك بن الحويرث الليثي حديثاً عن مقدمه إلى المدينة المنورة وكان معه جماعة من شباب قبيلته جاؤوا جميعهم لاعتناق الإسلام وتعلمه من النبي ﷺ. قال:

"أَتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقارِبُونَ، فأقَمْنا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا ولَيْلَةً، وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أنَّا قَدِ اشْتَهَيْنا أهْلَنا - أوْ قَدِ اشْتَقْنا - سَأَلَنا عَمَّنْ تَرَكْنا بَعْدَنا، فأخْبَرْناهُ، قالَ: ارْجِعُوا إلى أهْلِيكُمْ، فأقِيمُوا فيهم وعَلِّمُوهُمْ ومُرُوهُمْ - وذَكَرَ أشْياءَ أحْفَظُها أوْ لا أحْفَظُها - وصَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ." (متفق عليه)[39]

---

[38] الراوي: أنس بن مالك، المصدر: مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 13462 المحدث: شعيب الأرناؤوط، خلاصة حكمه: إسناده صحيح، أخرجه البخاري (3064)، ومسلم (677) بنحوه، وأحمد (13462) واللفظ له

[39] الراوي: مالك بن الحويرث، التخريج : أخرجه البخاري (631)، ومسلم (674)

وبالطبع، كان للمسنين من صحابة رسول الله دور ريادي في نشر رسالة الإسلام. فقد كانوا هم الذين يوجهون شباب الإسلام ويقدمون لهم العون.

كما أن هناك حقيقة تاريخية أخرى من المهم ملاحظتها وهي أنه لم يكن أي من حاملي شعلة النشاط التي بدأها رسول الله ﷺ يشغل منصباً دينياً أو سياسياً رفيعاً. لم يكن لدى هؤلاء الشباب الذين التفوا حول رسول الله مصالح خاصة في هيكلية المجتمع الاجتماعية أو السياسية يخشون الخسارة إن لم يحققوها. لذا، عندما بدأ النبي محمد ﷺ في تبليغ رسالة الإسلام، ظن قادة قريش قصيرو النظر في البداية بأنها مجرد حركة فئة من الشباب المتمردين وسرعان ما تنتهي. بل والأهم، **من يقوى على الوقوف في وجهنا، نحن زعماء قريش؟**

عندما دعا رسول الله ﷺ قريش إلى مأدبة عشاء في منزله لتبليغهم الرسالة لأول مرة، اجتمع له يومئذٍ أربعون رجلاً من عشيرته، بنو هاشم (عشيرة قرشية مرموقة). فيهم أبو طالب والعباس وأبو لهب. وبعد أن أكلوا، نهض رسول الله ﷺ وخاطبهم قائلاً:

"يا بنى عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه. فأيكم يؤازرني على هذا الأمر؟"

فأحجم القوم عنها جميعـًا، ولم يتكلموا. في تلك اللحظة، نهض علي بن أبي طالب أمام كبار قريش، وكان آنذاك ما يزال صبيـًا (13 عامـًا) وقال: "ولأنى لأحدثهم سنـًا ... أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه." انفجر بنو هاشم ضحكـًا عندما رأوا صبيـًا صغيراً يدَّعي نصرة رسول الله ﷺ. وبهذا الضحك والسخرية، كان لسان حال شيوخ قريش يقول إن النبي محمد ﷺ الذي جاء بهذه الرسالة وأتباعه الشباب (مثل علي رضي الله عنه) الذين استجابوا له يقاتلون من أجل قضية خاسرة، وإنهم لن يناصروا هذا الجمع من الشباب. لكن الأحداث التالية أثبتت أن النبي محمد ﷺ والشباب من حوله غيروا وجه الأرض وما زلنا حتى اليوم نسمع صدى زئير التاريخ في وقع أقدامهم.

## الفصل الثالث

# الشباب المسلم ووسائل الإعلام العوراء

الدجال كلمة عربية تعني "المخادع" أو "المحتال". والدجل تعني "الخداع". على سبيل المثال، لو كان هناك شق في جدار منزل ما ووضع صاحبه ورق جدران على هذا الشق لإخفائه ثم باع المنزل، فهذا يعني أنه ارتكب عملاً من أعمال الدجل أو الخداع. وعندما علم الإمام مالك بِرجُلٍ يضع الأحاديث قال عنه:

## هُوَ دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَة [40]

ويذكر الإمام القرطبي في كتابه "التذكرة" أن "الدجال: ماء الذهب الذي يُطلى به الشيء، فيُحسِّن باطله، وداخله خزف أو عود. سُمي الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل."[41]

الخداع أو "الإغراء" جزء لا يتجزأ من عصر الدجال لأن الدجال، في النهاية، هو المخادع الأكبر. وفي العصر الحالي، تقدم وسائل الإعلام والوسائل الإلكترونية الباطل للشباب المسلمين بطريقة خادعة مغرية تفتن معظمهم فيفقد هؤلاء الشباب بالتدريج بل وبالتأكيد إيمانهم وحياءهم وعفتهم ووقتهم وشرفهم وغير ذلك الكثير.

إن الدجال يرى العالم بعين واحدة. ونحن عندما ننظر إلى العالم بعين واحدة، نراه رؤية ناقصة وسطحية للغاية. فالرؤية بعينين اثنتين في الرأس، المعروفة باسم الرؤية المجهرية، تعطي منظوراً دقيقًا عن العمق، فيستخدم دماغنا المعلومات التي يتلقاها من العينين من أجل حساب عمق المشهد

---

40 محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، "لسان العرب". مطبعة المنيرية، بولاق (مصر)، طبع 1304هـ. المجلد. 11، ص. 237.

41 محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى 1273 م). "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1425 ه.

المرئي.[42] ومن ثم، فنحن نحتاج كلتا العينين من أجل إدراك صحيح للعمق وقياس صحيح للمسافة – وهذه نعمة من نعم الله على الناس ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ (سورة البلد: 8)

وبصرف النظر عن كل استخدامات الأجهزة الإلكترونية في مجالات إيجابية وبناءة، نلاحظ وجود نفس السمة في جميع وسائل الدجال. وسائله كلها ذات عين واحدة. ومن بعض الأمثلة على وسائل الإعلام ذات العين الواحدة: التلفزيون والكمبيوتر (الإنترنت) والسينما (المسرح) وشاشات الهواتف الذكية وكاميرا الهاتف الخليوي وكاميرات الفيديو وأجهزة الآي بود (iPod) والآي باد (iPad) وأطباق الأقمار الصناعية والتلفزيون الفضائي وألعاب الفيديو، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. كل تلك الوسائل ذات عين واحدة، وهذا هو موضوع كتابنا. وبالفعل، اتخذت بعض شركات الإعلام رمز العين الواحدة شعاراً لها كمؤسسة سي بي إس، شبكة الإذاعة الكولومبية الأمريكية (CBS) – Columbia Broadcasting System. وهذه

---

42 Wheatstone, Charles (1838). "Contributions to the physiology of vision -First Part. On some remarkable, and hitherto unobserved, phenomena of binocular vision". *Philosophical Transactions of the Royal Society of London* 128 (0): 371–394.

الشبكة هي شبكة تلفزيونية تجارية كبرى في الولايات المتحدة الأمريكية وهي ثاني أكبر إذاعة إعلامية في العالم بعد هيئة الإذاعة البريطانية. وشعارها "عين واحدة"، ولذلك يطلق عليها أيضاً اسم "شبكة العين".

كذلك، شركة تايم ورنر كيبل (Time Warner Cable)، ثاني أكبر مزود للكابلات في أمريكا انبثقت عن شركة تايم ورنر (Time Warner) عام 2009 كشركة مستقلة، شعارها أيضاً عين واحدة.

<u>ملاحظة من المترجم:</u> شعار مؤسسة شبكة الإذاعة الكولومبية CBS Broadcasting Inc. ←

شعار شركة تايم ورنر كيبل Time Warner Cable ←

إن شعار "العين الواحدة" الذي تعتمده الوكالات الإعلامية يمثل لها "عين الإعلام البصيرة" أو هكذا تعتقد.

إن وسائل الدجال كلها تهيئ الساحة لظهوره النهائي، حيث سيكون شخصاً يتمتع بقوى خارقة للطبيعة كما ورد في عدة أحاديث للنبي محمد ﷺ. وتلك الوسائل تهيئ الوضع المناسب لظهوره من خلال طرقها وأساليبها الخادعة.

من السمات المهمة لوسائل الدجال أنها تصور كل شيء للناس بصورة سطحية مبهرة، لأنها "عوراء" في الأساس، وهي تقدم للمشاهدين مفهوماً غير صحيح عن عمق الأشياء، أي أنها تقدم "رؤية عوراء" عن العالم. وهي تعلّم الشباب أن يشبعوا رغباتهم الجسدية، بل أن يقدسوا أجسادهم. ويبدو، في عصر الدجال هذا، كما لو أن عين النزعة المادية مفتوحة فاغرة (كحبة عنب منتفخة) في حين أن "عين الروحانية" مغمضة. وكل ما يعرض للشباب يعرض كمتعة تسر الناظرين، حيث تكون الرسالة المبتغاة من وراء كل إعلان التركيز على الجسد البشري. ولا تعلن وسائل الدجال تلك عن أي شيء يبعث السكينة في نفس الإنسان. وأثرها في سلوك الأطفال والشباب لا يمكن إنكاره. بل في الحقيقة، إن وسائل الإعلام في عصر الدجال هذا تضلل شبابنا المسلم وتقودهم كالخرفان إلى مذبحهم. وتؤكد الأبحاث العلمية المختصة في مجال التواصل وعلم النفس الاجتماعي على أثر وسائل الإعلام الدامغ والعميق في تغيير مواقف الناس وآرائهم، وهو ما سنناقشه الآن.

## الشباب المسلم وأثر التلفزيون و الحاسوب في حياة الأسرة

التلفزيون هو أول اختراع في وسائل الإعلام الإلكترونية المرئية. لذلك، كان هو أول من أثر على أسلوب حياة الأطفال والشباب في جميع أنحاء العالم. ووفقـًا لتقرير نيلسون لأبحاث وسائل الإعلام (Nielson Media Research) حول التلفزيون، يشاهد الأطفال في الفئة العمرية من 2 إلى 5 سنوات ما معدله 21.8 ساعة تلفزيون أسبوعيـًا، بينما يشاهد الأطفال في الفئة العمرية من 6 إلى 11 سنة 18.3 ساعة أسبوعيـًا.[43]

ثم أثبت الكمبيوتر، بفضل طبيعته التفاعلية، أنه وسيلة أقوى من التلفزيون من حيث طبيعته المذهلة. ففي حين كان يقضي الشباب الأمريكي من جيل التلفزيون ما مجموعه في المتوسط 7 سنوات من حياتهم أمام التلفزيون،[44] فقد أمسى الوضع أسوأ مع جيل الإنترنت – أي جيل الشباب الذين ولدوا في التسعينيات من القرن العشرين. كتب الأستاذ الدكتور فرانك

---

[43] Nielsen Media Research (2000) “2000 Report on Television, The First Fifty Years”. New York, Nielsen Media Research.

[44] Kubey R, Csikszentmihalyi M. (1990) Television and the Quality of Life: How Viewing Shapes Everyday Experience. Hillsdale, New Jersey: Erlbaum.

بيوكا (Professor Dr. Frank Biocca)، مدير مختبرات تصميم وسائط الإعلام والواجهات والشبكات Media Interface and Network Design (M.I.N.D Labs –) في جامعة ولاية ميشيغان، يقول:

"استنادا إلى الوقت الذي يقضيه جيل الإنترنت مع وسائط الإعلام الأخرى على مدى العمر، يمكننا أن نضع تقديراً تقريبياً أنهم قد يقضون ما يصل إلى 20 عاماً من حياتهم أمام هذه الوسيلة والتفاعل معها والاتصال بها."[45]

لقد عدَّ مصمم الواجهات الشهير آلان كاي (Alan Kay) الحاسوب وسيطاً فائقاً "meta-medium". وقد عُرِّف "الوسيط الفائق – الميتا ميديا" بأنه وسيلة تجمع بين التلفزيون والكتاب والآلة الكاتبة والراديو ووحدة التحكم بألعاب الفيديو في منصة واحدة.[46] يقول مدير شركة ساتشي وساتشي التفاعلية (Saatchi and Saatchi Interactive):

---

[45] Biocca, Frank (2000). "New Media Technology and Youth: Trends in the Evolution of New Media." *Journal of Adolescent Health.* 27S: 22-29.

[46] Kay, Alan (1984) “Computer software”. *Scientific American.* 251:52–9.

"قد لا نستطيع تخيل وجود منتج أو خدمة أخرى كالإنترنت من حيث جذب اهتمام الأطفال."[47]

عندما ظهر جهاز التلفزيون لأول مرة في السوق، كان من الصعب تصور أن يمتلكه كل منزل في يوم من الأيام. حتى في أمريكا حيث اختُرِع التلفزيون، كانت نسبة 8٪ فقط من العائلات تمتلك جهاز تلفزيون في خمسينيات القرن العشرين. ومع ذلك، وبحلول عام 1957، امتلكته حوالي 78٪ من الأسر، وارتفعت هذه النسبة عام 1964 إلى 92٪. وعلى نفس المنوال، عندما بدأ الناس في امتلاك أجهزة الكمبيوتر لأول مرة في ثمانينيات القرن العشرين، لم يتخيل أحد أنه بحلول نهاية القرن عام 2000 سيتوفر الكمبيوتر والإنترنت في كل منزل تقريباً في الولايات المتحدة.[48]

وفي الحقيقة، وعلى الرغم من تفوق الإنترنت على التلفزيون، إلا أنهما يزدادان ترابطاً. تبين نتائج دراسة أصدرتها شبكات إم تي في الدولية (MTV Networks International – MTVNI)، وهي وحدة تابعة لشركة

---

[47] Center for Media Education, (1996) "Web of Deception: Threats to Children from Online Marketing". World Wide Web: Center for Media Education.

[48] Winn, Marie (2002). The Plug-In Drug: Television, Computers and Family Life. New York, Penguin Books.

فياكوم (Viacom Inc) أنه: "رغم أهمية التلفزيون في حد ذاته للشباب، فهو أيضاً أحد أكثر الأساليب السائدة لتوجيههم عبر الإنترنت، فالترابط بين كل من التلفزيون ووسائل الإعلام على الإنترنت في تزايد مستمر."[49]

عندما اختُرع التلفزيون والحاسوب والإنترنت، لم يتخيل أحد أن هذه الاختراعات سيكون لها أثر بالغ على المجتمعات يغير نمط حياتها بالكامل. وقد تأثر المسلمون بهذه الاختراعات كبقية أتباع الأديان الأخرى على هذا الكوكب. فيتغيب بعض المسلمين عن صلاة الجماعة في المساجد لأن مسلسلاتهم الدرامية المفضلة أو دوري البطولات الرياضية اليومية تُبث على شاشة التلفزيون في نفس توقيت صلوات العشاء. ويجادل بعض المسلمين السذج بأن التلفزيون يعرض الكثير من البرامج الجيدة. قد يكون ذلك صحيحاً، إلا أن التلفزيون يعرض بعد البرنامج الجيد برنامجاً محرماً كبرامج الموسيقى والغناء والرقص والمسلسلات والأفلام (التي يكون موضوعها العشق أو العنف) كي تنسى الموضوع الجيد الذي تعلمته قبلها بقليل. وحالياً، ومع انتشار الإنترنت، أصبح الشباب المسلمون يسهرون حتى وقت متأخر من الليل وهم يتصفحون المواقع ويدردشون ويتغيبون عن صلاة الفجر في اليوم التالي، كما يهمل الشباب الصغار واجباتهم المدرسية لانشغالهم بالتواصل مع

---

49 MarketingCharts staff (May 5, 2009) "TV Still Most Effective for Brands Targeting Youth". http://www.marketingcharts.com/wp/television/tv-still-most-effective-for-brands-targeting-youth-8974/. Retrieved on: Jan 20, 2011.

أصدقائهم على هواتفهم النقالة. وأصبح جلوس الشباب إلى مائدة العشاء والتحدث إلى آبائهم ومناقشة القضايا معهم شيئاً من الماضي. لذا، يبدو كل فرد من الأسرة كأنه مدمن على تلك "المخدرات الكهربائية". وحقاً، لا شيء أخطر على تواصل الأولاد والشباب مع مجتمعهم من التلفزيون والحاسوب والوسائط التفاعلية الأخرى.

جدول: إحصائية حول استخدام التلفزيون والانترنت

| | اجمالي الوقت المستغرق |
|---|---|
| جلوس الشباب الأمريكي أمام التلفزيون | 7 سنوات |
| جلوس الشباب الأمريكي أمام الانترنت | 20 سنة |
| مشاهدة الأطفال للتلفزيون، من سن 2 إلى 5 سنوات | 218 ساعة / أسبوع |
| مشاهدة الأطفال للتلفزيون، من سن 6 إلى 11 سنة | 18.3 ساعة / أسبوع |
| | |
| | النسبة المئوية |
| أُسَر تشغل التلفزيون معظم الوقت ولو لم يكن أحد يشاهده | ٪ 40 |
| أُسَر تشاهد التلفزيون أثناء تناول الوجبات | ٪ 60 |
| أسر لا يحصل بين أفرادها حديث عند مشاهدة التلفزيون | ٪ 78 |

| | |
|---|---|
| الشباب الذين يصرحون أن لديهم قناة تلفزيونية مفضلة يتابعونها دائما | 80 ٪ في أمريكا<br>73 ٪ في المملكة المتحدة (بريطانيا)<br>70 ٪ في ألمانيا<br>88 ٪ في الهند<br>38 ٪ في اليابان |
| **ملخص عن:**<br>تقرير نيلسون لأبحاث وسائل الإعلام: "تقرير عام 2000 حول التلفزيون، الخمسين عامًا الأولى"<br>التلفزيون ونوعية الحياة: كيف تشكل المشاهدة التجربة اليومية. (1990) نيو جيرسي: إرلباوم.<br>"تكنولوجيا وسائل الإعلام الجديدة والشباب" مجلة صحة المراهقين. (2000) العدد 27 صفحة 22 – 29<br>"التلفزيون: أثره على أطفال المدارس" الرأي العام الفصلي. (1951) 15(3): 421 – 444<br>الأطفال ووسائل الإعلام @ الألفية الجديدة (1999 أ) بالو ألتو ، كاليفورنيا: مؤسسة قيصر للأسرة<br>التلفزيون ما زال الأكثر فاعلية لد الأصناف التجارية المستهدفة للشباب (5 أيار 2009)<br>http: //www.marketingcharts.com | |

تكشف لنا الدراسات العلمية الاجتماعية أن التلفزيون يحول أفراد الأسرة إلى غرباء ويعيق النمو الطبيعي للعلاقة بينهم. في إحدى هذه الدراسات، قال 78٪ من مقدمي المعلومات إن لا حديث يحصل بين أفراد أسرهم أثناء مشاهدة البرامج التلفزيونية إلا في وقت الاستراحة عند عرض الإعلانات التجارية. وفيما يلي خلاصة التقرير:

"إن جو التلفزيون عند معظم الأسر هو جو انغماس هادئ من أفراد الأسرة الحاضرين.... يبدو أن التلفزيون يسيطر على حياة الأسرة عندما يكون مشغلاً."[50]

والإحصاءات التي قدمتها مؤسسة هنري كايزر للأسرة ( Henry Kaiser Family Foundation) أكثر إثارة للدهشة، حيث يقول حوالي 40٪ من الأطفال إن التلفزيون يكون مشغلًا في منازلهم معظم الوقت حتى لو لم يكن أحد يشاهده، وتقريبـًا 60٪ من الأسر تشاهد برامج التلفزيون أثناء تناول وجباتهم، وليس بالضرورة على نفس الجهاز.[51]

لقد أثر وجود التلفزيون سلبـًا على مستوى المشاركة الاجتماعية للناس. يشير المؤرخ الاجتماعي من جامعة هارفارد روبرت بوتنام ( Robert Putnam)، إلى هذه الظاهرة في كتابه **البولينج وحده: انهيار وإحياء المجتمع الأمريكي** ( Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community) ويلاحظ أن الناس راحوا يتجهون إلى امتلاك عقلية فردية بدلاً من التفكير الجماعي بدءاً من أواخر ستينيات القرن العشرين وأوائل سبعينيات القرن العشرين، فقد انخفضت مشاركة الناس في الكنائس. كما انخفضت

---

[50] Maccoby, Eleanor E. (1951) "Television: Its impact on school children" *Public Opinion Quarterly*, Vol.15 (3): 421-444.

[51] Roberts, D.F., Foehr, U.G., Rideout, V.J., and Brodie, M. (1999a). *Kids and media @ the new millennium.* Palo Alto, CA: Kaiser Family Foundation.

مشاركتهم في السياسة. وبدأ يقل التفاعل الاجتماعي بينهم. وقد ازداد هذا التوجه بشكل ملحوظ في العقدين التاليين. ووفقا لبوتنام، بدأ هذا الانخفاض في التفاعلات الاجتماعية مع أول جيل تلفزيوني في أمريكا. وعلى حد تعبيره:

> "الزيادة في مشاهدة التلفزيون تعني الانخفاض في كل شكل من أشكال المشاركة المدنية والتفاعل الاجتماعي."(52)

وللأسف، فإن الاعتياد على مشاهدة التلفزيون هو أكثر شيوعـًا بين شباب تراهم يتسمرون أمام التلفزيون. إذ يتابع بوتنام بالقول:

> "إن التعود على مشاهدة التلفزيون المتواجد في كل مكان أكثر انتشاراً بين الأجيال الشابة."(53)

يبدو أن التلفزيون والحاسوب ينقلان عقول مشاهديهما إلى عالم آخر يقلل المشاركة المدنية والتفاعل الاجتماعي عندهم. وقد لخص الناقد الاجتماعي جيمس هوارد كنتسلر (James Howard Kuntsler) ذلك بإيجاز: "التلفزيون هو الرابط الرئيس للأسرة مع العالم الخارجي. ولم تعد جدران المنزل بذاتها تربط حياتهم بالخارج بأي طريقة نشطة، بل هي تمنعهم

[52] Putnam, Robert D. (2000) Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. New York, Simon & Schuster.

[53] المرجع نفسه.

وتبعدهم عنه، وأصبح العالم الخارجي فكرة تجريدية تمر عبر مصفاة التلفزيون، تماماً كما الطقس شيء تجريدي يصفي هواءه مكيف الهواء ".[54]

إن الشباب المسلم يسير على خطى شباب بقية العالم. فبعد وصول التلفزيون وأجهزة الحاسوب إلى منازل العائلات المسلمة، أصبح الشباب المسلم منعزلاً عن المجتمع.

إن النشاط الاجتماعي يضفي طابعاً إنسانياً على الأطفال والشباب على حد سواء، بينما تواجدهم الدائم بصحبة الأجهزة يحولهم إلى آلات خالية من العواطف والمشاعر الإنسانية. ولا يمكن تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة إلا من خلال المشاركة المدنية. وإن أردنا إنقاذ شبابنا، فلنرغب أن يكونوا نشطين اجتماعياً، ليس في عالم التواصل الاجتماعي الافتراضي وإنما في عالم البشر الحقيقي.

## الشباب المسلم والإدمان على وسائل الإعلام

أحد الجوانب الفريدة التي تميز اختراع التلفزيون عن كل الاختراعات السابقة هو أنه لم يكن لأي اختراع آخر قبله تأثير في الأطفال بعمر ست سنوات أو أقل أكثر من تأثيره. وسواء كان ذلك اختراع المصباح الكهربائي أو الهاتف

---

[54] Kuntsler, James Howard (1993) The Geography of Nowhere: The Rise and Decline of America's Man-Made Landscape. New York, Touchstone.

أو السيارة، فإن كل تلك الاختراعات كان لها تأثير في حياة البالغين لكن لم يكن لها أي تأثير ذو أهمية في حياة الأطفال اليومية. بينما وبمجرد دخول التلفزيون إلى الساحة، تغير نمط حياة الأطفال (وإلى حد ما المراهقين) بالكامل – ألعابهم ودراستهم وأنشطتهم وعادات نومهم - كل شيء عندهم تغير.

كتبت المفكرة الأمريكية **ماري وين** (Marie Winn) في كتابها **"المخدرات الكهربائية: التلفزيون والأطفال والأسرة"** (The Plug-In Drug: Television, Children and the Family) أن الأطفال يكونون عند مشاهدة التلفزيون ونتيجة لتأثيره المذهل في حالة لا هي حالة نوم ولا هي حالة يقظة. ومما يلاحظه الأهل عموماً أن الأطفال عندما يشاهدون التلفزيون ويرن الهاتف بجانبهم، فإنهم قلما يردون عليه لأنهم لا يشعرون بما يحيط بهم. تعابير وجههم تتغير وفكهم السفلي يرتخي ويفتحون أفواههم بذهول بينما تبقى عيونهم شاخصة نحو شاشة التلفزيون. لسانهم يتوقف عن الكلام. بطونهم لا تشعر بالجوع فلا يرغبون بتناول الطعام كي لا يضيع عليهم البرنامج الذي يشاهدونه. ولا ينتبهون من نومهم هذا إلا عندما ينتهي البرنامج.[(55)]

---

55 Winn, Marie (2002). The Plug-In Drug: Television, Computers and Family Life. New York, Penguin Books.

وبالطبع، يعاني الشباب الصغار والمراهقون أيضـًا من تأثير مماثل أمام التلفزيون، ولكن لأنهم ليسوا بسذاجة وبساطة الأطفال يستطيعون إخفاء مدى تأثير التلفزيون عليهم. ويلاحظ الأهل في كثير من الأحيان ظاهرة "حدة طبع ما بعد التلفزيون" لدى أولادهم وأطفالهم، إذ تحصل مشاحنات ومجادلات بين الأشقاء فور انتهاء البرامج التلفزيونية أو الأفلام. وحتى البالغين يشعرون بنوع من الفراغ في نهاية البرامج أو الأفلام. وقد يكون هناك أساس علمي لهذا السلوك. وقد فسرت ماري وين ظاهرة "حدة طبع ما بعد التلفزيون" لدى الأطفال بعد المشاهدة على أنها قد تكون مشابهة لظاهرة "نزق ما بعد النوم" التي نلاحظها لدى أولادنا. والسبب في هذا النزق هو أنهم عندما يستيقظون من النوم، يكونون قد خرجوا للتو من إحدى حالات الدماغ الواعية (النوم) ودخلوا في حالة أخرى من حالات الدماغ الواعية (اليقظة). وإن كانت هذه الفرضية صحيحة، تطرح وين تساؤلاً مهمـًا:

> "إن كان الأمر كذلك، فما هي حالة وعي الطفل أثناء مشاهدة التلفزيون؟ هل هي حالة مختلفة عن حالة الاستيقاظ؟ جميعنا نعرف حالات الوعي الناجمة عن المخدرات."[56]

[56] المرجع نفسه.

هنا، تثير ماري وين سؤالاً يستحق التفكير. فقد أظهرت الدراسات العلمية، في الواقع، أنه عند الانتقال من النوم إلى اليقظة أو من اليقظة إلى النوم، تتغير أنماط موجات الدماغ. وهذا التغيير كاف في كثير من الأحيان لإحداث النوبات لدى الأطفال الذين يعانون من اضطرابات النوبات واختلالات عصبية. ومن الواضح أن الأطفال لا يكونون في حالة نوم حقيقي عند مشاهدة التلفزيون. وهذا يعني أن مشاهدة التلفزيون تحدث نوعاً ثالثاً من الحالة الواعية مختلفة عن حالتي اليقظة والنوم وتشبه كثيراً حالة الوعي التي تسببها المخدرات والكحول. ويمكن التحقق أكثر من صحة هذه الملاحظة عند مقارنة قراءة كتاب بمشاهدة التلفزيون كما تقول وين:

"من المؤكد أن التجارب الأخرى ايضاً، ولا سيما القراءة، توفر استراحة مؤقتة من الواقع. لكن التوقف عن القراءة والعودة إلى الواقع أسهل بكثير من التوقف عن مشاهدة التلفزيون. فالدخول إلى عوالم أخرى الذي تمنحه القراءة يتضمن تذكرة عودة في متناول اليد، أما دخولها عبر التلفزيون فلا. وبذلك فإن مشاهدة التلفزيون، بالنسبة للذين لديهم قابلية الوقوع في الإدمان، تشبه إلى حد كبير شرب الكحول أو تعاطي المخدرات - بمجرد أن تبدأ، يصعب التوقف. وتماماً كما أن المدمنين على الكحول يكونون على درجة ضئيلة من إدراك مدى إدمانهم ويظنون أنهم

يسيطرون على مقدار شربهم أكثر مما يفعلون في الواقع... فإن كثيراً من الناس يبالغون في تقدير سيطرتهم على أنفسهم في مشاهدة التلفزيون."[57]

وهذا الإدمان نفسه يصيب شبابنا (وحتى المسنين) الذين يقضون الكثير من وقتهم كل يوم في زيارة شبكات التواصل الاجتماعي. وكما يشير ميرزا ياور بيك (Mirza Yawar Baig):

"وإلى أين يؤدي هذا [تصفح فيسبوك أو تويتر أو شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى]؟ إلى الإدمان والسُكر. الإدمان على مشاهدة ما يفعله الآخرون وإخبار الآخرين بما تفعله أنت يوميًا، وساعة بساعة، ودقيقة بدقيقة.... لا تحب كلمة "السُكر"؟ إذاً، لا تدخل إلى حسابك على فيسبوك أو تويتر ليومين وراقب نبض قلبك وضغط دمك واهتزاز مؤشر فأرتك، مهما يكن، وستفهم ما أقصده."[58]

---

[57] Winn, Marie (2002). The Plug-In Drug: Television, Computers and Family Life. New York, Penguin Books.

[58] Baig, Mirza Yawar (May 20, 2010) "*Facebook: Social Networking or Social Engineering?*". http://www.albalagh.net/current_affairs/0103.shtml. Retrieved on: Oct 16, 2012.

عندما يستخدم الناس الإنترنت، سواء كانوا شباناً أم بالغين، فإنهم في أغلب الأحيان لا يكونون واعين لما يحيط بهم، وهذه حالة تشبه كثيراً حالة السُكر بعد تناول الكحول أو المخدرات. وليس ذلك فحسب، بل يمكن، في بعض الأحيان، أن يتغلب مدمنو المخدرات على إدمانهم من خلال إدمان الإنترنت. وفي هذا الصدد، يثير اهتمامنا بيان الدفاع الذي أدلى به في المحكمة الألمانية كريستيان جروثر (Grotheer Christian)، **"أول قاتل إنترنت في ألمانيا"** الذي سنناقش قضيته لاحقاً. لكن ما نود أن نذكره هنا هو أن كريستيان كان له تاريخ في تعاطي المخدرات في بداية حياته ثم انغمس بعد ذلك في الدردشة على الانترنت. وكان السبب الذي أعلنه أمام القاضي بشأن انتقاله إلى الدردشة على الإنترنت هو أن الدردشة على الإنترنت "ساعدته على التعافي من إدمانه على المخدرات."(59)

تحدث توماس مونتغمري (Thomas Montgomery) عن نفس المشاعر عندما أخبر مراسل إي بي سي نيوز (ABC News) أن ممارسة الجنس الافتراضي، خلال علاقته مع "جيسي – Jessi"، جعله "يشعر بأنه قذر نوعاً ما"، لكنه كان منغمساً إلى حد لا يقوى معه قطع علاقته بها لأنه أدمن على هذه العلاقة على الإنترنت. قال مونتغمري لمراسل الأخبار:

---

59 “Christian Grotheer - Germany's First Internet Murderer Convicted”. (Updated on April 01, 2009) CMM – Crime, Mystery & Mayheim http://cmm.lefora.com/2009/02/09/christian-g-labeled-by-media-as-germanys-first-int/ Retrieved on: Nov. 01, 2012.

"لو كنت ذكيـًا، لأنهيت العلاقة فوراً، لكنها كانت كمخدر أحتاجه كل يوم."(60)

أوردت وكالة أسوشيتد برس، في الآونة الأخيرة، خبراً عن حادثة وقعت في غريلي (Greeley)، في ولاية كولورادو، مفاده أن امرأة كانت منغمسة في مشاركة الصور ومقاطع الفيديو وممارسة الألعاب على فيسبوك إلى درجة أن ابنها البالغ من العمر ثلاثة عشر شهراً توفي في حوض الحمام وهي لا تشعر. وقد حكم عليها قاضي المقاطعة توماس كوامن (Thomas Quammen) بالسجن لمدة 10 سنوات. وقد أوضحت وثائق المحكمة المؤرخة في 20 أيلول 2010، أن شانون جونسون (Shannon Johnson) البالغة من العمر 34 عامـًا تركت ابنها البالغ من العمر 13 شهراً في حوض الاستحمام في الساعة 8:30 صباحـًا كي يستحم وذهبت إلى غرفة أخرى ودخلت إلى حسابها على فيسبوك للاطلاع على مقاطع الفيديو ومشاركة الصور والتحقق من تحديثات الحالة وممارسة لعبة كافيه وورلد (Café World) على فيسبوك. فاستغرقت بانشغالها على الانترنت حتى أنها لم تشعر بمقدار ما مر من الوقت. ولما عادت أخيراً إلى الحمام، وجدت ابنها في حوض الحمام ميتـًا ووجهه للأسفل. ووفقا لصحيفة غريلي تريبيون (The Greeley Tribune) وهي صحيفة

---

[60] Avila, Jim, Martz, Geoff and Napolitano, Joanne (Aug 27, 2011) "Online Love Triangle, Deception End in Murder" *abc News : abc 2020*. http://abcnews.go.com/US/online-love-triangle-deception-end-murder/story?id=14371076 Retrieved on: Nov. 01, 2012.

محلية، فقد حكم قاضي المقاطعة كوامن (Quammen) الحكم بالسجن على شانون لمدة 10 سنوات وقال لها:

"لقد تركتِ هذا الصبي الصغير في حوض الاستحمام كي تستمتعي بممارسة الألعاب على الكمبيوتر. وتركت ذلك الإنسان البالغ من العمر 13 شهراً، جوزيف الصغير، لتلك الأسباب التي لا يمكن تصورها."[(61)]

هذا هو الإدمان والسُكر اللذان يحدثهما استخدام الإنترنت وشبكات التواصل أمثال فيسبوك واللذان تغلبا على مشاعر الأمومة لدى تلك المرأة. لقد تركت ابنها ليغرق في حوض الاستحمام لمجرد أنها كانت منشغلة بمشاركة الصور أو مقاطع الفيديو وممارسة الألعاب على فيسبوك.

خلاصة القول، إن وسائل الإعلام الإلكترونية لديها القدرة على إصابة أطفالنا وشبابنا بالإدمان وإحداث السكر لديهم. فعندما يطيلون الاتصال بالإنترنت أو يشاهدون التلفزيون لفترة من الزمن، يعانون من "حدة طبع ما بعد

---

[61] "Mom on Facebook sentenced in son's drowning death." (April 15, 2011) The Associated Press (aolnews.com, Crime section) http://www.aolnews.com/2011/04/15/mom-on-facebook-sentenced-in-sons-drowning-death/. Retrieved on: Oct 17, 2012.

التلفزيون" و "نزق ما بعد الكمبيوتر" أو حتى "ذهول ما بعد الإنترنت". يشغِّل الناس تلفزيونهم لمشاهدة برامج معينة أو يتصفحون مواقع معينة على الانترنت فينتهي بهم الأمر إلى الإدمان على ذلك، دون علمهم.

ومن أحد أهم أسباب ارتكاب الفظائع بحق المسلمين في أنحاء العالم اليوم وأن دماءهم أصبحت أرخص من دماء الناس في أي أمة أخرى هو أن شبابنا وكبارنا يعيشون حالة النائم الماشي. إننا بحاجة إلى الاستيقاظ. وقلب الإنسان لا يطمئن إلا بذكر الله. وقد أنبأنا القرآن بذلك:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة الرعد: 28)

إن القرآن نور إلهي، وبالتالي، فإن تلاوته تهدئ نفوسنا وتريحها.

وعلى العكس، فإن أشعة الكاثود (الأشعة المهبطية) المنبعثة من الأجهزة الإلكترونية كالتلفزيون والكمبيوتر وأجهزة الوسائط الأخرى هي أنوار اصطناعية لا تخلق سوى القلق في قلوب شبابنا. لذلك، فإن الحل الأمثل لإدمان شبابنا على وسائل الإعلام الإلكترونية هو بكل بساطة الحد من استخدامهم للتلفزيون والإنترنت وألعاب الفيديو والكمبيوتر. وعوضاً عن ذلك، ينبغي تشجيع شباب المسلمين على استثمار وقت فراغهم بطلب العلوم

الإسلامية والمشاركة في الخدمات المجتمعية كي يكونوا نافعين مفيدين لمجتمعهم الإسلامي.

## الشباب المسلم وصناعة الإعلان

الإعلان شكل من أشكال التواصل غايته التسويق ووظيفته جذب الانتباه وإثارة الاهتمام وإيقاظ الرغبة وضمان الفعل. وقد اختُرِع الإعلان بحد ذاته للتأثير على الناس. والشباب هم اليوم الهدف الرئيس لصناعة الإعلان الرأسمالية. إذ تدرك تلك الشركات أنها إن نجحت في كسب العميل الشاب، فقد تكسب ولاءه مدى الحياة. فالشباب هم المستهلكون اليوم وكذلك هم المستهلكون في المستقبل. وشركات الإعلان تعرف جيداً أن الشباب والشابات يتقبلون الأشياء الجديدة بسهولة. بالإضافة إلى أن الشباب لا يمتلكون من المعرفة والخبرة ما يمتلكه المسنون، وبالتالي، ليس بمقدورهم اختبار كل سلعة معلن عنها وتحليلها. ولذلك، يكون الشباب أكثر عرضة لتأثير الرسائل الإعلانية من البالغين الناضجين أو المسنين. علاوة على كل هذا، وبسبب الضغط النفسي الذي يتعرضون له من الأقران، يسارع الشباب إلى تقليد أقرانهم وتقليد أشخاص يتخذونهم قدوة لهم. لذلك، تخصص الشركات جزءاً كبيراً من ميزانيتها للإعلان بهدف بيع منتجاتها للشباب.

صنَّف خبراء التسويق الشباب إلى مجموعات كي يخصصوا هدف التسويق في إعلاناتهم: تسويق للسن المحير (Tween Marketing) ويستهدف الأشخاص من سن 8 إلى 12 عامـًا، وتسويق للمراهقين ( Teen Marketing) ويستهدف الأشخاص من سن 13 إلى 19 عامـًا، وتسويق لطلاب الجامعة (College Marketing) ويستهدف طلاب الجامعات، وتسويق للشباب (Young Adult Marketing) ويستهدف الشبان والشابات أصحاب المهن في سن 22 وما بعد. وفي هذا السياق، أجرت شركة فياكوم الدولية لحلول العلامة التجارية ( Viacom Brand Solutions International – VBSI) دراسة كبرى أخرى في الفترة ما بين شهري كانون الثاني وآب من عام 2008 على أكثر من 25.000 مشارك تتراوح أعمارهم بين 16 و 46 عامـًا من 18 دولة مختلفة بما في ذلك الأرجنتين وأستراليا والبرازيل والصين والدنمارك وألمانيا وهولندا وإيطاليا والهند واليابان والمكسيك ونيوزيلندا وبولندا وإسبانيا والمملكة العربية السعودية والسويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وصنفت شركة فياكوم (VBSI) في هذه الدراسة الشبان والشابات إلى ثلاث مجموعات وفقـًا لسلوكهم الاستهلاكي: الشباب من سن 16 إلى 19 عامـًا في مرحلة "الاكتشاف"، والشباب من سن 20 إلى 24 عامـًا في مرحلة "التجريب"، والشباب من سن 25 إلى 34 عامـًا في مرحلتهم "الذهبية". كانت إحدى نتائج هذه الدراسة أن الشباب الذين تتراوح

أعمارهم بين 24 و 34 عاماً لا يستجيبون عادة لنفس أساليب التسويق كالمراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و 19 عاماً. كما اكتشفت الدراسة أن المراهقين كانوا يركزون كثيراً على القيمة المادية ويشترون العلامات التجارية التي تبرز شخصيتهم. ومن جهة أخرى، كان شباب المرحلة "الذهبية" الذين تتراوح أعمارهم بين 24 و 34 عاماً ينجذبون أكثر نحو العلامات التجارية باهظة الثمن و في كثير من الأحيان نحو العلامات التجارية الفاخرة لتأكيد شخصيتهم. وفي هذا الصدد، يقول كيفن رازفي ( Kevin Razvi)، نائب الرئيس التنفيذي والعضو المنتدب لشركة فياكوم:

> "يستمر الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و 34 عاماً في استهلاك الموسيقى والأغاني والألعاب والإنترنت ويستمتعون بمواصلة سنوات شبابهم طالما أنهم يستفيدون من مستوى أعلى من الحرية الشخصية والمالية."[(62)]

تستغل شركات تسويق العلامات التجارية الناجحة دوافع الشباب واهتماماتهم الرئيسة كالأغاني والأزياء وألعاب الفيديو والرياضة والإعلام لإثارة اهتمامهم. على سبيل المثال، يشير جول روبنسون (Jules Robinson)

---

[62] Solutions International, Viacom Brand's. "Youth No Longer Defined by Chronological Age Consumers Stay Younger Longer". http://www.marketingcharts.com/topics/asia-pacific/youth-no-longer-defined-by-chronological-age-35-is-new-18-6530/. Retrieved 11 October 2012.

النائب الأول لرئيس شركة فياكوم الدولية لحلول العلامة التجارية إلى تأثير التسويق التلفزيوني على الشباب على النحو التالي: "رغم المناخ الاقتصادي والظروف الصعبة للمعلنين، ما زلنا نرى قدرة مؤكدة للإعلان التلفزيوني على الوصول إلى جمهور الشباب المستهدف بطريقة مباشرة وأكثر تأثيراً".[(63)]

إن العديد من المعلنين، وبسبب حماسهم لبيع سلعهم، يقبلون القيام بممارسات مرفوضة خالية من أي حس أخلاقي أو قيمة معنوية. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما يستخدمون رسائل تحت العتبة (خفيّة) في الإعلانات من أجل زرع الرسالة المعلن عنها في لاوعي المشاهدين. ففي مجال الإعلان عموماً وبالفعل، كما تشير دينيس وين (Denise Winn):

"ليست الرسالة الظاهرية هي المهمة، بل الرسالة الخفية التي تثير شعوراً كبيراً بالذنب أو عدم الإطمئنان في لاوعي المشاهد يمكن تخفيفه بشراء المنتج".[(64)]

كما يستخدم المعلنون التسويق المدمج الذي يتضمن مَوضَعة المنتج، أي وضع منتج العلامة التجارية المعلن عنه في إعلان بدون أي سياق،

---

[63] MarketingCharts staff (May 5, 2009) "TV Still Most Effective for Brands Targeting Youth". http://www.marketingcharts.com/wp/television/tv-still-most-effective-for-brands-targeting-youth-8974/. Retrieved on: December 01, 2012.

[64] Winn, Denise (2002). The Manipulated Mind: Brainwashing, Conditioning and Indoctrination. Cambridge, Massachusetts, Marlor Books.

مثل مقاطع فيديوهات الأغاني أو الأفلام أو في منتصف المسلسلات التلفزيونية أو برامج الأخبار.

واليوم، تنتشر بين الشباب المسلم ثقافة الوجه الحليق. وهناك عوامل مختلفة تساهم في هذا التوجه بين الشباب المسلم من ضمنها عقدة الشعور بالنقص مقابل ثقافة الغرب في الوجه الحليق النظيف، وتمجيد نجوم السينما والرياضة حليقي اللحية في الأفلام والأخبار، إلخ. وبالإضافة، فإن صناعة منتجات الحلاقة التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات لها أيضاً نصيبها في تعزيز ثقافة حلاقة اللحية بين الشباب المسلم. فمثلاً، في العدد الصادر في 27 أيلول 1989 من مجلة أدفيرتايزنغ أيج (Advertising Age)، احتلت شركة جيليت (Gillette) المرتبة 59 في قائمة 100 معلن وطني رائد في الولايات المتحدة لأنها أنفقت 160.5 مليون دولار أمريكي على الإعلان عن منتجاتها (وفي طليعتها الشفرات وأمواس الحلاقة).[65] وذكر التقرير أن أحد أهداف إعلانات ترويج منتجات الحلاقة هو "كسب العملاء الأصغر سناً."[66] والمعلنون يضعون دائماً في اعتبارهم غرائز الشباب الأساسية عند صياغة إعلاناتهم. ومثالاً على ذلك، يمكن أن نأخذ إعلاناً تلفزيونياً عادياً لمنتجات الحلاقة كمثال:

[65] "100 Leading National Advertisers." (1989). *Advertising Age.* 60(42): 70-75.

[66] المرجع نفسه.

يعرضون في المشهد الأول من الإعلان شاباً يحلق لحيته، ثم يعرضون في المشهد التالي نفس الشاب الحليق بصحبة فتاة شابة. ومثل هذا الإعلان التلفزيوني يترك انطباعاً في ذهن المشاهد مفاده أن النساء يحببن الرجال حليقي اللحية. وعلى نفس المنوال، في إعلانات الوسائل المطبوعة كالمجلات أو اللوحات الإعلانية، قد تعرض شركة حلاقة رجلاً حليق اللحية يحتضن شابة وبجوارهما مباشرة يُعرض أحد منتجات الحلاقة كشفرة حلاقة أو معجون حلاقة أو غسول ما بعد الحلاقة. (67)

من خلال استخدام الشابات الجذابات في الإعلانات مراراً وتكراراً، شوّه المسوقون معيار جمال الأنثى تماماً في نظر الرجال والنساء على حد سواء. فقد أصبحت الفتيات والشابات، ليس غير المسلمات فحسب، بل والعديد من المسلمات أيضاً، مهووسات بفكرة الحصول عل جسم في غاية النحافة خال من الشحوم. فيصبح البعض منهن ضحايا لفقدان الشهية العصبي، وأحيانا يتعمدن تجويع أنفسهن حتى الموت في محاولة لتحقيق معيار

---

[67] الدكتور جوهر مشتاق، "مجد الوجه لحيته: في ضوء القرآن والسنة و الدراسات العلمية الاجتماعية الحديثة". دار النقش للنشر، سوريا. سنة النشر: 2024م

الجمال المعروض في الإعلانات، حيث تُعرض صورة الشابة النحيلة في الإعلانات على أن شكلها هو المعيار الذهبي للجمال وذلك يساعد أصحاب رؤوس الأموال كثيراً على بيع منتجات المكياج ومستحضرات التجميل ومنتجات إنقاص الوزن للنساء. وقد كانت دينيس وين (Denise Winn)، الصحفية البريطانية المتخصصة في علم النفس، تتحدث عن عقلية المعلنين هذه في كتابها **"الدماغ المغسول"** (The Manipulated Mind)، عندما كتبت:

> "لا يكفي استهداف الفتيات فوق سن الرابعة عشرة ودون الحادية والعشرين وحسب، بل من الأفضل التركيز على الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين اللواتي ينتمين لمنازل محافظة ومنزعجات من وزنهن ويشعرن بالذنب حيال التقصير مع أنفسهن، وبناء على ذلك يتحدثن عن تسوق المنتجات. وكما أن الاعتراف بالذنب قد يجلب الارتياح من الهم، فإن شراء منتج معين قد يفعل ذلك أيضاً."[68]

والشيء نفسه يحصل في الإعلان عن منتجات التبغ بين الشباب. فصناعة التبغ تفقد العملاء باستمرار لأن العديد من المدخنين يقلعون عن التدخين بينما يموت الكثير من المدخنين الآخرين بسبب الأمراض المرتبطة

---

[68] Winn, Denise (2002). The Manipulated Mind: Brainwashing, Conditioning and Indoctrination. Cambridge, Massachusetts, Marlor Books.

بالتبغ (مثل سرطان الرئة). والشباب المسلم ليس بمنأى عن الإعلانات المتداولة عن منتجات التبغ التي تظهر على وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية. وقد يؤدي التدخين لدى العديد من الشباب في النهاية إلى تعاطي المخدرات كالهيروين والكوكايين ومخدر الهلوسة إل سي دي (LSD) وما إلى ذلك. وقد ورد في تقرير صدر مؤخراً عن الجراح العام في الولايات المتحدة أن إعلانات التبغ تستهدف الشباب، وهناك أدلة كافية تثبت العلاقة بين إعلانات شركات التبغ والتشجيع على عادة التدخين بين الشباب. يقول الدكتور مانسي كانسال ترافرز (Dr. Maansi Kansal-Travers) من معهد روزويل بارك للسرطان (Roswell Park Cancer Institute): "نحن نعلم أن تسويق التبغ ينجح. ونعلم أن صناعة التبغ تنفق على التسويق أكثر من مليون دولار في الساعة وما يزيد عن 10 مليارات دولار سنوياً. وهي تعزز الشعور بأن التدخين يجعلهم [أي الشباب] يبدون في مظهر رائع ويجعلهم أكثر جاذبية ويجعلهم يندمجون مع أصدقائهم. إن التسويق يجعل التدخين يبدو أمراً عادياً."[69]

أمر آخر يثير الاهتمام ويتعلق بالإعلانات التي تستهدف الشباب يكمن في تسويق الكحول، إذ يستهدف مصنعو النبيذ والمشروبات الروحية

---

[69] Ostrow, Peter (March 08, 2012). “Report shows tobacco ads target teens”. WIVB.com, Health News. http://www.wivb.com/dpp/health/health_news/report-shows-tobacco-ads-target-teens. Retrieved: Oct. 12, 2012.

والجعة في المقام الأول الشبان والشابات في إعلاناتهم. نقلت مجلة صحة المراهقين (The Journal of Adolescent Health)، في الآونة الأخيرة، دراسة مفصلة جرى فيها قياس علاقة المحتوى الإشكالي في إعلانات الكحول بتعرض الشباب له. وكانت هذه الدراسة الأولى من نوعها التي تدرس السلوكيات الخطرة التي عُرضت في إعلانات الكحول في العقد الماضي، وتألفت من تحليل محتويات 1261 إعلان كحول فريد عن "المرطبات الكحولية أو البيرة أو المشروبات الروحية أو النبيذ" ظهرت أكثر من 2600 مرة في 11 مجلة مختلفة لها جمهور كبير من القراء الشباب بين عامي 2003 و 2007. كما أجرت الدراسة مراجعة للإعلانات من حيث الموضوعات المتعلقة بالضرر والإفراط في الاستهلاك والإدمان والرسائل ذات الصلة بالجنس. فأظهرت نتائجها أن إعلانات الكحول هذه كانت في كثير من الأحيان تعرض شرب الكحول بالقرب من المسطحات المائية أو فوقها (لزيادة جاذبية الرسالة) وأرسلت رسائل تدعم إدمان الكحول. بالإضافة إلى أن حوالي 20 ٪ من الإعلانات كانت تتضمن محتوى متعلق بالجنس.[70]

[70] Rhoades, Elizabeth & Jernigan, David H. (2012) “Risky Messages in Alcohol Advertising, 2003–2007: Results From Content Analysis”. *Journal of Adolescent Health*. DOI: 10.1016/j.jadohealth.2012.04.013

وقد أجرى هذه الدراسة مركز تسويق الكحول والشباب ( Center on Alcohol Marketing and Youth – CAMY) في كلية جونز هوبكنز بلومبرج للصحة العامة ( Johns Hopkins Bloomberg School of Public Health). وتعليقـاً على نتائجها، قال مدير المركز والباحث المشارك في الدراسة ديفيد جيرنيجان (David Jernigan):

"خلاصة القول هنا هي أن الشباب يتعرضون لهجمات من إعلانات المشروبات الروحية والجعة في المجلات الموجهة إلى من في عمرهم من السكان مراراً وتكراراً.... حيث وجدت 14 دراسة على الأقل أنه كلما زاد عدد الشباب الذين يتعرضون للإعلان عن الكحول وتسويقه زاد احتمال شربهم له، وإن كانوا ممن يشربونه مسبقـاً زاد مقدار شربهم له. إن وينبغي أن يكون هذا التقرير بمثابة نداء استيقاظ للآباء والأمهات ولأي شخص يهتم بصحة الشباب."(71)

إن شرب الكحول يتسبب كل عام في 4700 حالة وفاة من الشباب الذين تقل أعمارهم عن 21 عامـاً، هذا بالإضافة إلى أن له علاقة بالأسباب

---

71 Parson, Tim (August 8, 2012) “Alcohol Advertising Standards Violations Most Common in Magazines with Youthful Audiences” Report by: Center on Alcohol Marketing and Youth (CAMY), Johns Hopkins Bloomberg School of Public Health, Baltimore, Maryland.

الرئيسة الثلاثة لحالات الوفاة بين الشبان والشابات: حوادث السيارات، والقتل، والانتحار.[72]

وباختصار، تحظى إعلانات العصر الحديث اليوم بالدعم الكامل من وسائل الإعلام الإلكترونية وتستهدف الشباب بفعالية أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية. وفي عصر الدجال الحديث هذا، لا تروج الإعلانات لممارسة الفساد كالتدخين والاستمتاع العنيف وشرب الكحول وفقدان الشهية العصبي وثقافة الوجه الحليق فحسب، بل تروج أيضاً لأسلوب حياة اصطناعي يركز على النفس. إنها تؤثر في سلوك الشباب الاجتماعي باستخدام الضغط النفسي. إنها تستغل رغبات المستهلكين الشباب باستهداف نقاط ضعفهم العاطفية وجعل المنتجات تبدو جذابة لهم. إن صناعة التسويق تبتكر أذواقاً وأزياءً ورغباتٍ في منتجات معينة بطريقة تجبر العديد من الشباب إلى شراء أشياء تفوق إمكانياتهم المالية، في حين يشعر البعض الآخر بالإحباط لعدم قدرته على امتلاك تلك المنتجات. ومما يثير الاهتمام، أن الإعلانات بطبيعتها وبأسلوبها الذي تقدم به الرسالة للمشاهدين، تشبه إلى حد كبير

[72] المرجع نفسه.

وساوس الشيطان. فهو يغرس الوساوس في قلوب البشر بأساليب جذابة جداً تقوم بفعلها على الناس. يقول القرآن عن وساوس الشيطان:

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ (سورة الناس: 5)

إن الاستراتيجية التي يستخدمها المعلنون الذين يستهدفون الشباب تشبه كثيراً أسلوب الهجوم الذي يستخدمه الشيطان ألا وهو إظهار حثالة البشر "بمظهر جذاب" كما يخبرنا القرآن:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾(سورة الأنعام: 43)

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (سورة الأنفال: 48)

وفي الآخرة يعترف الشيطان بذلك عند إرساله إلى جهنم أمام كل الذين اتبعوه في الحياة الدنيا. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن ذلك في القرآن الكريم:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟

أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ

بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾

(سورة ابراهيم: 22)

هناك مصطلح في لغة الفنون الجميلة يسمى "الإغراء" والذي يعني الإبعاد عن الواجب أو الاستقامة أو العفة. وهذا هو بالضبط ما تفعله العديد من الإعلانات عندما تستغل الرغبات الجسدية للشباب لتسويق منتجاتها. فالإعلانات تجعل كل شيء يبدو مغرياً جذاباً في عيون المشاهدين. وفي النهاية، إن فكرة الإعلان برمتها هي: إغراء المستهلكين.

## الشباب المسلم والموسيقى والغناء

انتشرت الموسيقى والأغاني اليوم بسبب انتشار آلات التسجيل والأجهزة الإلكترونية. وللموسيقى والغناء آثار عميقة على نشأة الشباب الاجتماعية وسلوكهم. وقد درس تقرير عام 1999 الصادر عن مؤسسة هنري كايزر للأسرة (Henry Kaiser Family Foundation) توجهات الشباب من حيث علاقة الوسائط الصوتية بدراستهم. وجاء فيه:

"بدلا من انخفاض نسبة استخدام الوسائط الصوتية (الأقراص المدمجة والأشرطة والراديو) خلال فترة المراهقة، تستمر النسبة في الارتفاع طوال السنوات الثماني عشرة الأولى، حيث تتضاعف تقريباً ما بين سن 8 إلى 13 عاماً وسن 14 إلى 18 عاماً - وهو دليل واضح على اهتمام المراهقين المتزايد بالموسيقى والأغاني الشعبية."[73]

ولوحظ في هذا التقرير، فيما يتعلق باختيار نوع الأغاني بين الشباب في سن الدراسة، أن هناك نوعين من الأغاني سائدان بينهم. 53٪ من طلاب المدارس المتوسطة والثانوية يستمعون إلى موسيقى وأغاني الراب أو الهيب هوب بينما يستمع 42٪ من شباب المدارس بدلاً منها إلى موسيقى الروك.[74] ويؤكد البروفيسور ألان بلوم (Professor Allan Bloom)، وهو مفكر أمريكي وأستاذ في جامعة شيكاغو، ولديه أيضاً خبرة في تدريس الطلاب في جامعة ييل وجامعة باريس وجامعة تورنتو وجامعة كورنيل، في كتابه **"إغلاق العقل الأمريكي"** (The Closing of the American Mind) أن نسبة كبيرة من الشباب اليوم مدمنون على الموسيقى والأغاني. وأغاني العصر هي شغفهم،

---

[73] Roberts, D.F., Foehr, U.G., Rideout, V.J., and Brodie, M. (1999a). *Kids and media @ the new millennium.* Palo Alto, CA: Kaiser Family Foundation.

[74] المرجع نفسه.

"لا يمكنهم أخذ أي شيء خارج الموسيقى والغناء على محمل الجد". وسواء كانوا في المدرسة أو مع عائلاتهم، "فإنهم دائماً يتوقون إلى العودة للانغماس في أغانيهم وموسيقاهم."[75]

يؤكد البروفيسور بلوم، استنادا إلى ملاحظاته على لطلاب في جميع أنحاء العالم، أن الإدمان على الموسيقى والغناء لدى شباب العصر الحديث هو ظاهرة عالمية، فيكتب:

> "لك أن تتخيل صبياً يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يجلس في غرفة المعيشة في منزل عائلته يحل واجب الرياضيات وهو يضع سماعات مشغل الموسيقى على أذنيه أو يشاهد قناة إم تي في (MTV)... قد يبدو هذا الوصف مبالغاً فيه، لكن قليل فقط من الناس من يعده مبالغة. فالاستماع المستمر لموسيقى الروك هو حقيقة لا تقتصر على فئة معينة أو نوع معين من الأطفال. ولا يحتاج المرء سوى أن يسأل طلاب الجامعات في السنة الأولى عن الموسيقى والأغاني التي يستمعون إليها وإلى مقدار ما يستمعون إليه منها وماذا تعني لهم حتى يكتشف أن عادة الاستماع للموسيقى ظاهرة عالمية.... وأنها تبدأ في مرحلة

75 Bloom, Allan (1987). The Closing of the American Mind. New York, Simon & Schuster Inc.

المراهقة أو قبل ذلك بقليل وتستمر خلال سنوات الجامعة. إنها ثقافة الشباب.... ليس لديهم الآن غذاء آخر للروح يوازيها."[76]

ولقد أصبح الشباب المسلم مدمنًا على الموسيقى والغناء تمامًا كالشباب غير المسلمين في بقية أنحاء العالم. ومما لا شك فيه أن الاستماع إلى الموسيقى حرام حسبما ورد في القرآن:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ ﴾

(سورة لقمان: 6)

سُمع عبد الله بن مسعود - وهو يُسأل عن هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فقال عبد الله بن مسعود: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.[77] وقال ابن عباس: (لهو الحديث) هو الغناء وأشباهه. وكذا قال جابر بن عبد الله.[78]

---

76 المرجع نفسه.

77 ابن جرير الطبري "جامع البيان في تأويل آيِ القرآن" (21 /40)

78 ابن كثير، حافظ عماد الدين أبو الفداء. "تفسير ابن كثير"، (3 /451)

وكذلك كتب الإمام القرطبيّ في تفسيره شارحـًا هذه الآية: من بين كل الشروح لعبارة "لهو الحديث" فإنّ المعنى الأنسب هو: الغناء، وهذا هو رأي الصحابةِ وتلاميذِهِم التابعين.[79]

كذلك قال الله سبحانه وتعالى في القرآن مخاطبـًا الشيطان:

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ (سورة الإسراء: 64)

وفسر بعض التابعين كالضحاك وحسن البصري ومجاهد استفزاز الشيطان للناس بصوته يعني الموسيقى والغناء واللعب. قال الضحاك إنه المزامير. وقال ابن عباس: صوته كلّ داع دعا إلى معصية الله عز وجل.[80]

ودليل آخر على تحريم الموسيقى هو الحديث الذي ورد في صحيح البخاري عن أبي مالك الأشعري عن النبي محمد ﷺ أنه قال:

**ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ** (صحيح البخاري)[81]

---

[79] الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي "الجامع لأحكام القرآن". (14 /55)

[80] ابن القيم الجوزية "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان".(1 /265)

يتضح من هذا الحديث أن الآلات الموسيقية محرمة تماماً كتحريم الزنا ولبس الرجال الحرير وشرب الخمر. وفي حديث آخر قال النبي ﷺ عن علامات آخر الزمان:

**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا يُعزَفُ عَلى رُءوسِهِمُ بِالمَعازِفِ والمُغَنِّيَاتِ يَخسِفُ اللهُ بِهِمُ الأرضَ ويَجعَلُ مِنهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ.**

(سنن ابن ماجة)[82]

ومن ثم، فإن إحدى علامات نهاية الزمان هي أن الناس "يحملون الآلات الموسيقية على رؤوسهم". واليوم نشاهد أشخاصاً يسيرون بسماعات تصدح بالموسيقى على رؤوسهم، فنرى أن نبوءة عمرها ما يقرب من 1400 عام تتحقق. وتعليقاً على الاختراع الأخير لأجهزة الموسيقى المحمولة على الرأس، يلاحظ الباحثان الطبيان إليزابيث إف. براون ( Elizabeth F.

---

81 صحيح البخاري (كتاب الأشربة)، عن أبي مالك الأشعري، الصفحة أو الرقم:5590، حديث صحيح

82 أخرجه ابن ماجه في السنن، رقم 4069، وابن أبي شيبة في "المصنف" 7/ 465، وصححه ابنُ تيمية في "إقامة الدليل" 6/ 37، وابن القيم في "إغاثة اللهفان" 1/ 278.

Brown)، دكتورة في الطب، وويليام آر. هندي (William R. Hendee)، دكتوراه، أن أجهزة الراديو كانت خلال الفترة الأولى من انتشار موسيقى الروك كبيرة الحجم صعبة الحمل، لكن بالنسبة لشباب اليوم، "فالموسيقى متاحة لهم في كل مكان " نظراً لما يأتي:

"عند ظهور الراديو الترانزستور أصبح ممكنـًا حمل الموسيقى والتنقل بها. ثم، وفي الفترة الأخيرة، أتاحت ابتكارات تصغير وتطوير سماعات الرأس الخفيفة عالية الجودة الفرصة للمراهقين أن يحيطوا أنفسهم بموسيقى الروك على الدوام"[83]

والموضوع الأكثر شيوعـًا في كل نوع من أنواع الموسيقى والغناء هو الجنس، كما أوضحتُ ذلك بالتفصيل في كتابي عن الموسيقى.[84] ولزيادة الطين بلة، فإن العديد من الأغاني الشعبية وفيديوهات الأغاني الموجهة للشباب تظهر المرأة على أنها سلعة جنسية (كما على قناة MTV مثلاً). هذا التصوير المهين للمرأة في تلك الأغاني والفيديوهات له عواقب بعيدة المدى على السلوك المستقبلي للشباب الذين يستمعون إليها ويشاهدونها. فتلك

---

[83] Brown, E.F. & Hendee, W.R. (1989). "Adolescents and their music. Insights into the health of adolescents." *The Journal of the American Medical Association* **262**: 1659-1663.

[84] الدكتور جوهر مشتاق، "موسيقى: غذا الروح أم سرطان الروح؟ في ضوء الدراسات الطبية والاجتماعية الحديثة". سوريا، دار النقش للطباعة و النشر.

الأغاني تصور في الفيديوهات شباباً يتنافسون مع بعضهم البعض على إناث يُنظر إليهن كسلع جنسية أو ميادين غزو تكمن قيمتهن في مظهرهن الجسدي.[85]،[86]

وينتشر في فيديوهات الأغاني خصوصاً تصوير الرجال على أنهم لا يشبعون جنسياً وأن النساء سلع جنسية.[87] وهذا التصوير هو واحد من أسوأ أنواع استغلال المرأة حيث تُختزل إلى مجرد سلعة جنسية. فالعرض المتكرر لمثل هذا المحتوى يعزز تقبل الشباب الناشئ ويرسخ لديهم بقوة فكرة أن المرأة غرض جنسي. وقد بين ذلك الباحث الإعلامي (عالم النفس في جامعة ميشيغان) ل. مونيك وورد (L. Monique Ward) في دراسة نشرت في عدد عام 2002 من مجلة الشباب والمراهقة ( Journal of Youth and Adolescence).[88]

---

[85] Ward, L. Monique (1995). "Talking about sex: common themes about sexuality in prime-time television programs children and adolescents view most." Journal of Youth and Adolescence **24**: 595-615.

[86] Gow, J. (1995). "Reconsidering gender roles on MTV: depictions in the most popular music videos of the early 1990s." Commun Rep. **9**: 151-161.

[87] Seidman, S.A. (1992). "An investigation of sex-role stereotyping in music videos." Journal Broadcast Electron. **36**: 209-216.

[88] Ward, L. Monique (1995). "Talking about sex: common themes about sexuality in prime-time television programs children and adolescents view most." Journal of Youth and Adolescence **24**: 595-615.

إن تصوير المرأة كسلعة جنسية يمكن أن يؤثر على السلوك الجنسي للفتيات والفتيان المراهقين الناشئين الذين تتجذر في داخلهم هذه الرسائل بسبب تعرضهم المتكرر لها. وتدعم هذه الفكرة دراسة علمية اجتماعية نشرت مؤخراً في المجلة الطبية "طب الأطفال" (Pediatrics).[89] فقد أجرى الدكتور ستيفن مارتينو (Steven Martino)، باحث من مؤسسة راند ( Rand Corporation) في بيتسبرغ في بنسلفانيا والعلماء المساعدون له مسحاً هاتفياً طولياً وطنياً لـ 1461 مراهقاً ومراهقة تتراوح أعمارهم بين 12 و 17 عاماً، حيث أجريت معهم مقابلات في بداية الدراسة، ثم أجريت معهم مقابلات مرة أخرى بعد سنة واحدة ثم بعد 3 سنوات. وفي المقابلة الأولى عام 2001، كانت معظم المشاركات من الفتيات عذراوات. ثم، ومن أجل المتابعة، أجريت معهن مقابلات في عامي 2002 و 2004 لمعرفة ما إذا كان اختيارهن للموسيقى والأغاني قد أثر على سلوكهن فيما بعد. ثم أن موضوعات الدراسة أشارت إلى عدد المرات التي استمع فيها كل من المشاركين إلى أكثر من عشرة من المطربين المحببين لدى الشباب. فوجدت الدراسة أن المراهقين الذين استمعوا إلى الكثير من الأغاني ذات الرسائل الجنسية المهينة (التي تصور النساء كأغراض جنسية) كانوا عرضة أكثر بمرتين تقريباً للانخراط في

[89] Martino, Steven C., Collins, Rebecca L., Elliot, Marc N., Strachman, Amy, Danouse, David, E. & Berry, Sandra H. (August 2006). "Exposure to Degrading Versus Nondegrading Music Lyrics and Sexual Behavior Among Youth." Pediatrics **118**(2): 430-441.

الأعمال الجنسية خلال العامين التاليين لبدء الدراسة مقارنة بالمراهقين الذين لم يستمعوا إلا إلى القليل من الأغاني المهينة جنسياً أو الذين لم يستمعوا إليها مطلقاً. وقد قال الباحث الدكتور مارتينو:

"إن التعرض للكثير من الأغاني المهينة جنسياً يعطيهم رسالة محددة عن الجنس، فيتعلم الفتيان أنهم يجب أن يسعوا بلا هوادة وراء النساء وتتعلم الفتيات أن ينظرن إلى أنفسهن كسلع جنسية".[90]

وكتب الدكتور مارتينو معلقاً على تأثير محتوى الأغاني على سلوك المراهقين الجنسي:

"إن الموسيقيين الذين يقحمون هذا النوع من الخيال الجنسي في أغانيهم ليسوا من البساطة أنهم يقدمون لمستمعيهم نموذج اهتمام بسلوك جنسي صحي، بل إنهم ينقلون لهم شيئاً محدداً حول الأدوار الجنسية المناسبة لكل من الرجل والمرأة.... ومع أن الكلمات الجنسية المهينة مذلة للمرأة على وجه الخصوص، إلا أنها تؤثر في الفتيان والفتيات المراهقين بنفس القدر. ... إن

[90] Associated Press (August 07, 2006). Study: Sexy Music triggers teen sex. (http://www.cnn.com/2006/HEALTH/parenting/08/07/sexlyrics.teens.ap/index.html)

بحثنا هذا... يشير إلى أن الكلمات الجنسية المهينة تفعل فعلاً أكثر بكثير من مجرد أنها تدخل من أذن وتخرج من الأخرى."[91]

هذه هي حقيقة الموسيقى والأغاني وكل ما تحتويه من قذارة. فإن قمنا بتحليل دقيق لأي أغنية موضوعها الجنس وقصص الحب، سنلاحظ أن التركيز فيها ينصب دائما على مظهر المرأة الجسدي. وبالتالي فهي تصورها وكأنها سلعة جنسية. ولا نجد أغان تشيد بذكاء المرأة أو مكانتها الروحية السامية. لذلك، فإن أغاني اليوم الحديثة هي أكبر مروج لعبودية المرأة حين تصورها كسلعة جنسية. فتنسى النساء أهمية العفة والحياء بعد أن تُغسل أدمغتهن بفيديوهات الأغاني التي تصورهن كأغراض جنسية ويتنافس الرجال مع بعضهم البعض للفوز بهن. وإن كان هذا السلوك ربما يناسب الحيوانات فإنه يتوجب على البشر أن يتصرفوا كبشر. ويجب على النساء المسلمات أن يتذكرن أنهن لسن سلعاً جنسية كما تصورهن صناعة الغناء. والحياء هو أثمن رصيد للمرأة المسلمة وللرجل المسلم أيضاً.

[91] Martino, Steven C., Collins, Rebecca L., Elliot, Marc N., Strachman, Amy, Danouse, David, E. & Berry, Sandra H. (August 2006). "Exposure to Degrading Versus Nondegrading Music Lyrics and Sexual Behavior Among Youth." Pediatrics **118**(2): 430-441.

## الفصل الرابع

# الشباب المسلم وشبكات التواصل الاجتماعي

مع تطور التكنولوجيا أصبح لدينا اليوم العديد من وسائل الراحة وأجهزتها. لكن، وسائل الراحة وأجهزتها هذه قد جاءتنا بثمن – وهو أن القدرة والميل إلى إساءة استخدام التكنولوجيا أسهل بكثير من القدرة على الاستفادة منها. وتقنيات وسائل الإعلام الشبابية الحديثة تشبه بطبيعتها الخمر الذي فيه بعض المنافع ولكن ضرره أكبر من نفعه، كما ذكر القرآن الكريم:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (سورة البقرة: 219)

الإسلام ليس ضد التكنولوجيا. لكن، في حال ظهور أي تقنية جديدة فإن المبدأ الإسلامي يقوم على الموازنة بين فوائدها وأضرارها. فإن كانت أضرار أي اختراع جديد أكثر بكثير من فوائده، يتعين توخي الحذر الشديد في استخدامه. وإن تسليطنا الضوء على المشاكل الناجمة عن تقبل التقنيات غير المدروس لا يعني أن غايتنا رفض التكنولوجيا بالكامل. فنحن كمسلمين يتوجب علينا أن نقيم كل تقنية تقييماً دقيقاً وأن نحدد ما إن كان ينبغي اعتمادها وما هي النتائج المحتملة لقبولها وكيف يمكن أن نقلل من أضرارها في الوقت الذي نحقق فيه الاستفادة منها.

يجب علينا معرفة وتوقع آثار التقنيات الاجتماعية قبل أن نستوردها إلى البلاد الإسلامية. وبالطبع، نعرف من خلال التجربة العملية والتاريخ أن القوى الإمبريالية لا تريد أن تستورد الدول الإسلامية تلك التقنيات التي تقويها (مثل القدرات الدفاعية أو التكنولوجيا الصناعية)، بل هي تسمح فقط بالتقنيات التي تنشر الفساد والفجور في البلدان الإسلامية مثل تقنيات وسائل الإعلام وتقنية الإنترنت. ولنأخذ من الماضي القريب مثالاً واحداً فقط. لقد حكم محمد علي باشا مصر من عام 1805 حتى عام 1848 م. وكان عازماً على أَوْرَبَة مصر، فأدت جهوده إلى أن بدأت النساء المسلمات في التخلي عن الحجاب وبدأ الرجال المسلمون يحلقون لحاهم. وبجهوده أيضاً افتتحت مسارح الغناء في مصر. ثم أن خَلَفَه الخديوي إسماعيل (الذي حكم مصر من

عام 1863 حتى 1879 م.) ذهب إلى أبعد من ذلك، حتى أنه قال: "بلادي لم تعد في أفريقيا، نحن قطعة من أوروبا".

وعلى الرغم من كل هذا، عندما حاول محمد علي باشا تعزيز صناعة مصر وأراد أن يستورد من الغرب صناعة النسيج وما شابهها من تقنيات مفيدة، أثارت القوى الأوروبية هجمة مشتركة ضده لإفشال جهوده الرامية إلى تقدم مصر في مجال العلوم والتكنولوجيا. ويعبر الناقد الاجتماعي المسلم خالد بايج (Khalid Baig) عن رأيه في نهج الدول الغربية هذا تجاه الدول الإسلامية بقوله:

> "لقد كانت الرسالة واضحة: هناك تقنيات يمكنكم الحصول عليها وتقنيات لا يحق لكم لمسها. القدرات الدفاعية الحقيقية غير مسموح بها. القدرة الصناعية الحقيقية التي تجعلكم مستقلين تساهمون في القوة الاقتصادية الحقيقية غير مسموح بها. أما أحدث الآلات الموسيقية وأجهزة التلفزيون الملونة؟ فلا مشكلة."[92]

[92] Baig, Khalid (2008). Slippery Stone: an inquiry into Islam's stance on music. Garden Grove (California), Open Mind Press.

لو ألقينا نظرة خاطفة على تاريخ وصول تقنية وسائل الإعلام إلى البلدان الإسلامية، سنرى أن الجراموفون اختُرع في عام 1887 في بريطانيا العظمى وبدأت الحكومة البريطانية في إدخاله إلى شبه القارة الهندية (الهند الحالية وباكستان وبنغلاديش) عام 1902. ولهذا الغرض، تأسست شركة منفصلة باسم GTL. وفي غضون بضع سنوات، بدأت أصوات الموسيقى والغناء تصدح من منزل إلى منزل في شبه القارة الهندية.[93]

نلاحظ أن نفس النهج منوال يطبق على الراديو. فقد أدخل إلى الهند كوسيلة إخبارية وترفيهية في عام 1920. وخلال عام 1936 كانت تصدر تراخيص الراديو للعامة في الهند بمعدل 1500 ترخيص كل عام.[94] وفي مصر كان معدل إصدار تراخيص الراديو أسرع بكثير من الأماكن الأخرى. فقد أدخل الراديو إلى مصر في عام 1934 وبحلول عام 1956 أصبح هناك 405000 مالك راديو فيها. واتبعت دول إسلامية أخرى نفس النهج.[95]

الراديو تقنية لها صوت فقط (البعد البصري غائب، وبالتالي لا يمكننا رؤية الصورة عليه) ومع ذلك يمكن تقدير حجم آثاره المدمرة أخلاقياً من

---

[93] المرجع نفسه.

[94] Woodsmall, Ruth Frances (1936) Moslem Women Enter a New World. London, George Allen & Unwin.

[95] Abu Lughod, Lila (Jul-Aug 1989) "Bedouins, Cassettes and Technologies of Public Culture", Middle East Report No. 159, *Popular Culture*, 7-11, 47.

خلال تعليق ليلى أبو لُغَد على فتاة مسلمة تعيش في قرية نائية في مصر وتستمع إلى البرامج الإذاعية اليومية:

"إنها تستمع إلى الراديو طوال اليوم وهي تقوم بأعمالها المنزلية أو حتى عندما تجلس بلا عمل. هي تعرف كل المطربين المصريين، وتتابع كل الأعمال الدرامية الإذاعية - حول نجمات السينما اللواتي تركهن أزواجهن، وحول شابات هربن من زيجات مدبرة من رجال أثرياء مسنين من أجل الفرار مع شبان كان الطغاة العجائز يحاولون تحطيمهم، ..... حول شباب يسعون (دون جدوى) من خلال الحاسوب أن يجدوا عرائس مناسبات عندما كانت أمهاتهم تمانع زواجهم من المرأة التي يختارونها ".[96]

وبنفس الطريقة، أدخلت القوى الإمبريالية الغربية التلفزيون إلى البلدان الإسلامية. وبدأت لاحقًا تتالى ارتكاسات الشباب المسلم عند ظهور أي وسيلة إعلام لها تأثير أشد إفساداً من الوسيلة التي تسبقها.

---

[96] المرجع نفسه.

# الشباب المسلم والأجهزة الإلكترونية

لا شك أن لكل الأجهزة الإلكترونية فوائد لا تحصى. ومع ذلك، فإن أضرارها أكثر من فوائدها، وحالها يشبه كثيراً حال الكحول. وهذه الحال نفسها تنطبق على استخدام كاميرا الهواتف المحمولة. فقد اخترعت الهواتف المحمولة من أجل التسهيل على الناس ولراحتهم. لكن ثبت أن اختراع الهواتف المحمولة الذكية (كأجهزة الأندرويد والآيفون وغيرها) أصبح كارثة حلّت بالعديد من الشباب. ففي البداية أدخلت على الهواتف المحمولة ميزة التراسل، وبعد وقت قصير، شاع استخدام تلك الميزة بين الشباب لإرسال رسائل الحب. ونشأت وقائع العلاقات العاطفية بين الفتيان والفتيات المسلمين عند قدوم الهواتف ذات قدرات التراسل الفائقة. وتتجلى كبرى مظاهر ذلك في مناسبات عيد الحب حيث تُرسل أعداد لا تُحصى من "رسائل الحب" بين العشاق باستخدام ميزة الرسائل النصية على الهاتف الخليوي.

في أغلب الأحيان يكون الآباء جاهلين كلياً بأمور كثيرة. على سبيل المثال، قد يجهلون من هو الشخص الذي يتحدث ابنهم أو ابنتهم الصغيرة

معه، ومن أين تأتي مكالماتهم وما هي جهات اتصال أولادهم، إذ يكون العديد من الآباء منشغلين في وظائفهم أو في جمع المال في أعمالهم، فلا يتسنى لهم الوقت حتى للتحقق من قائمة جهات الاتصال في هواتف أولادهم الخليوية. وباستخدامهم "الرسائل النصية" يرتكب الأولاد إثم العلاقات العاطفية بهدوء وفي جو من الراحة المنزلية، حتى أن الفتى أو الفتاة يكونا في بعض الأحيان جالسين بجانب أهلهم وهم لا يدرون ما الذي يحصل. وما أن تنامى شعور العديد من المستهلكين بأن مجرد التحدث أو إرسال الرسائل النصية على الهاتف غير كاف لإرواء عطشهم العاطفي حتى أدخلت في الهواتف المحمولة الكاميرا التي ما كان منها إلا أن زادت حدة العطش العاطفي. فصارت الهواتف المحمولة الآن تأتي مزودة بكاميرات عالية الدقة مما يسهل إرفاق صور مع "رسالة الحب النصية". ويسمى إرسال الرسائل النصية المرفقة بالصور إلى "المحبوب" "التراسل الجنسي – sexting". وهكذا بدأت ممارسة إرسال "الرسائل الجنسية" إلى المشهد الاجتماعي حيث بدأ تبادل الصور بين العشاق. وأي نوع من الصور؟ يكفي أن تتضح طبيعة تلك الصور من خلال عبارة "التراسل الجنسي". وهذه هي الطريقة التي حدثت بها "رحلة الإثم من الرسائل النصية إلى الرسائل الجنسية". أما الباقي فقد تحقق عن طريق تقنية الإنترنت التي دخلت أيضاً إلى معظم البلدان الإسلامية منذ ما لا يزيد عن عقدين. وفي غضون بضع سنوات، ارتفع عدد مستهلكي الإنترنت (معظمهم

من الشباب) إلى عنان السماء، وازدادت نزعة المراهقين إلى زيارة المواقع الإباحية بسبب سهولة الوصول إليها. علاوة على ذلك، صارت توضع الأفلام الإباحية في الوقت الحاضر على محركات الأقراص الصلبة في الكمبيوترات الموجودة في "مقاهي الإنترنت"، فتفسد هذه المقاهي عقلية الشباب الذين يعتادون على ارتيادها وتفسد إيمانهم وصفاء تفكيرهم.

وقد ازداد استخدام الإنترنت سوءاً مع ظهور الكاميرا "ذات العين الواحدة – العوراء" عليها. ويظهر ذلك عند استخدام تطبيقات مثل فيس تايم أو سكايب أو جوجل تشات (FaceTime, Skype, Google chat) أو أي تطبيق من تطبيقات الدردشة على الفيديو، إذ لما أدخلت الكاميرا على الإنترنت أصبح من السهل جداً التطفل على خصوصية منازل الناس. ففي كثير من الأحيان، عندما تتحدث الفتيات أو النساء إلى إحدى صديقاتهن يغيب عن أذهانهن أنه قد يكون، بالإضافة إلى صديقتهن على الجانب الآخر، أحد أفراد عائلتها الذكور يشاهد الفيديو على شاشة الكمبيوتر "ذات العين الواحدة"، أو إن لم تكن المكالمة حية ومباشرة، فقد يتمكن أحد هؤلاء الذكور من مشاهدة الفيديو عندما لا تكون أخته في المنزل. وهذا أمر جدير بالاهتمام لأنه وفقاً لدراسة جديدة أجرتها كوم سكور (comScore)، فإن النساء من كل الفئات العمرية يمضين وقتاً على مواقع مشاركة الصور أكثر من الرجال. وليس هذه حقيقة أمراً واقعاً في بلد واحد فقط بل إن عدد النساء في جميع أنحاء العالم

يفوق عدد الرجال في هذا المجال. ففي كل أرجاء العالم يزور مواقع تشارك الصور 46.5٪ من النساء و41.5٪ من الرجال. وبالإضافة إلى ذلك، لوحظ أمر آخر أيضـًا ألا وهو أن عدداً من النساء أكبر من عدد الرجال يشاركن عدداُ من الصور أكبر من عدد الصور التي يشاركها الرجال.[97]

لا ريب أن هذه البرامج والتقنيات لها بعض الفوائد كاستخدام تقنية الفيديو للتواصل مع أفراد الأسرة أو إجراء مقابلات مع مرشحين لوظائف موجودين خارج البلاد. لكننا نناقش هنا الأضرار المحتملة التي تسببها هذه التقنيات، لأنه شبابنا إن هم أدركوا تمامـًا الأضرار التي يمكن أن تلحق بهم من تقنيات وسائل الإعلام هذه، عندها فقط يستطيعون أن يحموا أنفسهم منها في عصر الدجال هذا.

[97] MarketingCharts staff (August 3, 2010) "Women Share Photos Online". http://www.marketingcharts.com/wp/direct/women-share-photos-online-13746/. Retrieved on: March 15, 2011.

# الشباب المسلم وشبكات التواصل الاجتماعي

# (فيسبوك / تويتر)

للإنترنت استخدامات عديدة – منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار. فما هي ميزة الإنترنت التي تجذب معظم الناس؟ يُعرِّف الدكتور فرانك بيوكا (Dr Frank Biocca)، مدير مختبرات مايند (M.I.N.D.) في جامعة ولاية ميشيغان، الاستخدام الأكثر شيوعا للإنترنت على النحو الآتي:

> "يشير تاريخ الإنترنت إلى أن ما يجذب معظم الناس إليها ليس المعلومات التي تحتويها: إنما هو الأشخاص الآخرون. فخدمات الإنترنت التي تمنح الأشخاص أصحاب التفكير المتماثل فرصة التلاقي والتواصل تتسع وتزدهر. ومعظم مجالات الانترنت الاجتماعية يرتادها مستخدمون أغلبيتهم من الشباب. وقد أنشئت منذ بداية الانترنت بيئات متنوعة حتى يتمكن الناس من التلاقي والتفاعل مع بعضهم.[(98)]

---

[98] Biocca, Frank (2000). "New Media Technology and Youth: Trends in the Evolution of New Media." Journal of Adolescent Health 27S: 22-29.

ولا عجب أن يكون أحد الهواجس المعاصرة عند الشباب في كل أنحاء العالم هو الهوس باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الدردشة، وقد يكون هذا التفاعل الاجتماعي بين الشباب مفيداً، إلا أنه أيضـًا يحمل في طياته أضراراً واضحة سنتناولها هنا.

إن المجتمع الإسلامي يحترم خصوصية مواطنيه. وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: "وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (سورة الحجرات: 12). فالقرآن هنا يأمر المسلمين بعدم التقصي عن أسرار الناس أو عيوبهم. وقد حرم الإسلام على المسلمين التجسس على الآخرين، سواء بسبب الشك أو بدافع إرضاء الفضول. فلا يليق بالمؤمن أن يتجسس على أسرار الآخرين أو أن يحاول التلصص عليهم من وراء الستائر. وهذا "التجسس الاجتماعي" يشمل أفعالاً كالتنصت سراً على المحادثات الخاصة بين الناس، وقراءة رسائلهم الخاصة، واختلاس النظر إلى منازل الجيران لمجرد الفضول أو من أجل الحصول على معلومات حول حياة الناس المنزلية أو شؤونهم الخاصة. فهذا الفعل غير الأخلاقي يؤدي إلى عواقب وخيمة على المجتمع. وقد ذكر نبينا الحبيب محمد ﷺ من يتتبع أسرار الآخرين في أحد الأحاديث بقوله:

**إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُم أَو كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ.**

(أبو داود)[99]

وعلى الرغم من القول المأثور "من الفضول ما قتل"، إلا أن الفضول هو نقطة ضعف بشرية أساسية. فالبشر فضوليون بطبيعتهم، وتعاليم الإسلام تعمل على ضبط هذه السمة البشرية والمحافظة على اتزانها. وإنها هذه الميزة الضعيفة في الطبيعة البشرية هي التي أكسبت مواقع الشبكات الاجتماعية كفيسبوك وتويتر وبيكيو وبيبو وأوركت وميتمي وغيرها ( Facebook, Twitter, Peekyou, Bebo, Orkut, Meetme, etc.) شعبيتها. ومن بين كل تلك الشبكات، تعد فيسبوك الشبكة الأكثر زيارة على الإنترنت. واستناداً إلى إحصاءات عام 2011 التي قدمتها فيسبوك دوت كوم وبنغدوم دوت كوم (facebook.com, pingdom.com)، يقضي مستخدم فيسبوك العادي ما معدله 15 ساعة و 33 دقيقة شهرياً على الفيسبوك ويقضي 23 دقيقة في كل زيارة. وبناء على التوزع العالمي لمستخدمي فيسبوك فإن نسبة 20.6٪ تتراوح أعمارهم بين 13 و 17 عامـًا، و 26.4٪ تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عامـًا و 26.6٪ تتراوح أعمارهم بين 26 و 34 عامـًا.[100] وهذا يعني أن ثلاثة أرباع

[99] الراوي: معاوية بن أبي سفيان، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 4888، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه أبوداود (4888)، وابن حبان (5760)

[100] Burbary, Ken (March 7, 2011) "Facebook Demographics Revisited – 2011 Statistics", Web Business by Ken Burbary: Digital Marketing, Socail Media, Web Technology

أو 72.5٪ من مستخدمي فيسبوك هم من الشباب والشابات في الفئة العمرية من 13 إلى 34 عاماً. والمسلمون والمسلمات لا يتخلفوا عن تقبل أية تقنية يتبناها غير المسلمين، وبالتالي فإنهم يتبعون خطى اليهود والنصارى (وكذلك أتباع الديانات الأخرى) فقط لتثبت صحة نبوءة نبينا الحبيب محمد ﷺ في أحد أحاديثه. يعطي الجدول الآتي تفاصيل عن مستخدمي فيسبوك من سكان بعض الدول الإسلامية (بدءاً من عام 2012) جنبا إلى جنب مع نسبة انتشار استخدام فيسبوك بين سكان كل بلد.

لكن كيف تكون شبكات التواصل الاجتماعي هذه مفيدة، إن كان لها فعلاً أية فائدة؟ يجيب ميرزا ياور بايج (Mirza Yawar Baig) عن هذا السؤال في مقالته المثيرة للتفكير، "فيسبوك: شبكة تواصل اجتماعي أم هندسة اجتماعية؟ "Facebook: Social Networking or Social Engineering? " حين كتب يقول:

"بالطبع ستسمع الهراء المعتاد من شخص يقول 'من المستحسن أن أعرف ما تفعله أختي... وما إلى ذلك.' فاسأل هذا الشخص، 'لماذا لا ترسل رسالة إلكترونية إلى أختك تسألها عما تفعل فتجيبك؟ أو بالأحرى، إن استطعت، اتصل بأختك وتحدث

http://www.kenburbary.com/2011/03/facebook-demographics-revisited-2011-statistics-2/ Retrieved Dec. 02, 2011.

معها.' ولكن، لا. يجب أن أتحدث مع أختي في مكان لا تكون هي الوحيدة فيه التي تستمع، بل فليستمع كل من يهمه الاستماع، حتى لو كان غريبـًا. إذاً، هل الأمر يتعلق باهتمامك بأختك أم لعله أمر آخر؟

كما أن في هذا الفضاء صور لا مكان لها خارج المنزل – كالصور التي تظهر فيها وأنت تعانق أختك أو زوجتك أو أي شخص آخر!"[101]

---

[101] Baig, Mirza Yawar (May 20, 2010) "*Facebook: Social Networking or Social Engineering?*". http://www.albalagh.net/current_affairs/0103.shtml. Retrieved: Nov. 15, 2011.

| جدول: إحصائية مستخدمي فيسبوك في بعض الدول الإسلامية في عام 2012 | | |
|---|---|---|
| الدولة | عدد مستخدمي فيسبوك | معدل الانتشار (نسبة مستخدمي فيسبوك المئوية) |
| تركيا | 30.963.100 | ٪39.3 |
| الإمارات العربية المتحدة | 3.190.660 | ٪ 38.6 |
| الأردن | 2.481.940 | ٪38.1 |
| لبنان | 1.571.900 | ٪38.0 |
| الكويت | 824.880 | ٪31.2 |
| البحرين | 375.000 | ٪30.0 |
| تونس | 3.103.500 | ٪28.9 |
| السعودية | 5.536.280 | ٪20.9 |
| اندونيسيا | 47.539.220 | ٪19.1 |
| المغرب | 4.576.280 | ٪14.2 |
| مصر | 11.764.880 | ٪14.1 |
| ليبيا | 560.080 | ٪10.0 |
| السودان | 4.200.000 | ٪9.3 |
| باكستان | 7.227.780 | ٪3.8 |
| اليمن | 633.060 | ٪2.6 |
| بنغلادش | 2.987.820 | ٪1.9 |

**ملخص من**: "مستخدمو فيسبوك في العالم" (20 تشرين ثان 2012) (www.internetworldstats.com /stats.htm)

يقابل "معدل انتشار فيسبوك" نسبة مستخدمي فيسبوك مقارنة بإجمالي عدد السكان التقديري في كل منطقة من مناطق العالم، موضحاً كنسبة مئوية.

يدعي بعض السذج من المسلمين أن هناك ضوابط على مواقع التواصل الاجتماعي وأنه بإمكاننا حظر الوصول على من نريد. لذلك كتب بايج (Baig) بخصوص تلك الضوابط:

"نعم، بالطبع هناك ضوابط. أخبرني كل شيء عنها. وأخبرني أيضاً كيف أن لا أحد تقريباً يستخدمها. كم عدد ملفات الفيسبوك الشخصية التي تعرفها ممن نشطوا اعدادات الضبط القصوى حتى لا يمكن سوى لأفراد عائلاتهم فقط رؤيتها؟ وبالطبع، الضبط كله جيد، لكن فقط بقدر ما يسمح به التقنيون وخبراء الحاسوب على موقع فيسبوك. ورغم كل شيء فانهم وفي كل الأحوال يستطيعون الوصول إلى كل هذه المعلومات".(102)

في الحقيقة، إن من طبع الشباب أنهم لا يحبون الضوابط. فقد كشفت دراسة استقصائية أجريت عام 2007، على سبيل المثال، أن ما يقرب من نصف المراهقين الذين أنشأوا ملفات شخصية على الإنترنت (47٪ من الإجمالي) لديهم ملف عام يمكن لأي شخص مشاهدته. بالإضافة إلى ذلك، فإن غالبية المراهقين (58٪) لا يخطر لهم أن نشر الصور أو غيرها من المعلومات الشخصية على الإنترنت هو أمر غير آمن.(103) إن هذه النتيجة في

[102] المرجع نفسه.

[103] Thomas, Kim. (March 2007) “Teen Internet Safety Survey, Wave II – in Partnership with the National Center for Missing & Exploited Children

حد ذاتها تبين لنا أن الضوابط نادراً ما تستخدم لأن الشباب لا يعتبرونها ضرورية.

ما الذي يتحقق بالتواجد على مواقع التواصل الاجتماعي ساعات وساعات؟ إنه الفضول نفسه والرغبة في الاطلاع على أمور الناس الخاصة (بالطبع، في هذه الحالة، بإذن من الطرف الآخر)، والرغبة في التجسس الاجتماعي. و عن طريق الهندسة الاجتماعية الجديدة، في عصر الدجال هذا، يتعود شبابنا وتُغسل أدمغتهم كي يعتقدوا بأنه لا ضير في نظرة خاطفة على حياة بعضهم البعض حتى ولو على أدق التفاصيل، إذ لم يعد يُطلب منا ضبط أنفسنا والالتفات إلى أمورنا الخاصة ولم يعد يطلب منا أن نتَّبع حديث نبينا الحبيب محمد ﷺ :

**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرءِ تَركُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ.** (جامع الترمذي)[104]

---

(NCMEC) and John Walsh". Research Findings, Cox Communications, Inc. Atlanta, Georgia.

[104] الراوي: أبو هريرة، المحدث: السفاريني الحنبلي، المصدر: شرح كتاب الشهاب، الصفحة أو الرقم: 292، خلاصة حكم المحدث: الصحيح أنه حديث حسن، التخريج: أخرجه الترمذي (2317)، وابن ماجه (3976)

يشرح ميرزا بايج (Baig) هذه المسألة ببراعة شديدة حيث كتب:

"إن ما يتحقق هو أمر يعادل اختلاس النظر من نافذتك. الرغبة في معرفة ما تفعله طوال الوقت. أريد أن أعرف ما تفعله طوال الوقت وأريدك أن تعرف ما أفعله أنا طوال الوقت.

إن التطفل على خصوصيتك أمر غير مرغوب فيه وخاصة عندما يتم دون إرادة منك. إذاً، ما هو الأفضل؟ أن تصل إلى حالة ذهنية تجعلك تتطوع لإخبار الناس بكل شيء حتى عن أعضاء جسمك الداخلية بمحض إرادتك. هل عرفت الفرق؟ المتطفل يكون متطفلاً فقط عندما يتطفل عليك دون إرادتك. أما إذا دعوته أنت، فهو ضيف وليس متطفلاً... إذاً، هل هي "شبكات تواصل اجتماعي" أم "هندسة اجتماعية"؟

إن الغرض من ذلك هو تغيير قواعد المجتمع وكسر الحواجز وتحطيم الحدود التي تحمينا."[105]

---

[105] Baig, Mirza Yawar (May 20, 2010) "*Facebook: Social Networking or Social Engineering?*" http://www.albalagh.net/current_affairs/0103.shtml. Retrieved: Mar 20, 2012.

أجرت شركة كوكس كوميونيكيشنز (Cox Communications Inc.)، بالشراكة مع المركز الوطني للأطفال المفقودين والمستغلين (National Center for Missing & Exploited Children – NCMEC) في عام 2007 دراستها الاستقصائية السنوية الثالثة لمساعدة الآباء على إدراك مخاطر الانترنت المحتملة. ويرد في الجدول الآتي موجز لنتائج هذه الدراسة:

**جدول: دراسة كوكس كوميونيكيشنز (Cox Communications Inc.) الاستقصائية حول استخدام المراهقين للإنترنت**

| توجهات الشباب وسلوكهم | النسبة المئوية |
|---|---|
| المراهقون الذين يعتقدون أنه لا خطر في نشر صورهم على الإنترنت | ٪58.0 |
| الفتيات اللواتي ينشرن صورهن الشخصية وفيديوهات خاصة عن أنفسهن | ٪70.0 |
| الفتيان الذين ينشرون صورهم الشخصية وفيديوهات خاصة عن أنفسهم | ٪58.0 |
| الفتيات اللواتي يتعرضن للتحرش أو التنمر على الإنترنت | ٪21.0 |

| | |
|---|---|
| الفتيان الذين يتعرضون للتحرش أو التنمر على الإنترنت | ٪17.0 |
| الفتيان والفتيات المراهقون الذين فكروا في اللقاء وجهـًا لوجه مع شخص تعرفوا عليه على الإنترنت فقط | ٪16.0 |
| الفتيان والفتيات المراهقون الذين التقوا بالفعل وجهـًا لوجه مع شخص تعرفوا عليه على الإنترنت | ٪8.0 |

**ملخص من**: نتائج بحث دراسة أجراها كيم توماس (آذار ٢٠٠٧) بعنوان "دراسة استقصائية حول أمان المراهقين على الإنترنت، الدورة الثانية". شركة كوكس كوميونيكيشنز، اتلانتا، جورجيا

كشف هذا البحث أن ما يقرب من ثلثي المراهقين (64٪) ينشرون صورهم أو مقاطع الفيديو الخاصة بهم على الإنترنت باستمرار. ومما يزيد الطين بلة، أن التقرير كشف أن 58٪ من المراهقين يعتقدون أنه لا خطر من نشر صورهم على الإنترنت (كنشرها، على سبيل المثال، على مواقع مثل فيسبوك وتويتر وماي سبيس MySpace وفرندستر Friendster وغيرها). علاوة على ذلك، وجد التقرير أن الإناث أكثر رغبة بكثير من المراهقين الذكور في نشر صورهن أو فيديوهاتهن الشخصية (70٪ مقابل 58٪). كما وجد أيضـًا أن الفتيات أكثر عرضة للتحرش والتنمر على الانترنت من الفتيان (21٪ مقابل 17٪). وكشف البحث أيضـًا عن نتيجة صادمة أخرى: كشف أن 16٪ من الفتيان والفتيات المراهقين فكروا في اللقاء وجهـًا لوجه مع شخص لم يتحدثوا

إليه سوى على الإنترنت فقط وكشف أن ٪8 منهم التقوا بالفعل وجهًا لوجه مع شخص كانوا قد تعرفوا عليه على الإنترنت.[106]

## المسلمات و رأي الإسلام في مواقع الدردشة وفيسبوك

البريد الإلكتروني هو تقنية إلكترونية فوائدها أكثر من أضرارها. أما الدردشة على الإنترنت فأضرارها أكثر من فوائدها، وأقل أضرارها إضاعة الوقت الثمين. وقد تشعبت الدردشة على الإنترنت وتفرعت إلى عدة أنواع نظراً إلى التطورات الحديثة التي طرأت على هذه التقنية. فأصبح لدينا الآن دردشة نصية (على شاشات عرض النصوص) ودردشة صوتية (تفاعلات صوتية وايقونات) ونصوص مَدز و موز – MUDS and MOOS (تفاعل نص على شاشة ضمن بيئة خيالية منظمة) وبيئات اجتماعية تصويرية (بيئات بصرية ثنائية الأبعاد ونصوص)، إلخ.[107]

---

[106] Thomas, Kim. (March 2007) “Teen Internet Safety Survey, Wave II – in Partnership with the National Center for Missing & Exploited Children (NCMEC) and John Walsh”. Research Findings, Cox Communications, Inc. Atlanta, Georgia.

[107] Biocca, Frank (2000). "New Media Technology and Youth: Trends in the Evolution of New Media." *Journal of Adolescent Health.* 27S: 22-29.

**ملاحظة من المترجم**: (M.U.D. = Multi–User Dimension، البعد متعدد المستخدمين وهو بيئة افتراضية تكون كبيرة جداً ومفصلة تكون أنت فيها شخصية تستطيع التحرك والتفاعل مع شخصيات أخرى بالاستكشاف والصداقة والمحادثة والمناقشة وحتى بالرومانسية.

MOOs = Mud, Object Oriented تقنية تسمح للمستخدمين ببناء إضافاتهم الخاصة إلى العالم فيمكنهم إنشاء غرف أو كائنات مبرمجة – حيوانات تتكلم أو اثاث يتكلم – والتفاعل مع مستخدمين آخرين.)

وقد باتت الآن شبكات التواصل الاجتماعي في عالم الإنترنت الافتراضي تزداد تعقيداً وتتجاوز أي قيم أخلاقية بسرعة متزايدة. فعلى سبيل المثال، تتمتع أحدث البيئات الاجتماعية الافتراضية بالقدرة على دعم أكثر من 1000 مستخدم في وقت واحد. فيتورط مستخدمو الإنترنت هؤلاء في سلوكيات اجتماعية إشكالية بشكل متزايد كالانضمام إلى عصابات الشوارع الافتراضية وإجراء معاملات حقيقية والمشاركة في المشاجرات وممارسة الجنس الافتراضي بتفاعل ثلاثي الأبعاد يشمل التفاعل بالجسم.[(108)،(109)] وبالتالي فإن الجنس الافتراضي يحصل داخل شاشة "العين الواحدة –

[108] Singhal Sandeep, Zyda Michael. (1999) Networked virtual environments: Design and implementation. New York: Addison-Wesley.

[109] Benford S. Bowers J, Fahlen L, et al. (1995) “User embodiment in collaborative virtual environments”. CHI’95 Proceedings. San Francisco: ACM.

العوراء" للكمبيوتر أو الهاتف الذكي. إن هذه التقنيات هي أكبر مصادر إغراء شبابنا المسلم في عصر الدجال هذا. وإن لم يكن هذا هو عصر الدجال فمتى سيكون إذاً؟ ولا شك أن هذه الأجهزة ليست هي الدجال لكنها وسائله التي تهيئ الأرضية لمجيئه بتدمير شبابنا.

والآن بعد أن وصفنا أشكالاً مختلفة من تقنيات الدردشة، دعونا نناقش مسألة الدردشة عبر الإنترنت بين الرجال والنساء (بغض النظر عن نوع الدردشة) من وجهة نظر إسلامية. سُئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (المتوفي في 13 تموز 2009) ذات مرة عن حكم المراسلة بين الشبان والشابات، أي إن كانت هذه المراسلة خالية من الفسق والعشق والغرام؟ فأصدر الفتوى الآتية رداً على ذلك:

> "لا يجوز لأي إنسان أن يراسل امرأة أجنبية عنه؛ لما في ذلك من فتنة، وقد يظن المراسل أنه ليست هناك فتنة، ولكن لا يزال به الشيطان حتى يغريه بها ويغريها به. وقد أمر ﷺ مَنْ سمع الدجال أن يبتعد عنه. وأخبر أنَّ الرجل قد يأتيه وهو مؤمن، ولكن لا يزال به الدجال حتى يفتنه. ففي مراسلة الشبان

للشابات فتنة عظيمة وخطر كبير، ويجب الابتعاد عنها، وإن كان السائل يقول: إنه ليس فيها عشق ولا غرام."[110]

وكذلك، توجهت أخت مسلمة إلى الشيخ محمد صالح المنجد تقول إنها تستخدم الإنترنت وتزور أيضاً غرف الدردشة الإسلامية. وفي بعض الأحيان يأتي أخ مسلم في الغرفة ويطلب منها إجراء محادثة مكتوبة خاصة معه حتى يتعرفا على بعضهما البعض. ويحاول أيضاً أن يشرع في دردشة يسألها فيها أسئلة عن نفسها. وسألت تلك الأخت المسلمة الشيخ المنجد إن كان من الخطيئة التواصل كتابياً مع رجل ليس من المحارم. فقدم الشيخ المنجد الفتوى الآتية رداً على سؤالها:

"لا حرج في أن تستخدم المرأة المسلمة الإنترنت ... طالما أن ذلك لا يؤدي إلى أي شيء محظور في الإسلام، مثل التحدث على انفراد مع الرجال. وذلك لأن التحدث إلى الرجال قد

---

110 Benford S. Bowers J, Fahlen L, et al. (1995) “User embodiment in collaborative virtual environments”. CHI’95 Proceedings. San Francisco: ACM.

يتحول إلى دردشة تؤدي عادة إلى إغراء. ومن ثم لا بد من التشدد وتجنب ذلك، والسعي إلى رضا الله، والخوف من عقابه.

كم مرة أدت هذه المحادثات إلى نتائج سيئة، بل وتسببت في وقوع الناس في الحب، ودفعت البعض إلى القيام بأشياء أكثر خطورة من ذلك. فالشيطان يجعل كل واحد منهم يتخيل صفات جذابة في الآخر، مما يوصلهم إلى ارتباط يضر بكيانهم الروحي وشؤونهم الدنيوية.

مما لا شك فيه أن المراسلات عبر غرف الدردشة أكثر خطورة من المراسلات عن طريق البريد، لكن كلاهما سيء."[111]

ولا شك أن مثل هذه الدردشات الخاصة، وخصوصاً بعد ظهور كاميرات الإنترنت أو الصور، تعادل الخلوة التي تنطوي على أحد أكبر أسباب

[111] Al-Munajjid, Sheikh Mohammad Salih "Men and women talking in chat rooms" Islamic Q&A: Fatwa No. 34841. (http://islamqa.info/en/ref/34841)

الإغراءات لكل من النساء والرجال. وحديث نبينا الحبيب محمد ﷺ واضح في هذا الصدد:

**لا يخلُوَنَّ رجلٌ بامِرَأةٍ إلّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ.** (الترمذي)[112]

هذا الحديث يعني أن انفراد الرجل بالمرأة من غير المحارم في أي مكان (سواء في غرفة عادية أو في غرفة دردشة) هو دعوة مضمونة للشيطان. فالتقارب هو أهم عامل في توقع نشوء علاقات الحب. وفي ظل ظروف كهذه عندما ينفرد الرجال بالنساء من غير المحارم تكبر الإغراءات وسرعان ما تتغلب رغبة الجسد نحو الجنس الآخر على عقولهم أثناء المشاركة في المحادثات. ومما يؤسف له أن الذين يعانون من مرض الدردشة هذا مع الجنس الآخر ليس الرجال والنساء العازبين فحسب بل والمتزوجون أيضاً يقعون ضحية لهذا المرض. علاوة على ذلك، تتعرض الكثير من الفتيات في غرف الدردشة إلى "التنمر على النت" وإلى تلميحات الفتيان الجنسية الأمر الذي يضر باحترامهن لذواتهن وشعورهن بالعار والحياء.

تنسى الفتيات والنساء المسلمات أحيانًا أنه على الرغم من أنهن ينشرن صورهن على فيسبوك وشبكات التواصل الاجتماعي الأخرى

---

112 الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث : الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2165، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (2165)

لصديقاتهن الإناث فقط، إلا أن هناك رجالًا غير محارم في منازل صديقاتهن (كالزوج، والأبناء البالغين، والأخوة، وأخوة الزوج، وغيرهم) قد يشاهدون أيضـًا هذه الصور على كمبيوترهم. ومن خلال ارتكاب النساء المسلمات الفعل المحرم بنشر صورهن الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، فإنهن يقدمن فرصة للرجال غير المحارم لرؤية صورهن.

لماذا تنسى أخواتنا المسلمات المحترمات حديث نبينا الحبيب محمد ﷺ عندما قال:

**إنَّ المرأةَ عورةٌ ، فإذا خرجتِ استشرفها الشَّيطانُ ، وأقربُ ما تكونُ من وجهِ ربِّها وهي في قَعرِ بيتِها** (سنن الترمذي)[113]

استخدمت كلمة "عورة" في هذا الحديث للإشارة إلى النساء، بمعنى أن جسد المرأة يجب أن يكون مغطى باللباس المناسب. وعندما تخرج صور امرأة من منزلها من خلال منشوراتها على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وغيرها، فإن الشيطان بالتأكيد ينظر إليها وينشر الفساد في

---

[113] الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: ابن خزيمة، المصدر: التوحيد لابن خزيمة، الصفحة أو الرقم: 1/40 ، خلاصة حكم المحدث: الصحيح، التخريج: أخرجه الترمذي (1173) مختصراً، وابن خزيمة (1685)، وابن حبان (5598)

المجتمع. وبالتالي، تحصل علاقات الحب قبل الزواج وترتفع معدلات الطلاق في المجتمع. ولهذا السبب بالتحديد، أصدر العالم الإسلامي الشهير الشيخ عبد الحميد الأطرش، الرئيس السابق للجنة الفتوى في جامعة الأزهر المرموقة (القاهرة)، فتوى مفادها أن استخدام المسلمين لمواقع شبكات التواصل الاجتماعي أدى إلى ارتفاع معدل الخيانة الزوجية. وقد جاءت هذه الفتوى التي أصدرها الشيخ الأطرش بعد دراسة أجريت في وقت سابق من ذلك الأسبوع أعلنت أن واحدة من كل خمس حالات طلاق في مصر حصلت بعد أن بدأ أحد الشركاء في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وغيرها. فنصح الشيخ الأطرش المسلمين بالابتعاد عن مثل هذه المنصات الإلكترونية. وفي حين أن الشيخ الأطرش أصدر هذه الفتوى في مصر، فإنها تنطبق على المسلمين من الرجال والنساء في كل البلاد الإسلامية. وقد أوضح الشيخ الأطرش أن مثل هذه المواقع هي المسؤولة الرئيسة عن تزايد الخلافات الزوجية في البلاد. وقال في الفتوى:

"إنها أداة تدمر الأسرة لأنها تشجع الزوجين على إقامة علاقات مع أشخاص آخرين، مما يخالف الشريعة الإسلامية... فبينما يكون أحد الزوجين في العمل، يدردش الثاني مع شخص آخر

على النت، مضيّعًا وقته ومستهينًا بالشريعة. وهذا يعرض الأسرة المسلمة للخطر".(114)

## الشباب المسلم والدردشة على الإنترنت وقصة برصيصا

عندما تتحدث الفتيات أو النساء مع نساء غريبات على الإنترنت، فليس هناك ما يضمن لهن إن كان الشخص الموجود على الجانب الآخر هو أنثى أم رجل يتنكر في شخصية امرأة. فالعديد من الرجال يتواجدون في غرف الدردشة كي يوقعوا النساء في شركهم بإغرائهن بالدردشة على الإنترنت. يقول عالم الاجتماع الأمريكي جون سولر (John Suler) إن تغيير الجنس سهل جداً على الإنترنت، مما يوفر فرصة للرجال للتنكر كنساء:

> "إن جمال الإنترنت، وأحيانًا شناعته، هو أنه يوفر فرصة للناس لعمل تجارب بهويتهم. وإحدى الطرق لفعل ذلك هو أن يغير الشخص جنسه كي يعرف كيف يعيش الجنس الآخر. وأول خطوة يخطوها في غرفة تقتصر على

---

114 *Urdu Link* Weekly, California (USA), (Friday Feb 19, 2010) “Fatwa of al-Azhar University Scholar about Facebook”

الدردشة النصية هي بكل بساطة أن يغير اسمه الإلكتروني."[115]

يشير سولير (Suler) إلى أن لدى الرجال أسباب ودوافع مختلفة وراء تغيير الجنس. وأحد الاحتمالات هو أن يكون متنكراً في شخصية أنثى، "تبحث عن صداقة حميمة أو قصة حب و/ أو ممارسة الجنس الإلكتروني". والرجال الذين يغيرون جنسهم وهوياتهم على الإنترنت وفي غرف الدردشة كثيرون. وفي معظم الأحيان، تكون رغبة الرجل في انتحال شخصية أنثى مدفوعة بدوافع خفية. وقد أجاد أحد قراء مقال جون سولير التعبير عن ذلك على النحو الآتي:

"لنواجه الأمر، لا تزال غالبية مستخدمي الإنترنت من الذكور، وفي بيئة غامضة كالإنترنت، تكون امكانية فقدان الروادع كبيرة للغاية. ومع وجود العديد من الرجال الذين يشعرون بالرغبة الجنسية على الإنترنت، وعدم وجود ما يقابلهم من النساء على الشبكة، أعتقد أن بعض الرجال يتظاهرون بأنهم نساء... لأنهم يرغبون في الاستمرار في

---

[115] Suler, J.R. (2004). “Do boys and girls just wanna have fun?” In: Gender Communication ed. Adrianne Kunkel. Iowa, Kendall/Hunt Publishing.

نوع من التجربة الإلكترونية. ويبدو الأمر وكأنهم ممثلون يتحكمون بدمية امرأة (تمامًا كما يفعلون في خيالهم أثناء التخيل الجنسي)، لكنهم في هذه الحالة، يقدمون الدمية كي يلعب بها شخص آخر غريب موجود على الجانب الآخر من الاتصال."[116]

لهذا السبب لا يسمح الإسلام بالخلوة أو "العزلة غير الشرعية" بين الرجال والنساء في المجتمع إلا إن كان الاجتماع ضمن علاقة شرعية (كزوجة الرجل أو أمه أو أخته أو ابنته أو عماته وخالاته). ولأن المصائب الأخلاقية لها مقدمات فإن الإسلام يقضي على الشر في مهده ويقلل من احتمال حدوث مثل هذه الظروف الاجتماعية التي يمكن أن يحصل فيها نوع من أنواع استغلال الرجال للنساء. والرجال يمكن أن يستغلوا النساء بارتكاب جرائم إلكترونية. وفي الواقع، إن التقارب التدريجي الذي يحصل بين الرجال والنساء خطوة بخطوة يشبه كثيراً قصة الراهب برصيصا التي سنسردها هنا. وقد ورد في القرآن الكريم مثل عن عمل الشيطان:

[116] Suler, J.R. (April 1999). “Do Boys (and Girls) just wanna have Fun? : Gender-switching in Cyberspace” John Suler’s *The Psychology of Cyberspace* http://users.rider.edu/~suler/psycyber/genderswap.html

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ (سورة الحشر)

يروي أئمة التفسير، في شرح هذه الآية، قصة راهب يدعى برصيصا كان معروفاً بعبادته وتقواه. يروي وهب بن منبه أن برصيصا كان من بني إسرائيل وكان يعيش في صومعة في معبد كرس نفسه للعبادة فيه. وكان في زمانه ثلاثة أشقاء وأختهم الوحيدة يعيشون في بلدة قريبة. ثم أن هؤلاء الأخوة الثلاثة من بني إسرائيل أرادوا أن يخرجوا للجهاد لكنهم كانوا قلقين بشأن المكان الذي ينبغي أن يتركوا أختهم فيه. فنصحهم شخص بأن أفضل مكان يتركونها فيه هو مكان برصيصا العابد الذي كان يعد أكثر الناس صلاحاً. فذهبوا إلى برصيصا وأخبروه بحالهم. فقال "إني أعوذ بالله منكم، اذهبوا عني". لكن بعد حين، همس الشيطان في قلبه: "إن لم تكن أنت من يرعى هذه الشابة فقد يرعاها شخص آخر فاسق. فكيف تترك هذا الخير يضيع من يدك؟" كان الشيطان يشجعه على فعل الخير، لذلك دعا الأخوة وقال لهم: "حسناً، سأعتني بها بشرط واحد وهو ألا يسمح لها بالبقاء معي في صومعتي. عليها أن تبقى في البيت القريب من صومعتي."

وبقيت الشابة في ذلك البيت في غرفة واحدة وكان هو يترك لها الطعام عند عتبة صومعته. وكان عليها أن تأتي إلى صومعته وتأخذ الطعام، ولم يكن

هو ينوي حتى أن يراها. ثم وسوس له الشيطان قائلاً: "ما الذي تفعله؟ ألا تعرف أن الناس قد يرونها عندما تخرج من غرفتها وتأتي إلى صومعتك. عليك أن تذهب أنت بالطعام إلى عتبة غرفتها." فقبل برصيصا بما وسوس له الشيطان، وبدأ يذهب بالطعام ويضعه عند عتبة غرفتها.

واستمر ذلك لفترة ثم همس الشيطان في قلب برصيصا: "هل ستتركها وحدها لا أحد يحدثها؟ ارجع وحدثها من خلف الباب كي تؤنسها فلا تشعر بالوحدة". لذلك كان الرجل الورع يتحدث إليها من خارج بيتها وكانت هي تتحدث من داخله من خلف الباب وكانا يرفعان صوتيهما ويصيحان ليسمع أحدهما الآخر. ثم عاد الشيطان يوسوس لبرصيصا: "لما لا ترح نفسك قليلاً؟ فبدلاً من الصراخ والصياح على بعضكما من مسافة بعيدة، لما لا تذهب وتجلس معها في نفس الغرفة وتتحدث إليها وجها لوجه؟" فبدأ برصيصا يجالسها في نفس الغرفة ويمضي معها بعض الوقت، وثم رويداً رويداً صارا يمضيان الساعات مع بعضهما. وبدأت الشابة وبرصيصا يتقاربان أكثر فأكثر إلى أن فعل ذلك العابد الكبير في أحد الأيام الفاحشة معها، فحملت الشابة وولدت طفلاً. عندها همس الشيطان لبرصيصا: "ماذا فعلت؟ هل تعرف ما الذي سيحصل عندما يرجع أخوتها؟ سيقتلونك، حتى لو زعمت أن ذلك الطفل ليس ابنك. سيقولون لك أنك أنت، أولاً وآخراً، الذي كان من المفترض أن يرعاها، لقد كانت في عهدتك ولا يهمنا من هو الأب. والحل

الوحيد لهذه المعضلة هو أن تقتل الطفل وتدفنه". فقطع برصيصا رأس الطفل الرضيع ودفنه. بعد ذلك هدده الشيطان: "هل تظن أن الأم ستحفظ السر بعد أن قتلت ابنها؟ سوف تخبر أخوتها. لذلك يجب أن تقتلها هي أيضـًا". فقتلها برصيصا ودفنهما كلاهما في تلك الغرفة.

وعندما رجع الأخوة سألوا برصيصا: "أين أختنا؟" فقال: "لقد مرضت وماتت وهي مدفونة في ذلك المكان". وذهب ودلهم على قبر وهمي، فدعوا لها وعادوا إلى منزلهم. وفي تلك الليلة جاء الشيطان إلى أحد الأخوة في المنام وقال له: "هل صدقت برصيصا؟ هل صدقته؟ إنه يكذب عليكم. لقد فعل الفاحشة بأختكم ثم قتلها وطفلها، والدليل أنها ليست مدفونة في المكان الذي دلكم عليه، بل هي مدفونة في غرفتها تحت الصخرة". وعندما أفاق أخبر أخوته بما رأى في المنام. فقال الأخوان الآخران: "لقد رأينا نفس المنام، ولا بد أنه الحقيقة". وفي اليوم التالي نبشوا القبر الوهمي فلم يجدوا شيئـًا، فذهبوا إلى غرفتها وحفروا الأرض فوجدوا أختهم مدفونة ومعها طفل.

أمسكوا ببرصيصا وأخذوه إلى الملك كي يعدمه. وبينما هم يسحبونه إلى الملك، جاء الشيطان إلى برصيصا لكنه لم يأته على شكل وسواس بل جاءه على شكل بشر وقال له: "يا برصيصا، هل تعلم من أنا؟ أنا الشيطان. أنا من تسبب لك بكل هذه المشكلة وأنا الوحيد الذي لديه الحل لإنقاذك. والأمر يعود لك أن تذهب وتموت أو أن تستمع إلي حتى أنقذك". فقال برصيصا:

"أنقذني، أرجوك". فقال له الشيطان: "اسجد لي!" فسجد برصيصا للشيطان. وحالما سجد فر الشيطان قائلاً: "إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين". لقد سجد برصيصا للشيطان وكان هذا خاتمة أعماله في حياته لأنه أعدم بعد ذلك بوقت قصير.[117]

كان برصيصا عابداً تقياً على صراط مستقيم لكنه اختار طريق الخطيئة، الذي بدا في البداية غير ذي أهمية (كنقرة واحدة على زر من أزرار لوحة المفاتيح)، فانتهى به الأمر إلى أن صار كافراً.

ما هي السياسة التي كان الشيطان يستخدمها مع برصيصا؟ لو أن الشيطان جاء إلى برصيصا من البداية وقال له "اسجد لي"، فهل كان برصيصا سيجد له؟ لم يكن ليفعل ذلك أبداً. فاتخذ الشيطان سياسة خطوة بخطوة. ولهذا السبب بالتحديد أمرنا الله ألا نتبع خطى الشيطان لأن خطى الشيطان وإن كانت تدمرنا ببطء ولكنها ستدمرنا بالتأكيد:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ (سورة البقرة)

---

[117] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفى 597هـجري) "ذم الهوى"، دار الكتاب العربي، سنة النشر: 1998 م.

يمكن من خلال هذه القصة الحقيقية (والعديد من القصص الأخرى في الفصل التالي من هذا الكتاب) وبكل سهولة أن نرسم تصوراً مماثلاً عن الدردشة على الإنترنت. إن أخواتنا المسلمات البريئات في غرف الدردشة (أو اللواتي ينشرن صورهن على فيسبوك أو تويتر) يشبهن الشابة التي تركها أخوتها في بيت قرب صومعة برصيصا. وكل الرجال من غير المحارم في غرف الدردشة (أو على فيسبوك) يشبهون برصيصا حتى وإن كان الرجل منهم "أخ مسلم" يريد أن يتعلم أو يستفسر عن أمر من أمور الإسلام من أي أخت في غرفة الدردشة. هؤلاء الرجال "الأتقياء" يدفعهم الشيطان كي يستخدموا أقوى سلاح ضد الفتيات والشابات – سلاح الإطراء والكلام المعسول كي "يؤنسوها فلا تشعر بالوحدة". ثم يوحي الشيطان لتلك النساء المسلمات وكذلك للرجال المتواصلين على الإنترنت بتبادل الصور ومشاركتها بعضهم مع بعض، ثم يبدؤون بإرسال الرسائل النصية بعضهم إلى بعض. وبعد ذلك، يشجع الشيطان كل من النساء والرجال المسلمين كي يتحدثوا على هواتفهم المحمولة ثم على فيديو سكايب حتى يتمكنوا من رؤية بعضهم بعضاً. ثم يوحي لهم الشيطان باللقاء وجهاً لوجه حتى يتمكنوا من فهم بعضهم بعضاً بشكل أفضل ثم الوقوع في نفس الخطيئة التي وقع فيها برصيصا والشابة. إن "الرجال من نوع برصيصا" يتحلون بالكثير من الصبر إلى أن يعثروا على "الضحايا الطيبة" وينتظرون بأناة لإقامة علاقة مع فتاة مسلمة، علاقة مبنية على

شعور زائف بالثقة والإخلاص. ومثل هؤلاء الرجال يفعلون كل ما تريد الفتاة أو المرأة أن يفعلوه كي يكسبوا ثقتها. وعلى الرجال المسلمين أن يدركوا أن الأمر سينتهي بهم في موقف كموقف برصيصا إن هم تورطوا بعلاقات على الإنترنت. وعليهم أن يدركوا أن نهاية برصيصا في قصته كانت أسوأ من نهاية تلك الشابة. فهي قتلت فقط لكن برصيصا لم يخسر حياته فحسب، بل خسر إيمانه أيضـًا بسجوده للشيطان. ومن ثم، ليست النساء المسلمات فقط هن اللواتي يعانين من دعوة الشيطان خطوة بخطوة، فالرجال المسلمون قد يتكبدون عواقب أسوأ لأن الله تعالى قال في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ (سورة البروج: 12)

لذلك، يجب ألا تثق الفتيات والشابات المسلمات أبدًا بالرجال غير المحارم – بأي شخص، في أي وقت، وفي أي مكان. فغرض هؤلاء الرجال غير المحارم الذين يحاولون الدخول في نوع من التفاعل مع الأخوات المسلمات البريئات عبر الإنترنت هو فقط إغواؤهن، وسلبهن براءتهن، وشرفهن وحياءهن. هؤلاء الرجال هم برصيصا الإنترنت. ومرحبـًا بكم في العصر الرقمي، لكن تذكروا النصيحة:

"احذروا برصيصا على شبكات التواصل الاجتماعي"

# أخطار الفيسبوك والدردشة على الإنترنت أخطار حقيقية

إن مواقع شبكات التواصل الاجتماعي هي شغف الشباب المعاصر وهم لا يتصورون الحياة بدونها، حتى أن بعضهم يشعر أنه من الضروري أن يدون على حسابه على الفيسبوك أو على أي حساب له على شبكات التواصل كل ما يفعله في حياته اليومية. ومنشورات هؤلاء على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي هي "جزء من مذكرات يومية وجزء من ألبوم صور مع نشر الإشاعات والموسيقى المفضلة والأمور التي تغيظهم – وحتى أرقام هواتف وفي بعض الأحيان عناوين منازل وعرض صور في أحيان أخرى."[118]

أوليفيا ووكر (Olivia Walker)، فتاة في مدرسة ثانوية في كاليفورنيا اعتادت تسجيل الدخول إلى ماي سبيس دوت كوم (MySpace.com)، قالت لبيت ويليامز (Pete Williams)، مراسل شبكة إن بي سي نيوز (NBC News) لدى وزارة العدل: "إنها وسيلتهم لإرسال رسائل فورية أو معرفة المزيد عن شخص لم يعرفوه من قبل. كما يمكنك أن تنشئ علاقات أو تكون صداقات على ماي سبيس." وقال أندرو كريد (Andrew Crede) وهو طالب في ثانوية

[118] Williams, Pete (Feb. 3rd, 2006) “MySpace, Facebook attract online predators: Experts say be careful what you post online - somebody is always watching” NBC News. http://www.msnbc.msn.com/id/11165576/

نيوتن نورث (Newton North High School) في بوسطن عن ماي سبيس: "معظم الأولاد في مدرستي يستخدمون ماي سبيس. تنشر صورك فتلتقي بالفتيات وتلتقي بالفتيان." لكن، وكما يشير بيت وليامز، فإن المشكلة في أن هذه المواقع لا يبحث عليها الشباب فقط، بل المتحرشون الجنسيون أيضاً يمكن أن يبحثوا عن ضحايا عليها. على سبيل المثال، ألقت الشرطة في ولاية كونيتيكت (الولايات المتحدة الأمريكية) القبض على شاب يبلغ من العمر 21 عاماً التقى بفتاة تبلغ من العمر 14 عاماً على ماي سبيس، وطلب منها لاحقاً أن يقابلها شخصياً. وعندما قابلته وجهاً لوجه، اغتصبها. وكذلك، ألقت الشرطة في لونغ آيلاند (نيويورك) القبض على رجل آخر حصل بطريقة ما على عنوان عمل فتاة تبلغ من العمر 16 عاماً على أحد مواقع التواصل الاجتماعي. وعندما قابلته وجهاً لوجه، بناء على طلبه، استدرجها إلى موقف سيارات قريب واعتدى عليها جنسياً."(119)

إن أصداء هذه المخاوف التي أعرب عنها رجال القانون تتردد في كل أنحاء العالم ومع ذلك ما زالت هذه الجرائم تحصل على مستوى العالم. في الفلبين، على سبيل المثال، يعد الاعتداء الجنسي على الأطفال واستغلالهم عبر الإنترنت من الأمور الشائعة. فقد أشارت ليوناردا كلينغ ( Leonarda Kling)، الممثلة الإقليمية لمنظمة أرض الإنسان في هولندا ( Terre des

[119] المرجع نفسه.

Hommes Netherlands)، وهي منظمة غير ربحية تعمل في مجال قضايا الاتجار بالبشر، إلى ما يأتي:

"هذا الأمر في الفلبين هو غيض من فيض. ولا يقتصر هذا الأمر على فيسبوك ووسائل التواصل الاجتماعي فحسب، بل أيضاً يحصل من خلال الرسائل النصية ...والمستهدف بشكل خاص هم الشباب الضعفاء. وأمرهم كله يتعلق بالوعود - وظائف أفضل أو ربما هاتف جميل أو أي شيء آخر. وحال الشباب الآن يقول إنك ترى السحر واللمعان من حولك كيفما أدرت وجهك، وهم يريدون الحصول على أحدث أجهزة البلاك بيري (BlackBerry)، وعلى آخر صيحات الموضة. لذلك فإن هذه هي إحدى الطرق للحصول على هذه الأشياء ".[120]

إن هوس الشباب بالإلكترونيات ووسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي يطرح ثماره المُرَّة في كل مكان، في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء. فوفقاً لمواقع الويب التي تتعقب وسائل التواصل الاجتماعي بدءاً من عام 2012، تبين أن في إندونيسيا حوالي 50 مليون

[120] Mason, Margie (Oct. 29th, 2012) “Dozens of Indonesian girls 'friended' on Facebook by men who kidnap, use them as sex slaves” *The Associated Press*. http://news.yahoo.com/dozens-indonesian-girls-friended-facebook-men-kidnap-them-161635006.html

شخص أنشأوا حسابات على فيسبوك، مما يجعلها واحدة من أكبر المستخدمين في العالم بعد الولايات المتحدة. وبالفعل، ذكرت مؤخراً شركة سيميوكاست (Semiocast)، وهي شركة لمراقبة وسائل التواصل الاجتماعي مقرها باريس، أن جاكرتا (عاصمة إندونيسيا) هي المدينة الأكثر نشاطاً على تويتر. وفي الحقيقة إن الشباب المسلم يسير على خطى الشباب غير المسلم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وهذا يذكرنا حقا بالحديث الذي رواه أبي سعيد الخدري عن نبينا الحبيب محمد زحيث قال:

**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُم. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ.** (صحيح مسلم)[121]

ذكرت اللجنة الوطنية الإندونيسية لحماية الطفل أن ربع المراهقات المفقودات، في سنة 2012 فقط، والبالغ عددهن 129 كن قد اختطفن بعد أن التقين بخاطفيهن على فيسبوك. وقد عُثر على واحدة من تلك الفتيات المراهقات ميتة بعد تعرضها للاغتصاب. وأعرب رئيس المجموعة، أريست

[121] الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2669

ميرديكا سيريت (Arist Merdeka Sirait)، عن أسفه لهوس الشباب المسلم بوسائل الإعلام الإلكترونية، وقال:

> "نحن نسابق الزمن، وجنون التكنولوجيا على فيسبوك هو التوجه الذي يميل إليه المراهقون هنا. يجب على الشرطة التحرك بسرعة أكبر، وإلا فإن العديد من الفتيات سيقعن ضحايا له".[122]

**فيما يأتي بضع أمثلة عن الحالات التي نُشرت دوليًا لجرائم ارتكبت باستخدام مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كفيسبوك وباستخدام الدردشة عبر الإنترنت:**

## قصة الفتاة آشلي هول البالغة من العمر 17 عامًا وقاتلها على الفيسبوك

كانت آشلي هول (Ashleigh Hall)، من دارلنجتون، المملكة المتحدة، طالبة جامعية مشرقة فاتنة تبلغ من العمر 17 عاماً. وكانت، في أوقات فراغها، تحب الاتصال بالإنترنت على فيسبوك حيث كان لديها العديد

---

[122] Mason, Margie (Oct. 29th, 2012) "Dozens of Indonesian girls 'friended' on Facebook by men who kidnap, use them as sex slaves" *The Associated Press*.
http://news.yahoo.com/dozens-indonesian-girls-friended-facebook-men-kidnap-them-161635006.html

من الأصدقاء. وبدا لها أن الأمور تسير على ما يرام. لكن في 25 أكتوبر 2009، تعرضت آشلي للاغتصاب والقتل على يد رجل يبلغ من العمر 33 عاماً كانت قد التقت به على الإنترنت. كان القاتل، الذي عرف أيضاً باسم "قاتل فيسبوك Facebook Killer"، بيتر تشابمان (Peter Chapman)، من المملكة المتحدة، قد تظاهر بأنه مراهق على صفحته على فيسبوك التي التقى عليها آشلي لأول مرة. وكان تشابمان يضع صورة على حسابه الشخصي يتظاهر بها أنه شاب جذاب عاري الصدر يبلغ من العمر 19 عاماً. فأعجبت آشلي بصورة هذا الشاب ذي التسعة عشر عاماً ولم تكن في الحقيقة تعلم أن وراء الشخص الذي في الصورة ذئب في ملابس الجدة، تماماً كالذئب الذي في قصة ليلى.

أعجبت آشلي برسائل بيتر تشابمان الجذابة، وسرعان ما أصبحت صديقته. وفي غضون شهر، تمكن تشابمان من إقناعها باللقاء وجهاً لوجه. ولكي يجذب آشلي إلى سيارته، أرسل لها تشابمان رسالة نصية يخبرها فيها أن والده هو الذي سيصحبها بسيارته (وكان قد فعل ذلك لأن الصورة التي نشرها على فيسبوك لم تكن صورته الحقيقية)، فأرسل لها رسالة يقول: "حبيبتي، والدي في طريقه إليك." وبعدها أرسلت هي رسالة تجيبه فيها: "حبيبي، والدك

قد وصل." وحالما أصبحت في السيارة فتك بها. ووفقـًا لتقرير الأخبار يوم الإثنين التالي:

"تم العثور على جثة آشلي ملقاة في حقل أحد المزارعين بالقرب من مقاطعة سيدجفيلد، دورهام، ( Sedgefield County, Durham) في شهر تشرين الأول. يداها مربوطتان، وعلى وجهها شريط لاصق أدى إلى خنقها حتى الموت".(123)

وفقـًا للادعاء، عندما قابلت آشلي تشابمان يوم 25 تشرين الأول، اختطفها واغتصبها وقتلها. وأدلى مفتش المباحث ميك كالان ( Mick Callan)، رئيس فريق الجرائم الكبرى في شرطة دورهام، بالملاحظات التالية حول هذا الحادثة المؤلمة:

"الحقيقة هي أن [بيتر تشابمان] مرتكب جريمة جنسية مفترس استطاع، من خلال مخالب الإنترنت، الوصول إلى

---

123 Carter, Helen (March 8th, 2010). "Facebook murderer who posed as teenager to lure victim jailed for life". *The Guardian* (London). http://www.guardian.co.uk/uk/2010/mar/08/peter-chapman-facebook-ashleigh-hall. Retrieved Jan 10th, 2011.

الشابة الضعيفة. وهو يعلم تمام العلم أن استخدام اسمه الحقيقي وصورته الحقيقية لن يجذب انتباه أي شابة ولو للحظة. لكنه تمكن بالتستر خلف صورة شاب حسن المظهر من نسج شبكة جذابة خادعة كان لها للأسف نهاية قاتلة."[124]

أدين بيتر تشابمان باختطاف المراهقة آشلي هول واغتصابها وقتلها وحكم عليه بالسجن لمدة 35 عامـًا. إلا أن الضرر الذي لحق بعائلة آشلي كان ضرراً دائمـًا. كانت أندريا، والدة آشلي، في المحكمة مع والدها عندما تلا القاضي الحكم على بيتر تشابمان، وكان ألمها شديداً للغاية عندما سمعت أن قاتل ابنتها المشرقة البسيطة لم يحكم عليه بالإعدام وإنما فقط بالسجن مدى الحياة.

ذكرت أندريا، أثناء حديثها عن ابنتها مع مراسلة صحيفة ديلي ميل (Daily Mail) البريطانية فرانسيس هاردي (Frances Hardy)، أن ابنتها لم تكذب عليها قبل هذه الحادثة مطلقـًا. قالت: "كنا نعرف دائما مكان آشلي. كنا نثق بها ... كانت تفضل البقاء في المنزل. وفي أيام السبت، كان المنزل دائمـًا

[124] المرجع نفسه.

يمتلئ بصراخ الفتيات اللواتي يأكلن البيتزا ويشاهدن برنامج ذا إكس فاكتور (The X Factor). لم يكن من عاداتها أن تكذب".[125]

لكن آشلي كذبت على والدتها عندما سألتها عما إذا كانت تسمح لها بالذهاب إلى منزل صديقتها الجامعية كريستي والنوم عندها. ووافقت والدة آشلي شرط أن تعود بحلول الساعة 10:30 من صباح اليوم التالي. لكنها لم تعد بحلول صباح اليوم التالي، إذ كان تشابمان، قبل ذلك الوقت، قد اغتصبها وخنقها حتى الموت ثم ألقى جثتها في حفرة في منطقة نائية.

لماذا كذبت آشلي على والدتها بشأن لقائها مع تشابمان؟ في الواقع، استخدم تشابمان نفس الأسلوب الذي يستخدمه أي رجل يبحث عن فتاة أو امرأة عبر الإنترنت: فن الإطراء الأبدي. هذا هو بالضبط ما اتبعه تشابمان مع آشلي. كان يستخدم الكلام المعسول عند تواصله على النت مع آشلي. قالت والدة آشلي: **"لقد زيّن لها القول. قال لها إنها جميلة ومرحة ولطيفة"**.

كان والد أندريا (جد آشلي) هو الذي ذهب مع الشرطة ليلة الثلاثاء للتعرف على جثة آشلي لأن أندريا كانت محبطة للغاية. لم تكن تستطيع المشي وكانت تشعر كما لو أن حياتها قد انتهت. وقد ذكرت لاحقًا:

---

[125] Hardy, Frances (Nov. 1st, 2010) “Failed by the police. Failed by Facebook. A family torn apart by the cunning of an online predator” *Dailymail.co.uk* http://www.dailymail.co.uk/femail/article-1323439/Failed-Facebook-police-Ashleigh-Halls-family-torn-apart-online-predator.html#ixzz2AjcNt0Av Retrieved: Jan. 10, 2011.

"كانت حياة الناس تسير على ما يرام، لكن حياتي أنا كانت واقفة ساكنة... كان عليَّ أن أرى الحفرة التي ألقيت فيها جثة آشلي. كان الأمر فظيعاً – مظلماً بغيضاً. جسدي تجمد. لم أستطع المشي... آمل فقط أن تكون قد ماتت قبل أن يرميها هناك. أتخيلها تصرخ. لا بد أنها كانت خائفة جداً. ورغم أنها كبرت، إلا أنها كانت ما تزال طفلتي".[126]

يبدو أن منامات عن موت آشلي ستطارد والدتها المكلومة بقية حياتها. ففي كثير من الأحيان، ما أن تغط في النوم حتى تعصف بها كوابيس عن ابنتها فتستيقظ. وهي تقول:

"ما أن أغلق عيني حتى أرى جثة آشلي في تلك الحفرة. أسمعها تصرخ. أراها تعاني. وأرى تشابمان أيضاً."[127]

[126] المرجع نفسه.

[127] المرجع نفسه.

## الصداقة عبر الإنترنت تحولت إلى اختطاف: قصة فتاة تبلغ من العمر 14 عامًا

كانت سارة (Sarah) فتاة تبلغ من العمر 14 عاماً من ديبوك (Depok)، مدينة في إندونيسيا. لقد كانت طالبة مجتهدة في مدرستها الثانوية. كانت من مستخدمات فيسبوك النشيطات وكانت تقبل طلبات الصداقة من أشخاص في عمرها. كانت تقوم بتحميل صورها على فيسبوك وتستمتع بمشاركتها مع أصدقائها. وكانت تتحدث مع العديد منهم عبر رسائل خاصة. في يوم 29 تشرين الأول 2012، التقت فتاة ديبوك (سارة) هذه بمراسلي وكالة أخبار أسوشيتد برس وأجرت معهم مقابلة حول اختطافها الأخير واغتصابها المتكرر من قبل مفترس جنسي التقت به على فيسبوك. عندما تلقت الفتاة طلب صداقة على فيسبوك من هذا الغريب، قبلته فقط للتحقق منه. لكن سرعان ما سحرت ملاطفات الرجل وكلامه المعسول الفتاة طالبة المدرسة الثانوية، وأوقعتها في الحب. وعلى الفور تبادلا أرقام الهواتف ثم بدآ يتراسلان برسائل نصية قصيرة. وطلب منها الرجل أن يلتقيا في أحد المراكز التجارية. فكذبت الفتاة على أمها وقالت لها إنها ستزور صديقتها المريضة في طريقها إلى التدريب مع جوقة الكنيسة. وقابلت الرجل. كان يبلغ من العمر 24 عاماً، وسيم جذاب اسمه يوجي. صعدت الفتاة إلى سيارة يوجي الفان الصغيرة. وقاد يوجي السيارة لمدة ساعة إلى مدينة بوغور (Bogor) غرب جاوة ثم حبسها في غرفة

صغيرة في منزل مع خمس فتيات أخريات تتراوح أعمارهن ما بين 14 و 17 عامـًا. هذا الرجل، الذي كان طيباُ جداً على صفحات الفيسبوك، وودوداً جداً في الرسائل النصية، ولطيفـًا جدًا على الهاتف الخلوي، أقدم في الواقع على تخدير الفتاة واغتصابها، ثم فعل ذلك مراراً وتكراراً طوال سبعة أيام. كان يعطيها حبوبـًا منومة فكانت تمضي معظم الوقت هناك فاقدة وعيها. وأخيراً وبعد أسبوع من التعذيب، أخبرها يوجي بأنه سيبيعها ويرسلها إلى جزيرة باتام (Batam) المشهورة بأندية الدعارة التي يأتي إليها رجال على متن قوارب قادمون من سنغافورة. لكن ولحسن الحظ، لم يكن لدى الرجل ما يكفي من المال لشراء تذكرة طائرة إلى باتام، ثم أنه اكتشف أن والدي الفتاة يبحثان عنها بشكل حثيث. لذلك، ألقى بها في محطة للحافلات حيث تمكنت من الفرار.

كانت سارة (فتاة ديبوك)، الطويلة النحيلة، ذات الشعر الأسود القصير الذي يتدلى إلى كتفيها، ترتدي قناعـًا يخفي وجهها أثناء مقابلتها مع مراسل أخبار أسوشيتد برس. وقالت له في المقابلة:

"كان يريد أن يشتري لي ملابس جديدة، ويساعدني في دفع رسوم المدرسة. لقد كان مختلفـًا... لدي الكثير من جهات الاتصال على فيسبوك، وقد تبادلت معهم أرقام الهواتف أيضـًا. وكان كل

شيء يسير على ما يرام دائمـًا. كنا مجرد أصدقاء... إنني غاضبة

ولا يمكن أن أتقبل ما فعله بي... لقد اغتصبني وضربني!"[128]

المشكلة في الأمر أنه على الرغم من أن زيادة عدد جهات الاتصال على فيسبوك قد تكون مفرحة للشباب، إلا أنها تزيد كثيراً من خطر وقوعهم ضحايا للجرائم. تقول مستشارة التعليم الإلكتروني لوري جيتز (Lori Getz):

"يُفتتن أولادنا بأن يكونوا "مشهورين" أو معروفين على الإنترنت. ويظنون أنه كلما ازداد عدد أصدقائهم على الإنترنت، كلما ازدادت شعبيتهم. لكن هذا غير صحيح. الحقيقة هي أنه كلما ازداد عدد أصدقائهم على الإنترنت، كلما كبرت رقعة تعرضهم للاستهداف."[129]

---

128 Mason, Margie (Oct. 29th, 2012) “Facebook Used to Kidnap, Traffic Indonesian Girls.” *Abc News*. http://abcnews.go.com/Technology/wireStory/facebook-kidnap-traffic-indonesian-girls-17586248 Retrieved: April. 15, 2012.

129 Getz, Lori (March 10, 2010) “The Dangers of Facebook Are Real” http://www.hotindienews.com/2010/03/10/1020385 Retrieved: Jan. 20, 2012.

حتى يومنا هذا، لم تعثر الشرطة على الرجل الذي اختطف الفتاة من ديبوك، ولم يتضح ما الذي حصل للفتيات الخمس الأخريات اللاتي كن محتجزات معها. وقد ذكرت الفتاة من ديبوك بألم:

"رأيت الرجل الذي خطفني يعرض هؤلاء الفتيات الخمسة على العديد من الرجال. ولا أعرف ماذا حصل لهن. ولا أريد أن أتذكر ذلك."[130]

## معصوب العينين من الثقة: قصة الهجوم المروع على الآنسة ماريكار بنديكتو

كان ديفيد راسل (David Russell)، البالغ من العمر 20 عاماً، يعمل في مطعم ماكدونالدز للوجبات السريعة في المملكة المتحدة. لكن، لم يكن يستخدم هويته الحقيقية عندما يتصفح الإنترنت. فقد كان راسل يدَّعي على حسابه على فيسبوك، بأنه المغني الشهير أوليفر سايكس (Oliver Sykes) (صاحب أغنية "أحضر لي الأفق" – 'Bring Me the Horizon'). فكانت

[130] Mason, Margie (Oct. 29th, 2012) "Facebook Used to Kidnap, Traffic Indonesian Girls." *Abc News*. http://abcnews.go.com/Technology/wireStory/facebook-kidnap-traffic-indonesian-girls-17586248 Retrieved: April. 15, 2012.

صفحة راسل الجذابة باعتباره شخصية مشهورة كافية لجذب فتاة شابة من كاليفورنيا تُدعى ماريكار بنديكتو (Maricar Benedicto) تبلغ من العمر 19 عاماً التقت به على فيسبوك وأصبحت صديقته على الفور. وبعد لقائهما على فيسبوك، بدأت الآنسة بنديكتو في الدردشة معه على سكايب (بكاميرا الفيديو). وقد وثقت الآنسة بنديكتو به حتى أنها سافرت إليه من كاليفورنيا في الولايات المتحدة إلى بريطانيا العظمى. وقد قدم محامي الادعاء كريستوفر دونيلان كي سي (Christopher Donnellan KC) بلاغاً للقاضي قال فيه "في اليوم الذي سبق وصول الآنسة بنديكتو من كاليفورنيا في نيسان الماضي، كان راسل قد بحث على الإنترنت عن 'كيف تقتل شخصاً بأيدٍ عارية'، و 'كيف تسلخ الجلد بالسكين'، وما هو 'أفضل سكين للقتل'."[131]

بعد وصول الآنسة بنديكتو إلى محطة قطار البلدة البريطانية، رحب بها راسل ترحيباً حاراً ملؤه الحب. ثم أخذها في جولة في الغابة القريبة. وهناك طلب من حبيبته الآنسة بنديكتو الجلوس على جذع شجرة ملقى على الأرض وأخبرها أنه سيعصب عينيها لأن لديه هدية خاصة سيقدمها لها. أما ما حصل بعد ذلك وتذكره الآنسة بنديكتو هو أن شخصاً ما كان يحاول أن يحز

---

[131] Dolan, Andy (Oct. 5th, 2011) “Facebook Used to Kidnap, Traffic Indonesian Girls.” *The Daily Mail UK*. http://www.dailymail.co.uk/news/article-2045454/McDonalds-worker-David-Russell-used-Facebook-lure-Maricar-Benedicto-cut-throat.html#ixzz2B0ACoUUj Retrieved: Jan. 14, 2012.

حنجرتها. وقال محامي الادعاء دونيلان للمحكمة بأن راسل كان أثناء ذلك يصرخ في وجه الآنسة بنديكتو: "لماذا لا تموتين؟ لقد دمرت حياتي. هذا كله ذنبك."[132]

وفي تلك اللحظة، سقطت العُصابة عن عينيها فراحت تركض هاربة، لكنه أمسك بها وراح يطعنها في ظهرها بسكين حادة. ولم يوقف راسل هجومه عليها حتى أخبرته أنها قد أعطت اسمه وعنوانه لضباط الهجرة البريطانيين عند وصولها إلى المملكة المتحدة. ولما سمع ذلك، ركض هارباً واختبأ في منزله. ولقد حُكم على راسل بالسجن مدى الحياة بتهمة خطف ومحاولة قتل الفتاة الأمريكية. نجت الآنسة بنديكتو من الحادثة بجروح خطيرة لكن الصدمة النفسية التي أصابتها ربما تكون قد دمرت بقية حياتها وربما لن تتعافى منها أبداً. وهذا كله بدأ بنقرة واحدة فقط على زر على الكمبيوتر.

[132] المرجع نفسه.

## مفترس غرف الدردشة: قصة قاتل الشابات عبر الإنترنت

الشاب كريستيان غروثير (Christian Grotheer)، ألماني يبلغ من العمر 27 عاماً، كان يصوّر نفسه كرجل طبيعي وسليم يحب كتابة الشعر. في عام 2009، اعترف كريستيان أنه قتل نساء التقى بهن في غرف الدردشة على الإنترنت. فأطلقت عليه الصحافة الألمانية ورجال القانون لقب "قاتل الإنترنت الأول في ألمانيا."

كان غروثير يستخدم في غرف الدردشة الاسم المستعار "روزنبوائي – Rosenboy" وأمضى سنوات في الدردشة عبر الإنترنت بهدف إغواء نساء يأمل أن يمارس معهن الجنس لفترات مؤقتة. واعترف في المحكمة بأنه غازل أكثر من 300 امرأة عبر الإنترنت والتقى بالعديد منهن شخصياً، وأنه قتل امرأتين طعن إحداهن 26 طعنة بالسكين. حُكم على كريستيان غروثير بالسجن مدى الحياة لقتله نساء كان قد التقى بهن على مواقع المواعدة على الإنترنت.[133]

---

[133] "Internet murderer' Christian Grotheer jailed for life after killing women he met on online dating". *AFP*. April 01, 2009. http://www.news.com.au/breaking-news/online-dating-killer-jailed-for-life/story-e6frfku0-1225697265483 Retrieved: Jan. 20, 2011.

قال غروثير للمدعين العامين إنه تحدث عبر الإنترنت مع جيسيكا ك. (Jessica K.)، وبعد ذلك التقاها في مسقط رأسها في مدينة ستاده (Stade) بالقرب من هامبورغ في بداية شهر حزيران من العام الماضي وكان يخطط لممارسة الجنس معها "في الهواء الطلق". وفي مرة من مرات لقائهما، نشبت بينهما مشاجرة، فقتلها طعناً بالسكين. وقد أبلغ المدّعون القاضي أن علماء الطب الشرعي وجدوا في وقت لاحق آثار دم جيسيكا على حذاء غروثير، كما عثرت الشرطة على جثتها متفسخة بعد أسبوعين من وفاتها.

قتل غروثير امرأة ثانية تواعد معها على غرفة دردشة، وهي ريجينا ب. (Regina B.)، أم لثلاثة أولاد تبلغ من العمر 39 عاماً. أقام غروثير معها علاقة جنسية، وبعد عدة أيام طلبت تلك الأم ذات الأولاد الثلاثة أن يدفع لها مبلغ 500 جنيه إسترليني. وعندما رفض غروثير، وصفته ريجينا بأنه مغتصب وهددته برفع دعوى ضده بتهمة الاغتصاب. فأخذها في نزهة سيراً على الأقدام وطعنها بالسكين ما لا يقل عن 26 طعنة، ثم ألقى بجثتها في منطقة معزولة.

أخبر غروثير القاضي في اقرار خطي أنه كان على مدار سنوات عديدة يقضي معظم أوقات فراغه في زيارة غرف الدردشة على الإنترنت. وقال:

"أنشأت خلال سنوات ما لا يقل عن 300 جهة اتصال من

خلال غرف الدردشة هذه، ولقد التقيت على الأقل مئة، إن لم

يكن مئة وخمسين، من هؤلاء النساء شخصياً. كنت أقضي الليل كله في هذه المنتديات..."[(134)]

لا بد وأن الطريقة التي صور بها غروثير نفسه مستخدماً العبارات الرقيقة كانت تبدو للعديد من النساء اللواتي التقاهن على الإنترنت لطيفة وجذابة. لكن وجهه الحقيقي كان مختلفاً كثيراً عن ملفه الشخصي على غرف الدردشة، تماماً كالذئب المتنكر بملابس البشر. لقد كان في الواقع متوحشاً للغاية حتى أنه لم يرحم امرأة تبلغ من العمر 39 عاماً وهي أم لثلاثة أطفال، تاركاً أطفالها بلا أم إلى الأبد.

## مثلث الحب وقصة قضية توماس مونتغمري القاتلة

كان توماس مونتغمري (Thomas Montgomery) رجلاً متزوجاً يبلغ من العمر 46 عاماً، وأباً لابنتين. كان لديه زوجة محبة تدعى سيندي، وكان يحب زوجته وبناته. كانت حياتهم تسير على أحسن ما يكون إلى أن دخل مونتغمري في يوم من الأيام في علاقة على الإنترنت مع فتاة تبلغ من العمر 18

[134] "'Germany's First Internet Killer,' Christian G, Admits Murdering Women He Met Online". *Huffington Post*. January 15, 2009. http://www.huffingtonpost.com/2009/01/15/germanys-first-internet-k_n_158102.html. Retrieved: Jan. 20, 2011.

عاماً تطلق على نفسها اسم جيسي (Jessi). كان مونتغمري يدّعي على ملفه الشخصي أنه شاب وسيم من مشاة البحرية المتجهين إلى العراق، وفي يوم من أيام أيار عام 2005، دخل غرفة دردشة للمراهقين بهذا الملف الشخصي حيث التقى جيسي وبدأ في مراسلتها على الفور. بدأ الأمر بمغازلة جيسي كما ذكر مونتغمري لاحقاً: "فكرت طويلاً. حسناً، نحن لن نلتقي أبداً. سوف ألاعبها فقط".[135]

لكن سرعان ما تحول الأمر إلى قصة حب وأصبح من الصعب على مونتغمري التراجع. أرسلت إليه جيسي صورها وكانت فعلاً صوراً لفتاة مراهقة شقراء. وكانت تتلهف كي تتعرف على شكل مونتغمري. لذا أرسل إليها صوراً له في عمر 30 عاماً من معسكر تدريب مشاة البحرية. وكانا كلاهما يمضيان وقتاً طويلاً في الدردشة على بوجو وماي سبيس وياهو ( Pogo, MySpace, Yahoo). لكن كان كل منهما في الحقيقة يخدع الآخر بشأن عمريهما كما سيتضح لاحقاً. فقد كانت جيسي نفسها امرأة في منتصف العمر وكانت تستخدم صور ابنتها المراهقة على ملفها الشخصي.

بدأ مونتغمري يمضي ساعات وساعات في المساء جالساً أمام جهاز الكمبيوتر، الأمر الذي جعل زوجته سندي تشعر بالإحباط. وكان في بعض

---

135 Avila, Jim, Martz, Geoff and Napolitano, Joanne (Aug 27, 2011) “Online Love Triangle, Deception End in Murder” *abc News – abc 2020*. [http://abcnews.go.com/US/online-love-triangle-deception-end-murder/story?id=14371076](http://abcnews.go.com/US/online-love-triangle-deception-end-murder/story?id=14371076) Retrieved on: Mar. 17, 2012.

الأحيان يبعد ابنتيه البالغتين من العمر 12 و14 عاماً عن الكمبيوتر كي يتمكن من اللعب طوال الليل. وفي أحد الأيام، اكتشفت إحدى ابنتيه بالصدفة أن والدها على علاقة على النت مع امرأة تدعى جيسي. وعندما تفحصت سندي كمبيوتر زوجها وجدت مئات الصور ورسائل الحب والرسائل الفورية بين زوجها وجيسي. وغضبت سندي عندما عرفت أن جيسي في نفس عمر ابنتيها تقريباً. كما وجدت بعض الرسائل في البريد الإلكتروني مرسلة من جيسي إلى مونتغمري. ووجدت صوراً بملابس استفزازية - صوراً للشابة بملابس داخلية. فكتبت سندي رسالة إلى جيسي أرفقتها بصورة عائلية. وكتبت في الرسالة:

"اسمحي لي أن أعرفك على هؤلاء الناس. الرجل في الوسط هو توم، زوجي منذ عام 1989، ويبلغ من العمر 46 عاماً."[136]

وكامرأة ناضجة نصحت سندي جيسي في رسالتها:

"من خلال ما أستخلصه من رسائلك، عمرك أقرب بكثير إلى عمر [ابنتي] مما هو إلى عمري بالتأكيد، ناهيك عن عمر توم. هل أنت في سن أكبر من 18 عاماً؟ على هذا لوحده، يمكن

---

[136] المرجع نفسه.

محاكمته كمعتدٍ على الأطفال.... لا تثقي بأي كلام على الكمبيوتر."[137]

ثم دخلت سندي في جدال حاد مع زوجها مونتغمري عندما عاد إلى المنزل. وقالت له أنه ينبغي أن ينفصلا حالاً. فاتجه إلى الطابق السفلي من منزله. كان مونتغمري قد أخبر زملاءه في العمل عن علاقته العاطفية على الإنترنت منذ بدايتها. وكان حينذاك قد أخبرهم أنه سيترك زوجته وينتقل إلى ويست فيرجينيا (West Virginia) ليعيش مع حب حياته. ثم أنه كتب، في مفكرته، قراره للسنة الجديدة على النحو الآتي:

"في 2 كانون الثاني 2006، يختفي توم مونتغمري (46 عامـًا) من الوجود ويحل محله جندي من البحرية عمره 18 عامـًا مصاب بندوب من المعارك... سينتقل إلى ويست فيرجينيا ليعيش مع حب حياته."[138]

---

[137] Labi, Nadya (21 August 2007). "An IM Infatuation Turned to Romance. Then the Truth Came Out". *Wired*. Magazine, Issue 15.09 http://www.wired.com/politics/law/magazine/15-09/ff_internetlies. Retrieved on: Aug. 18, 2011.

[138] Avila, Jim, Martz, Geoff and Napolitano, Joanne (Aug 27, 2011) "Online Love Triangle, Deception End in Murder" *abc News – abc 2020*.

بعد أن علمت جيسي بخداع مونتغمري لها من خلال مداخلة زوجته، قررت الانفصال عنه. ثم بحثت في قائمة أصدقائه على موقع بوجو دوت كوم (Pogo.com) كي تخبرهم بانفصالها عنه. وهناك وجدت بريان باريت (Brian Barret) زميل مونتغمري في العمل البالغ من العمر 22 عاماً. وكان باريت على علم بأمر جيسي بسبب تفاخر مونتغمري المتكرر على الإنترنت بعلاقته معها. فكان يريحها بحديثه حول ما فعله مونتغمري معها. وبذلك، بدأت عندها علاقة جديدة على النت بين باريت وجيسي وكان الاثنان يخبران الجميع في غرفة الدردشة الخاصة بهم أن مونتغمري كان كاذباً. وعندما علم مونتغمري بهذا الأمر شعر بالغيرة وغضب كثيراً حتى أنه طارد باريت إلى موقف سيارات العمل في بوفالو، نيويورك (Buffalo, New York). وكان ذلك عندما أنهى باريت عمله الليلي الساعة 10 مساءً ليلة الجمعة 15 أيلول 2006. وبمجرد أن جلس باريت في سيارته في موقف السيارات ليعود إلى منزله أطلق عليه مونتغمري النار من بندقية عيار 0.30 وأصابه في ذراعه ورقبته. مات باريت على الفور. ولم تكتشف جثته إلا بعد يومين عندما كان أحد زملاء العمل يمر من هناك بالصدفة. تمكن مونتغمري من ابعاد نفسه عن مسرح الجريمة، لكن المحققين استطاعوا أن يعثروا على أدلة في الموقع ولاحقاً على كمبيوتره مما دفعهم إلى اعتقاله. حكم القاضي فولفجانغ (Wolfgang) على

---

http://abcnews.go.com/US/online-love-triangle-deception-end-murder/story?id=14371076 Retrieved on: Mar. 17, 2012.

مونتغمري بالسجن لمدة 20 عاماً بالإضافة إلى خمس سنوات من المراقبة بعد الإفراج. حاول مونتغمري الانتحار في السجن بعد أن تلقى رسالة من بناته يخبرنه فيها أنهن لم يعدن يردن زيارته وأن زوجته قد طلقته أيضـاً.(139)

تبين أثناء التحقيق أن "جيسي" لم تكن في الحقيقة فتاة شقراء في الثامنة عشر من العمر كما تظهر على صورة ملفها الشخصي على الإنترنت. فقد عثر المحقق الملازم رون كينيون ( Detective Lieutenant Ron Kenyon) على رقم هاتفها على هاتف باريت الخليوي فاتصل بها وأخبرها كي تستعد للاستجواب. وبالطبع، بدت على الهاتف وكأنها فتاة في الثامنة عشر من العمر. ولكن بعدما ذهب كينيون بسيارته إلى ولاية فرجينيا الغربية لرؤية الحقيقة بنفسه، فوجئ عندما اكتشف أن المرأة التي تحمل الاسم المستعار "جيسي" (Jessi) (الشابة الشقراء البالغة من العمر 18 عاماً حسب تخيلات باريت ومونتغمري) كانت في الواقع امرأة بدينة متزوجة وأم لولدين تبلغ من العمر 45 عاماً وذات شعر بني قصير". وكان اسمها الحقيقي ماري شيلر (Mary Shieler) ومضى على زواجها من زوجها 23 عاماً. أرادت النيابة العامة في نيويورك اتهامها بتدمير حياة الكثيرين، لكن المحكمة قررت "أنها

---

139 Labi, Nadya (21 August 2007). "An IM Infatuation Turned to Romance. Then the Truth Came Out". *Wired*. Magazine, Issue 15.09 http://www.wired.com/politics/law/magazine/15-09/ff_internetlies. Retrieved on: Aug. 18, 2011.

ربما تكون قد داست على كل الآداب والقيم الأخلاقية، لكنها مطلقاً لم تتجاوز الخط القانوني."[140]

لقد نجت ماري شيلر من العقاب القانوني ولكنها لم تستطع أن تنجو من تداعيات جريمتها على حياتها الشخصية. إذ أن زوجها طلقها عندما اكتشف خيانتها له. بالإضافة إلى أن ابنتها جيسي (جيسي الحقيقية التي استخدمت ماري اسمها وعمرها على الإنترنت) قطعت علاقتها بها وانتقلت للعيش مع أقاربها في فيرجينيا.

## الفيسبوك والدردشة على الإنترنت وخداع صغار السن

إن مواقع شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الدردشة على الإنترنت هي شغف الشباب المعاصر. ولا يمكنهم تخيل الحياة دون قضاء كل ثانية من وقت فراغهم عليها هذه. إلا أن الكثير منهم يفقدون بذلك حياتهم أو شرفهم أو كليهما على أيدي مجرمي الإنترنت المحتالين المفترسين. ومجرمو

[140] المرجع نفسه.

الإنترنت والذئاب الإلكترونية والمتحرشون بالأطفال وقتلة الفيسبوك وقتلة الإنترنت وقتلة غرف الدردشة، كل هؤلاء لديهم قاسم مشترك واحد – ألا وهو أنهم يستخدمون وسائل الدجال في البحث عن ضحاياهم. إن هؤلاء المجرمين يستخدمون، على سبيل المثال لا الحصر، منتديات الإنترنت وغرف الدردشة ومواقع التواصل الاجتماعي (كفيسبوك وتويتر وماي سبيس وغيرها) ومواقع خدمات المواعدة وألعاب الإنترنت ومجموعات ياهو وغيرها الكثير. ومن المعلوم أن تلك المواقع ليست قادرة على التحقق من هوية الشخص الذي يستخدم هوية مزيفة على الإنترنت. وعلى سبيل المثال، اعترف موقع نت لوج (Netlog) للتواصل الاجتماعي، الذي مقره بلجيكا ويزعم أن لديه 56 مليون مستخدم من كل أنحاء أوروبا، بكل صراحة أنه **"لا توجد حالياً طريقة آمنة بنسبة مئة في المئة للتحقق من هوية الشخص الذي يستخدم الإنترنت"**.(141)

يوضح الدكتور موريس غودوين (Dr Maurice Godwin)، خبير في علوم الطب الشرعي ومستشار قانوني لأسر المفقودين والمقتولين، أن الأشخاص الذين لديهم نية استغلال الآخرين عبر الإنترنت يعتمدون على "تأثير ماردي جرا – Mardi Gras effect"، الذي يعني بحسب علماء النفس الأمريكيين "قدرة المرء على إخفاء هويته على الإنترنت". لذلك يستخدم

[141] Stokes, Paul (March 8th, 2010). "Peter Chapman targeted thousands of young girls". *The Telegraph* (London). http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/crime/7397894/Peter-Chapman-targeted-thousands-of-young-girls.html. Retrieved on: Sept 2nd, 2012.

هؤلاء الأشخاص الإنترنت لجذب ضحايا يلتقون بهم على الإنترنت ويغتصبونهم ويقتلونهم. يقول الدكتور غودوين:

"هناك أشخاص، في عالم الإنترنت السري المظلم، يسعون إلى تجربة مغامرات غريبة مختبئين في عباءة أسمائهم المستعارة. فترى بعضهم يعرض بيع ملابسه الداخلية المستعملة بينما يبحث بعضهم الآخر عن ضحايا يترقبونهم ثم يلاحقونهم ويقتلونهم ... ولا يضطر أحدهم إلى استخدام اسمه الحقيقي إن لم يرغب في ذلك، ومعظمهم لا يرغب في ذلك. بل، يختار المشاركون لقباً واحداً أو أكثر يُعرفون به. وهذا اللقب هو القناع الذي يرتدونه.

تعمل غرف الدردشة و [الدردشة المتبادلة على الإنترنت – IRC: Internet relay chat] على نشر الرسائل والرد الفوري عليها آنيـاً كي يراها كل المشاركين. كما يمكن أيضـاً إنشاء غرف دردشة خاصة. وفيها أيضـاً تستخدم الأسماء المستعارة، فتتيح ميزة

التخفي لزوار غرف الدردشة والمجموعات الإخبارية انتحال أي شخصية يريدون. إنها توفر البيئة المثالية للخداع."[142]

لقد رأينا مراراً وتكراراً، في كل القصص والحوادث التي سردناها في القسم السابق، "تأثير ماردي جرا" على مستخدمي الإنترنت. وهذا ينطبق بشكل خاص على غرف الدردشة ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي (كفيسبوك وتويتر وماي سبيس وفرندستر وغيرها) التي تمنح متابعيها الوهم الكاذب بالشباب. فالأشخاص الذين يتواجدون فيها يفتنون بهذه البيئة إلى درجة أنهم دائمًا ما يخطئون في حكمهم على تحديد عمر الشخص المقابل لهم على الجهة الأخرى من الكمبيوتر بدقة. وإن نظرة سريعة على القصص والحالات التي عرضناها في القسم السابق توضح لنا هذه النقطة:

- في قصة أشلي هول، كان قاتلها بيتر تشابمان رجلًا يبلغ من العمر 33 عامًا فقد معظم أسنانه، وكان يعاني من مشاكل في النظافة الشخصية ويعيش في

[142] Stokes, Paul (March 8th, 2010). "Peter Chapman targeted thousands of young girls". *The Telegraph* (London). http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/crime/7397894/Peter-Chapman-targeted-thousands-of-young-girls.html. Retrieved on: December 20th, 2011.

سيارته خلال الأشهر القليلة السابقة لجريمته، ولكنه نجح في تصوير نفسه على أنه شاب عاري الصدر عمره 19 عامـًا.[143] كل ما فعله هو أنه استخدم صورة شاب عاري الصدر عمره 17 عامـًا يحمل اسمـًا جذابـًا هو "دي جي بيت – D.J. Pete". وكانت صورة هذا الشاب كافية لجذب 14.600 زائر أصبح 3.000 منهم أصدقاء دي جي بيت وجميعهم إناث في عمر يتراوح ما بين 13 و31 عامـًا. وبعد مصادقة تلك الإناث، صار تشابمان يحاول توجيههن إلى غرف الدردشة الخاصة حيث يقنعهن بالتحدث عن أمور حميمة حتى أن بعض الفتيات أرسلن له صوراً يعرضن فيها أنفسهن بملابس داخلية أو بملابس النوم. وعندما ألقي القبض على تشابمان بتهمة قتل آشلي كان له حسابان شخصيان على نت لوج (Netlog) وتسعة على الأقل على مواقع أخرى. ووفقًا لمراسل صحيفة تلغراف اليومية (المملكة المتحدة) بول ستوكس (Paul Stokes)، فإن

[143] Stokes, Paul (March 8th, 2010). "Peter Chapman targeted thousands of young girls". *The Telegraph* (London). http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/crime/7397894/Peter-Chapman-targeted-thousands-of-young-girls.html. Retrieved on: Sept 2nd, 2012.

تشابمان كان لديه على موقع التواصل الاجتماعي فيسز دوت كوم (Faces.com) "3919 زائراً وكان يصف نفسه بأنه عازب طوله 178 سنتيمتراً، عيناه زرقاوان، وجسمه نحيف متناغم، صانع نوافذ اهتماماته السيارات والفتيات هههه"'.

- وفي قصة فتاة ديبوك، كانت الفتاة تقبل طلبات الصداقة من أشخاص من عمرها أو هكذا كانت تعتقد. وعندما أقامت صداقة على فيسبوك مع يوجي، بدا لها الرجل ساحراً بناء على ملفه الشخصي وعلى حديثه السلس على الهاتف. ولكن في الواقع، فقد اغتصب تشابمان هذه الفتاة عدة مرات على مدار سبعة أيام وبدون أية رحمة. لماذا صدقت فتاة ديبوك ملف تعريف يوجي على أنه شاب اجتماعي وساحر؟ لأن الملف الشخصي للشاب يوجي على فيسبوك كان أكثر جاذبية من أن يخبرها بوجهه الحقيقي كمغتصب متسلسل وقواد يتاجر بالنساء.
- وفي قضية ديفيد راسل، رغم أن الآنسة بنديكتو اكتشفت أن راسل كان يستخدم ملفاً زائفاً على فيسبوك ويدعي أنه المغني الشهير أوليفر

سايكس، فقد كانت مفتونة بهذه "الوسيلة ذات العين الواحدة – العوراء" حتى أنها قررت الطيران من أميركا إلى المملكة المتحدة كي تقابله شخصيًا. ولسوء حظها وخيبة أملها، لم يكن راسل ساحراً ولا لطيفًا كما كان يبدو أثناء الدردشة على فيسبوك وسكايب. فقد حاول راسل قتلها بعد أن أخذها إلى الغابة.

- أما غروثير فقد صور نفسه على الإنترنت على أنه محب للشعر كي يجعل الآخرين يعتقدون أنه شخص لطيف مرهف الأحاسيس. وكما يحصل غالبًا في العالم الرقمي، كان يستخدم في غرف الدردشة اسمًا مستعاراً ملفتًا للانتباه "روزنبوي – Rosenboy". وبدا ملفه الشخصي جذابًا للعديد من النساء حتى أنه تمكن من مغازلة ما يزيد عن 300 امرأة. ومرة أخرى، كانت فتنة الإنترنت هي التي جعلت النساء يعتقدن أن غروثير شاب رقيق القلب يبحث عن صحبة أنثى. لكنه كان في حقيقته وحشًا لم يشعر بالشفقة حين قتل امرأة هي أم لولدين.

- وفي حالة توماس مونتغمري، فقد كان أبـًا وزوجـًا محبـًا. لكن نقرة واحدة على زر أغرقته في مستنقع الحب. فقد وقع في حب "جيسي" الفتاة الشقراء التي يفترض أن عمرها 18 عامـًا. ولكي يكسب قلبها صور نفسه على أنه شاب جندي من مشاة البحرية المتجهين إلى العراق. وصدق كل منهما الآخر على أنه من الشباب، لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك. "جيسي" كانت امرأة بدينة وأم لولدين تبلغ من العمر 45 عامـًا، ومونتغمري كان أبـًا لابنتين ويبلغ من العمر 46 عامـًا. والجزء المحزن من القصة هو أن الشاب بريان باريت البالغ من العر 22 عامـًا كان هو الضحية في "مثلث الحب العجيب" هذا. فقد قتله "رجل يدّعي أنه شخص، هو في الحقيقة ليس هو، مهووس بامرأة تتظاهر بأنها شخصية هي في الحقيقة ليست هي." ثم يظهر أن الجميع في مثلث الحب العجيب هذا كانوا يخدعون بعضهم بعضـًا.[144]

---

[144] Hawkins, Kristal "Thomas Montgomery: Bizarre Love Triangle" *TruTV.com Crime Library* http://www.trutv.com/library/crime/notorious_murders/classics/tommy_montgomery/1.html Retrieved on: Feb. 17, 2012.

يبدو الأمر كما لو أن الإنترنت توهم الناس بالشباب فيميلون فوراً إلى تصديق هذا الخداع. والناس الذين يقيمون علاقات وصداقات على الإنترنت هم في الغالب إما يخدعون الآخرين أو أن الآخرين يخدعونهم. فهم يصورون أنفسهم على أنهم في ريعان الشباب وشريكهم على الطرف الآخر من شاشة الكمبيوتر يصدق ادعاءهم. وعندما تتكشف حقيقة كذبهم يكون الأوان قد فات في أغلب الأوقات. وهذا الخداع يسمى في اللغة العربية "الدَّجَل". إن وسائل الدجال (المخادع الأكبر) الإلكترونية لها هذه القدرة على خداع الناس والناس بدورهم يخدعون بعضهم بعضاً. والبشر يرغبون في البقاء شباباً إلى الأبد، وهي نقطة ضعف فيهم. والشيطان يدرك تماماً نقطة الضعف هذه لدى البشر.

يقول القرآن الكريم:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠﴾ (سورة طه: 120)

## الفصل الخامس

# الشباب المسلم وضغط الأقران

هناك عوامل مختلفة تسهم في تنمية شخصية أي فرد. وتُعد القدرات البدنية والعقلية الموروثة جينيًا جزءاً من العوامل الوراثية التي تسهم في تنمية الشخصية. كذلك، تلعب العديد من العوامل البيئية المحتملة والتفاعلات مع البيئة الاجتماعية الخاصة التي يعيش فيها الناس دوراً رئيسًا في تشكيل شخصية الفرد. يقول عالم الاجتماع في القرن العشرين الدكتور علي شريعتي،

في كتابه "في علم الاجتماع الإسلامي"، أن هناك على العموم خمسة عوامل خارجية رئيسة تشكل شخصية الإنسان:

- العامل الأول هو الأم، التي تبني الكيان الروحي للفرد وأبعاده
- العامل الثاني في تكوين الفرد هو الأب، الذي يبني الأبعاد الباقية من روح الطفل بعد الأم.
- العامل الثالث الذي يبني أبعاد الفرد الخارجية والظاهرة هو المدرسة والتعليم.
- العامل التربوي الرابع الذي يصقل شخصية الفرد هو المجتمع والبيئة. وكلما كانت البيئة أشد وأقوى، كلما كان تأثيرها في توجيه للفرد أكبر.
- العامل التربوي الخامس في بناء الشخصية يتكون من الثقافة السائدة في المجتمع أو في العالم ككل.[145]

يمكننا أن نرى أن ثلاثة من بين تلك العوامل الخمس تتواجد خارج المنزل، وبالتالي تقع تحت تأثير مباشر من وسائل الدَّجّال. لكن ما يحزننا هو أن اليوم، ومع ظهور التكنولوجيا الحديثة، تستطيع وسائل الدَّجّال ذات العين الواحدة (العوراء) أن تخترق أي منزل بسهولة متسترة بشكل تلفاز أو كابل أو

---

[145] Shariati, Dr. Ali (1979). On the Sociology of Islam. Berkeley (California), Mizan Press.

صحن أقمار صناعية أو إنترنت أو هواتف ذكية، ويمكنها تدمير شبابنا المعاصر. وهؤلاء الشباب يعيشون مرحلة حرجة من حياتهم يبحثون فيها عن معنى لحياتهم، لكن وسائل الدَّجّال تتخطفهم وتسرق براءتهم. فهي تصرف الشباب المسلم عن هدفهم الحقيقي في الحياة بطرق مختلفة سنناقش بعضها في هذا الفصل وفي الفصول القادمة.

## الشباب المسلم وآثار التعليم المختلط

إحدى التحديات الرئيسة التي يواجهها الشباب المسلم في عصر الدجال هذا هي التعليم المختلط. وعلى الرغم من أن منهجية التعليم المختلط غريبة على الإسلام، إلا أنها مطبقة في معظم البلدان الإسلامية اليوم لأنها من بقايا الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية. فقبل استعمار بلاد المسلمين، كانت المؤسسات الإسلامية تفصل بين الجنسين حتى في أعلى المستويات. ولكن، عندما وصل الإمبرياليون الأوروبيون إلى البلاد الإسلامية، فككوا النظام التعليمي الإسلامي بالكامل ثم فرضوا نظامهم التعليمي على المسلمين جبراً. وفيما بعد، زالت حساسية المجتمعات الإسلامية من هذا النظام

واعتادت عليه. وحافظ المسلمون على نظام التعليم المختلط في بلدانهم حتى بعد مغادرة المستعمرين.

إن التعليم المختلط مدمر للشباب إذ أنه يشتت انتباه الشباب في المدارس المختلطة بسبب وجود الجنس الآخر. ومرحلة المراهقة هي فترة ضغط كبير ترتفع فيها الهرمونات الجنسية في أجسام الفتيان والفتيات، وبذلك يصبح من الصعب عليهم التركيز على الدراسة. فتأثير الهرمونات الجنسية يجعل الفتيان يعانون من العدوانية بينما تعاني الفتيات من الاكتئاب. وإذا كان المراهقون الذين يمرون بفترة الضغط الهرموني هذه يجلسون في نفس القاعة مع أفراد من الجنس الآخر، يمكن للمرء أن يتخيل النتائج الكارثية كما لاحظها الناقد الاجتماعي الأمريكي جورج جيلدر (George Gilder) في كتابه:

> "تصبح صفوف الدراسة ساحة تكتنفها الانفعالات الجنسية، حيث يعمل كل من الفتيان والفتيات على لفت انتباه الجنس الآخر، وينظر الذكور غير المحبين للدراسة إلى الكتب المدرسية على أنها تهديد للرجولة."[146]

[146] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

يقول الدكتور ليونارد ساكس (Dr Leonard Sax)، خبير تربوي، وطبيب حاصل على درجة الدكتوراه في الطب، ومؤسس ومدير الرابطة الوطنية للتعليم العام أحادي الجنس ( National Association for Single Sex Public Education)، إنه نظراً لأن نمو الفتيان أبطأ بكثير من نمو الفتيات، فمن الممكن بسهولة أن "يضلوا الطريق" إن هم بدأوا دراستهم إلى جانب زميلات إناث. ويقول الدكتور ساكس أيضًا إن الفتيات يمكن أن يحققن أقصى فائدة من التعليم إن دَرَسن في التعليم أحادي الجنس، حيث يمكن أن يركزن على مواضيع كالعلوم والهندسة، التي عادة ما تُعد مواضيع "ذكورية".(147)

لقد بينت دراسات مختلفة بوضوح أن الفتيات وكذلك الفتيان يحققون في المدارس أحادية الجنس نتائج أفضل في الامتحانات من أقرانهم في المدارس المختلطة.(148) والسبب في ذلك أنهم ينضجون في أوقات مختلفة من مراحل نموهم. فالفتيان بحاجة إلى انضباط صارم وبيئة متشددة في مدارسهم وكلياتهم، في حين أن الفتيات يحققن نتائج أفضل في بيئة ودية ذات حد أدنى من

[147] Sax, Leonard (2010). "Sex Differences in Hearing: Implications for best practice in the classroom." Advances in Gender and Education **2**: 13-21.

[148] Lee, Valerie E. and Anthony S. Bryk. (1986) “Effects of Single-Sex Secondary Schools on Student Achievement and Attitudes." Journal of Educational Psychology. 78: 381-395.

الإشراف في المؤسسات التعليمية.[149] بالإضافة إلى ذلك، وجد كورنليوس ريوردان (Cornelius Riordan)، عالم اجتماع من كلية بروفيدانس في رود آيلاند (Providence College, Rhode Island)، في دراساته أنه عندما تُنقل فتيات من بيئة تنافسية في مدارس مختلطة ويوضعن في مدرسة أحادية الجنس، فإنهن يشعرن باحترام إيجابي للذات، ليس فقط في المجالات الأكاديمية والألعاب الرياضية ولكن أيضـًا في إدراكهن لذواتهن.[150] وعلى النقيض من ذلك، فإن قاعة الدرس التي تضم الفتيان والفتيات تضر بالطرفين.

وأسوأ ما في الأمر أن الفتيات يعانين من التحرش الجنسي في المدارس المختلطة مما يضر باحترامهن لذواتهن وبثقتهن بأنفسهن في التعلم. في دراسة أجرتها الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات (American Association of University Women – AAUW) بالتعاون مع استطلاعات لويس هاريس (Louis Harris Polls) في عام 1993، أفادت 76٪ من الفتيات بأنهن كن هدفـًا "لتعليقات جنسية أو نكات أو تلميحات، أو نظرات" من الفتيان في مدارسهن المختلطة، وأن واحدة من كل أربع فتيات في المدارس الثانوية

---

149 Wood, Gwendolyn & Shores, Tracey J. (1998). "Stress facilitates Classical Conditioning in Males, but Impairs Classical Condition in Females through Activational Effects of Ovarian Hormones." Proceedings of the National Academy of Sciences **95**: 4066-4071.

150 Riordan, Cornelius (1990) Girls and Boys in School: Together or Separate? New York: Teachers College Press.

تعرضن للتقبيل بالقوة. وأفادت حوالي 15٪ من الفتيات أن طلاباً ذكوراً تعرضوا لهن بتجريدهن من ملابسهن، كما أفادت 18٪ من الفتيات بأن بعض حالات التحرش الجنسي التي تعرضن لها ارتكبها ذكور بالغون في مدارسهن.[151]

وقد أكد نتائج هذه الدراسة الضخمة أيضاً استطلاع آخر أُجراه على فتيات المدارس باحثون في كلية ويليسلي (Wellesley College) في ولاية ماساتشوستس. فقد وجدوا أن حوالي 40٪ من الفتيات صرحن بأنهن كن يتعرضن للتحرش الجنسي يومياً، وأن 29٪ أخريات كن يتعرضن للتحرش الجنسي أسبوعياً. وقالت أكثر من ثلثيهن إن التحرش كان يحدث على مرأى من أشخاص آخرين. وكانت نسبة ما يقرب من 90٪ منهن هدفاً لتعليقات أو تلميحات جنسية غير مرغوب فيها.[152]

إن النتيجة النهائية لهذا التحرش الجنسي الذي تواجهه الفتيات في مدارس التعليم المختلط هي فقدان اهتمامهن بمتابعة تعليمهن سواء في المدرسة أو في الجامعة. يذكر تقرير الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات:

---

151 AAUW Educational Foundation (1993) Hostile Hallways. Washington, DC, The Foundation.

152 Sege, Irene (March 24, 1993). “A U.S. Survey Shows Wide Harassment of Girls in School”. Boston Globe. Boston.

"تقول واحدة تقريبًا من كل أربع طالبات (23٪) ممن تعرضن للتحرش الجنسي إن إحدى نتائج هذا التحرش هي عدم رغبتها في الذهاب إلى المدرسة."[153]

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه في المجتمعات الإسلامية التي تؤكد على العفة والحياء لكل من الفتيان والفتيات، سيكون تأثير التحرش الجنسي على الفتيات والنساء أكثر ضرراً، مما قد يؤدي إلى زيادة عدد الفتيات المسلمات اللواتي يرفضن الذهاب إلى المدرسة.

إن قائمة الأضرار الناتجة عن التعليم المختلط لا تنتهي عند هذا الحد. فعندما يوضع الشباب والشابات في نفس قاعة الدراسة أو في نفس المدرسة، تنتهي الأمور إلى مغازلة ومواعدة وقصص حب وغرام. ويصبح العديد من الشباب ضحايا التعليم المختلط وينشغلون في علاقات جنسية قبل الزواج بسبب إغراء الجنس الآخر الموجود في متناولهم وعلى مسافة قريبة منهم. ونظراً لسهولة الوصول إلى أفراد الجنس الآخر في بيئة التعليم المختلط، ترتفع معدلات حمل المراهقات في المؤسسات التعليمية المختلطة. وهنا يلعب ضغط الأقران المرتبط بالصداقة مع زميل من الجنس الآخر دوراً كبيراً

---

153 AAUW Educational Foundation (1993) Hostile Hallways. Washington, DC, The Foundation.

وفق ما تشير إليه عالمة الاجتماع كريستن هارتمان (Kristen Hartman) من كلية بروفيدانس (Providence College):

"إن ضغط الأقران المتعلق بالجنس يكون أكثر تأثيراً في بيئات المدارس المختلطة لأن الفتيان والفتيات يعيشون في نفس الوسط الاجتماعي، مما يقلل من سيطرة الفتيات على أنفسهن. فما أن يبدأ اثنان من دائرة الأصدقاء بممارسة الجنس حتى يشرع فيه جميعهم لأنهم يعيشون جميعاً مختلطين ويشعرون بالضغط للارتقاء إلى مستوى هذا النموذج. ويكون تأثير ضغط الأقران في بيئة المدارس المختلطة أكبر حيث يتواجد الفتيان والفتيات في نفس الوسط الاجتماعي الأمر الذي يجعل من الصعب على الفتاة أن تقول "لا" للفتى... أما الفتيات في مدارس الجنس الواحد فيتمتعن بسيطرة أكبر على أنفسهن في علاقاتهن وغالباً ما

يكن أكثر ثقة بأن لهن قيمة سواء كان لهن صديق أم لم يكن."[154]

إن الإسلام لا يسمح بالاختلاط بحرية بين الجنسين بعد سن البلوغ من أجل الحد من مخاطر الإغراء. والإسلام يتطلب من الشبان والشابات الحفاظ على طهارة حياتهم الجنسية منذ البداية، فيطلب من الشباب المسلم تحديداً، ولمنفعته، البقاء على مسافة آمنة من الجنس الآخر. كما أن الإسلام يدرك فعلاً الفروق بين الذكور والإناث من حيث نموهم النفسي. ونظراً للاختلافات النفسية البيولوجية وكذلك العاطفية بين الجنسين فإن أنماط النمو والتعلم تختلف لديهما طوال حياتهما. لذلك فإن التعليم في مدارس الجنس الواحد هو الحل لمشاكل التعليم المختلط. وقد استخدم نموذج الفصل بين الجنسين في التعليم بنجاح في العديد من الدول بما في ذلك أستراليا وجامايكا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية كما أوضحت بالتفصيل في كتابي "الحجاب: تحرير أم قمع؟"[155]

---

[154] Hartman, Kristen (2010) "The Advantages of Single-Sex vs. Coeducational Environments for High School Girls". *Social Work Theses.* Paper 63. (Providence College).

[155] الدكتور جوهر مشتاق، "الحجاب: تحرير أم قمع؟ في ضوء أبحاث علمية حديثة". سوريا، دار النقش للطباعة و النشر.

## الشباب المسلم وآثار التعليم العلماني

إن التحدي الرئيس الآخر الذي يواجهه الشباب المسلم في عصر الدّجال هذا، هو النّظام التعليمي العلماني المطبق في معظم – إن لم يكن في كل – الدول الإسلامية. وقد بدأ نظام التعليم العلماني بين المسلمين في زمن الاستعمار الإمبريالي الغربي على بلادهم. يقول نيل بوستمان ( Neil Postman) في كتابه "الاستنكاف الضميري – Conscientious Objections":

> يتخذ الاستعمار شكلاً خاصًا في كل عصر، وهذا هو حال كل محتل. فعندما أتقن البريطانيون هذه الصنعة، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان منهجهم في الغزو ارسال قواتهم البحرية أولاً، ثم جيشهم، وبعد ذلك مسؤوليهم الإداريين، وأخيراً يطبقون نظامهم التعليمي."[156]

[156] Postman, Neil, Conscientious Objections: Stirring up Trouble about Language, Technology and Education (New York: Vintage Books, 1992)

وهنا يقول الناقد الاجتماعي الأمريكي نيل بوستمان إن البريطانيين بمجرد أن أسسوا نظامهم التعليمي في البلدان المستعمرة أعطوا تلك البلدان الحرية السياسية. وبعد استعمار الأوروبيين للبلدان الإسلامية، فككوا النظام التعليمي الإسلامي السائد فيها، وبالتالي ظهر فيها نظامان تعليميان متعارضان حسبما يؤكد عالم النفس المسلم الدكتور مالك بدري (Dr Malik Badri):

> "إن هذه الازدواجية في الأنظمة التعليمية، ‘‘الدينية" و"العلمانية"، خلقت شرخاً خطيراً حيث صار المسلمون المثقفون ذوو الأجور العالية والتعليم الغربي ينظرون بازدراء إلى خريجي المدارس الدينية التقليدية ذوي الأجور المتدنية."[157]

علاوةً على ذلك، فإن هؤلاء المسلمين الحداثيين الذين سوغوا الحداثة يطبقون نموذج التعليم العلماني الغربي في بلدانهم الإسلامية على نحو أعمى. فقد كان لهذا النظام التعليمي الغربي المفروض على الدول الإسلامية، ومنذ تأسيسه، نظرة كونية علمانية بدلاً من النظرة القرآنية. وما هي العلمانية؟ العلمانية تعني فصل الدين عن أمور الدنيا. وقد عرّف اللاهوتي الهولندي

---

157 Badri, Malik (1979) The Dilemma of Muslim Psychologists. London, MWH London Publishers.

كورنيليوس فان بورسن (Cornelius van Peursen)، الذي كان سابقاً رئيس قسم الفلسفة في جامعة ليدن (University of Leiden) العلمنة على أنها "تحرير الإنسان من سيطرة الدين على عقله ولغته أولاً ثم تحريره من سيطرة الغيبيات. وتنطوي العلمنة على تحلل العالم من فهمه الديني وشبه الديني لذاته، وتبديد كل وجهات النظر الضيقة عن العالم، وتحطيم جميع الخرافات الخارقة للطبيعة والرموز المقدسة... اكتشاف الإنسان أنه قد تُرِك والعالم بين يديه... [إنها] تحويل اهتمام الإنسان بعوالم غيبية وتوجيهه نحو هذا العالم وهذا الزمان."(158)

يعتمد نظام التعليم الغربي على النظرة الكونية العلمانية. وفي هذه النظرة، تكون السلطة العليا هي سلطة أساسها العقل. وبما أن الوحي الإلهي لا يحصل عليه الإنسان بالعقل، فلا مكان له في العلم الحديث. ومن ثمّ، فإن المنهجية العلمية تعد وجود خالق في الكون المادي لا صلة له مطلقاً في العلم وخارج نطاقه.

إن الأسس التي بني عليها نظام التعليم العلماني هي فلسفات علماء الغرب ومفكريه العلمانيين الملحدين الذين كانوا يبغضون الدين أكثر من أي شيء آخر. فقد جاء تشارلز داروين (Charles Darwin) (1809-1882 م) بنظرية التطور (Theory of Evolution) التي أصبحت أساس العلوم

158 Cox, Harvey (1965) The Secular City. New York, MacMillan Company, pp. 2 and 17.

الاجتماعية الغربية. وافترضت نظريته أن البشر تطوروا من القرود. لقد جئنا إلى هذا العالم صدفة، ونموت صدفة، وليس هنالك ثمّة شيء اسمه الحياة الآخرة. وطرح كارل ماركس (Karl Marx) (1818–1883م) و آدم سميث (Adam Smith) (1723–1790م) من خلال فلسفتهما الاقتصادية المادية البحتة فكرة مفادها أن مركز اهتمام الفرد يجب أن يكون معدته. ثم ذهب سيجموند فرويد (Sigmund Freud) (1856–1939 م) إلى أبعد من ذلك فأضاف أن محور اهتمام الناس يجب أن يكون الجنس. وكان يعد الدين وهماً وعُصَاباً عالمياً، فكتب في أحد كتبه:

"قد يجرؤ المرء على أن يعد عُصاب الوسواس نظيراً مرضياً مشابهاً لتشكل الدين، وأن يصف هذا العصاب بأنه نظام ديني خاص، وأن الدين عصابُ وسواسٍ عالمي".[159]

لقد مات العديد من أولئك المفكرين الغربيين الملحدين في حالة من البؤس. مات ماركس لا وطن له ولم يحضر جنازته سوى أحد عشر شخصاً.

---

159 Freud, Sigmund (1950). “Obsessive acts and religious practices”. Collected Papers, Vol. II, London, Hogarth Ltd.

و فرويد الذي يعد "أبو علم النفس"، حقق أكبر اكتشافاته في التحليل النفسي عندما كان مدمناً على تعاطي الكوكايين وتوجد أدلة مؤكدة تثبت ذلك.(160) وبسبب تعاطيه الكوكايين لسنوات عديدة، أصيب بسرطان الفم. وعندما اشتدّت عليه آلام السرطان طلب من طبيبه ماكس شور (Dr. Max Schur) أن يقتله. قال له: "شور، من المؤكد أنك تذكر "اتفاقنا" بألا تخذلني عندما يحين وقتي. أَخبِر آن (ابنة فرويد) بالموضوع، وإن رأت هذا مناسباً، قم بإنهاء الأمر". وهكذا، أُعطِي جرعات عالية من المورفين أدت إلى وفاته في 23 أيلول عام 1939م.(161) وبذلك أنهى فرويد حياته بالانتحار، وهو الذي كان يلح على أن الدين مجرد وهم كاذب وتغلغلت آثاره في العلوم الاجتماعية الحديثة.

والفيلسوف الفرنسي أغسطس كونت (August Comte / 1798–1857م) يعد مؤسس علم الاجتماع الحديث والفلسفة الوضعية التي تطورت إلى الفلسفة الوضعيّة المنطقية (أساس الإلحاد). عاش كونت ومات كشخص بخيل ومتغطرس وعنيف. وقد أصيب بالجنون في آخر أيامه.

وجاء الفيلسوف والمفكّر الألماني فريدريش نيتشه ( Friedrich Nietzsche / 1844–1900م) بفلسفة "العدميّة" التي ترفض وجود أي

---

[160] Thornton, E.M. (1983) Freudian Fallacy: Freud and Cocaine. London, Frederick Muller Ltd.

[161] Gay, Peter. (2006) Freud: A Life for Our Time. New York, W. W. Norton & Company. pp. 650-651.

هدف ذي معنى للحياة. كان لفلسفة العدميّة هذه تأثير عميق على النظرة الكونية العلمانية للتعليم في أوروبا وأمريكا. كان نيتشه يكره الله بشدة حتى أنه صرح في كتابه "هكذا تكلّم زرادشت" (Thus Spoke Zarathustra) "أن الله مات."[162] لكن الحقيقة هي أن الله حي ويبقى حيًا على الدوام. وعلى أية حال، توفى نيتشه عام 1900م بعد أن عاش مجنونًا جنونًا كاملاً طوال السنوات العشر الأخيرة من حياته.

لقد اختار أصحاب تلك "العقول العظيمة" في الحضارة الغربية وحاملو راية العلمانية أن ينسوا خالقهم وربهم، وبذلك أنساهم الله أنفسهم. قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ (سورة الحشر: 19)

على أية حال، صار الآن عند بعض المفكرين الغربيين إدراك بأن فصل الدين عن التعليم يقودنا إلى طريق مسدود. على سبيل المثال، كارل يونج (Carl Jung) الذي كان على وشك أن يصبح خليفة فرويد في علم النفس الحديث، انفصل عن فرويد وأنشأ مدرسته الفكرية الخاصة لأنه لم يستطع

[162] Gay, Peter. (2006) Freud: A Life for Our Time. New York, W. W. Norton & Company. pp. 650-651.

تحمل أفكار فرويد الإلحادية. وكذلك، يشير عالم النّفس الأمريكي البارز سكوت بيك (Scott Peck) في كتابه الأكثر مبيعـاً (أهل الكذبة – People of the Lie) إلى أن السبب الرئيس للمشاكل النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر هو انفصاله عن المجال الديني في النهج العلمي. ويكتب:

"إن السبب الرئيس لهذا الوضع الغريب هو أن النماذج العلمية والدينية تُعد حتى الآن غير قابلة للامتزاج تماماً كالزيت والماء، متنافران ومتنابذان.

وفي اواخر القرن السابع عشر، بعد أزمة جاليليو التي أضرت بكل من العلم والدّين، عمل العلم والدين على التوصل إلى ابرام عقد اجتماعي غير مكتوب مضمونه عدم وجود علاقة بينهما. ثم قُسِّم العالم تعسفياً إلى عالمين: العالم الطبيعي وعالم ما وراء الطبيعة. ووافق الدين على أن العالم الطبيعي هو مجال العلماء الأوحد. ومن ناحيته، وافق العلم على عدم

التدخل في الروحانيات – أو في أي شيء يتعلق بالقيم. وبالفعل،

إن العلم في حد ذاته خال من القيم."(163)

وفي نفس السياق، انتقد طبيب القلب الأمريكي الدكتور هربرت بنسون (Dr. Herbert Benson) بشدة الفصل بين الدين والعلمانية في التعليم كما انتقد الحياة في العالم الغربي. يقول بنسون في كتابه "الشفاء الخالد – Timeless Healing ":

"حتى أننا نحن (كعلماء) عندما نكتسب معلومات جديدة،

وحتى عندما نكتشف الأسرار، نشعر بالفراغ وعدم الرضا.

ويكون الإيمان هو عزاؤنا الوحيد على المدى الطويل. ويرجع

ذلك العزاء في جزء منه إلى أن الإيمان بالمطلق اللامتناهي هو

القوة المضادة الوحيدة المناسبة لحقائق المرض والموت

---

163 Peck, M. Scott (1990) People of the Lie: Hope for Healing Human Evil. London, Arrow Books.

النهائية. وهذا هو السبب في أنني أقول إن تكويننا الوراثي جعل الإيمان بالمطلق اللامتناهي [الله] جزءاً من طبيعتنا".[164]

هنا يمكننا أن نرى أن فهم بنسون قريب جداً من المفهوم الإسلامي "الطبيعة المتأصلة" (الفطرة) التي ما من مولود إلا ويولد عليها، وذلك ما ذكره نبينا الحبيب محمد ﷺ في أحد أحاديثه.

والآن سوف نحول تركيزنا على السّمات البارزة لنظام التعليم الإسلامي الذي يعتمد على النظرة الكونية القرآنية كأساس له. في النموذج التربوي الإسلامي، منح الله البشر القدرة على التفكير والسيطرة على بعض مخلوقاته. لكن العقل البشري له حدود معينة يجب على البشر تقبلها، وفقط عند تقبلهم لتلك الحدود يمكنهم استخدام الطبيعة لصالح البشرية. إن النموذج التربوي الإسلامي لا يشمل العلوم الدينية فحسب بل والعلوم المادية أيضـاً (الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والجيولوجيا وعلم الفلك، إلخ)، وكذلك العلوم الاجتماعية (علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا

---

164 Benson, Herbert (1996) Timeless Healing: The Power and Biology of Belief. London, Simon & Schuster.

والعلوم الإنسانية، إلخ)، وكلها فروع من المعرفة النافعة للبشر. فالإسلام ليس مجرد مجموعة من أعمال عبادة وإقامة شعائر كالموجودة في الديانات الأخرى. الإسلام كدين هو تشريع كامل للحياة كما يؤكد القرآن:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ (سورة آل عمران: 19)

العبادة في الإسلام تعني القيام بكل أعمال العبادة عن وعي من أجل مرضاة الله وحده وقبوله لها (على أساس القرآن والسنة النبوية الصحيحة). يقول الله لنا في القرآن الكريم بكلمات واضحة:

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ٥٦﴾ (سورة الذاريات: 56)

إذا عبد الناس الله وأطاعوه في كل جانب من جوانب حياتهم، فإنهم يحققون الغرض من خلقهم ووجودهم. وهذا بالطبع يشمل طلب العلم، وهو فرض على الرجال والنساء على حد سواء كما قال النبي محمد ﷺ

**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ** (ابن ماجة)[165]

يؤكّد الفيلسوف الماليزي المسلم المعاصر السيد محمد نقيب العطاس، الذي ترأس لجنة التعريف بالتربية الإسلامية وأهدافها في مؤتمر مكة

[165] الراوي : أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الرقم: 3914، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه ابن ماجه (224)

الأول عن التعليم في العالم الإسلامي الذي عقد في عام 1977م، أن سبب انحطاط المسلمين برمتّه في كل جانب من جوانب الحياة، بما في ذلك مجال التعليم هو "فقدان الأدب، أي فقدان التأدب، تأدب الجسم والعقل والروح، الذي يؤدي إلى الحيرة والخطأ في المعرفة". وقد كتب العطّاس:

> "في الواقع، إن العبادة في مجملها ليست سوى تعبير آخر عن الأدب تجاه الله. والمعرفة يجب أن تؤخذ بإجلال وتواضع، ولا يمكن امتلاكها ببساطة كما لو أنها متاحة للجميع دون النظر إلى النية والهدف والمقدرة."[166]

وفقـًا للعطاس، يجب أن يكون مفهوم الأدب متأصلاً في نموذج التعليم الإسلامي. فهو يقول:

> "إن العنصر الأساسي المتأصل في مفهوم التعليم الإسلامي هو غرس الأدب، والأدب بمعناه الشامل هنا يشمل حياة الإنسان

---

[166] Al-Attas, Mohammad Al-Naquib (2002). Islam and Secularism. Delhi, New Crescent Publishing Co.

الروحية والمادية وهو الذي يرسخ صفة الخير المنشود...

التعليم هو غرس الأدب وترسيخه في الإنسان – إنه التأديب."[167]

منذ أن نشأت العلوم الغربية نتيجة لثورة العلم ضد الكنيسة، أصبح الظن والشك هما الأدوات الأساسية للبحث العلمي - منهج تعليمي يقوم على الشك في كل شيء، حتى في وجود خالق. ينتقد العطاس بشدة هذه النظرة الكونية العلمانية في التعليم ويقول "إن الشك والظن والجدل وميل العقل والروح إلى الهوى كل تلك الأمور تعد عمومًا مذمومة – وخاصة عند تطبيقها على المعرفة والتظاهر بأنها هي المعرفة."[168] والقرآن يذكر لنا ذلك بوضوح:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ (سورة الاسراء: 36)

لذلك، تختلف نظرة العالِم المسلم إلى العلم والبحث كليًا عن نظرة العالِم العلماني على الرغم من أن كلاهما قد يتبع نفس خطوات التجريب العلمي. يصف الدكتور مالك بدري عملية تفكير العالم المسلم في كتابه

---

167 المرجع نفسه.

168 المرجع نفسه.

"التأمل: دراسة نفسية روحية إسلامية – Contemplation: An Islamic Psychospiritual Study" بالكلمات التالية:

"إن العالم المسلم الذي تدفعه الروحانية ويؤمن إيماناً راسخاً أنه من خلال الاجتهاد والتأمل العميق والصلاة سيستنير بحل لمشكلته، هو بالتأكيد عابد أفضل من الشخص الذي لا يعمل سوى أنه يصلي في المسجد. وفي الواقع، نحن غالباً ما ننسى قيمة الصلاة والدعاء في حل مشاكلنا الفكرية."[169]

ولتوضيح وجهة نظره، يعطي الدكتور بدري مثالاً عن طالبين مسلمين مجتهدين من طلابه في العلوم الفيزيائية كانا يدرسان لنيل درجة الماجستير والدكتوراه، وكانا يواجهان صعوبة في الحصول على أية نتائج إيجابية في تجاربهما. يقول الدكتور بدري عنهما:

"كانا يقضيان ساعات طويلة في مختبراتهما يعملان بمفردهما ويصليان إلى الله طالبين منه الحل. كان أحدهما، في الجامعة

---

[169] Badri, Malik (2000). Contemplation: An Islamic Psychospiritual Study. (transl. by Abdul-Wahid Lu'lu'a) London, The International Institute of Islamic Thought.

الأمريكية في بيروت، يجمع أجهزته ويبدأ التجربة، ثم يسجد سجدة طويلة واضعـًا جبينه على أرضية المختبر متضرعـًا إلى الله كي يمنحه النجاح. بعد ذلك وفجأة منَّ الله عليهما بالإجراءات الكيميائية الصحيحة - أحدهما بالبديهة، والآخر بحلم واضح تلقى فيه صيغة كيميائية وقيل له أن يسجلها فور استيقاظه من النوم."[170]

ومما يدعو إلى التفاؤل أننا أصبحنا نرى على المستوى الجامعي، أن بعض الجامعات الإسلامية كالجامعة الإسلامية في أم درمان (السودان) والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (المملكة العربية السعودية) وجامعة الأزهر (مصر) والجامعة الإسلامية العالمية (الباكستان) والجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا) قد اتخذت خطوات كبيرة لتقديم الدراسات الإسلامية في منهجية أكثر شمولية وحداثة. ومع ذلك، تبقى الحقيقة أن تعليم الدراسات الإسلامية في المرحلتين الابتدائية والثانوية في معظم البلدان الإسلامية لا يزال بحاجة إلى مراجعة جذرية. والإسلام ليس مجرد "دين" حسب التعريف الغربي الضيق

---

[170] المرجع نفسه.

للكلمة. الإسلام هو تشريع كامل للحياة يضبط كل جانب من جوانب حياتنا. فالقرآن والسنة يقدمان لنا إرشادات حول أبسط الأمور الخاصة كعلاقاتنا الحميمة بأزواجنا، وعلى نطاق أوسع وعام حول كيفية إدارة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية في دولة إسلامية. لذلك، فإن المجال مفتوح لكل مسلم مخلص مستعد لخدمة الإسلام كي يغير وجه التعليم الإسلامي بأسلمة العلوم العلمانية. ويمكن تحقيق ذلك من خلال دمج النظرة الكونية الإسلامية دمجًا كاملاً في جميع مواد المناهج الدراسية. ومن أجل أسلمة المناهج الدراسية يطرح عالم النفس المسلم الدكتور بدري الاقتراح الآتي: "يناقش كل معلم مجالات معينة من العلوم الإسلامية ضمن منهاج مادته المتكامل."(171)

## الشباب المسلم وحركة تحرير المراهقين

ذكر النبي محمد ﷺ في حديث له أن من أشراط الساعة "أن تلد الأمة ربتها" (صحيح مسلم). وهذا يعني، وفقًا للعالم المسلم عز الدين بن عبد السلام، انقلابًا كاملاً في النظام الاجتماعي. عادة، تكن البنات هن آخر أفراد الأسرة ممن يستخف بأمهاتهم. ولكن، مع اقترابنا من عصر الدجال (المسيح الدجال)، فإن هذا الأمر سيحدث. يذكر الكاتب الأمريكي روبرت بلاي

---

171 Badri, Malik (1979) The Dilemma of Muslim Psychologists. London, MWH London Publishers.

(Robert Bly) في كتابه "مجتمع الأخوة – The Sibling Society " أن موسيقى الروك في الخمسينيات والستينيات كان لها دور هام في حركة تحرر المراهقين. فقد كتب يقول:

"الأبطال الشعبيون في أواخر خمسينيات القرن العشرين، جيمس دين (James Dean) وإلفيس بريسلي ( Elvis Presley) ومارلين مونرو (Marilyn Monroe) وجاك كيرواك (Jack Kerouac)، جميعهم شاركوا في ذلك الصراع من أجل رفع القيود عن الجميع، وكان ذلك سبباً في حبهم..."[172]

إن ما يقوله روبرت بلاي صحيح، لكن موسيقى الروك لم تكن سوى واحدة من العوامل التي أسهمت في عقلية التحرر لدى المراهقين. فقد ساهمت وسائل الإعلام، التي تشمل التلفزيون والمجلات واللوحات الإعلانية والسينما والإنترنت، كلها في تقديم قدوات للشباب تجعلهم يتمردون على آبائهم ويعدّونهم أغبياء. هذه هي ثقافة عبادة الشباب التي لا مكان فيها لكبار السن. كتبت مريم جميلة (Maryam Jameelah)، رحمها الله، وهي

---

[172] Bly, Robert (1996). The Sibling Society. New York, Addison-Wesley Publishing Company.

عالمة إسلامية مشهورة، في كتابها "فجوة الأجيال: أسبابها ونتائجها – The Generation Gap: Its Causes & Consequences":

"إن كراهية الشباب لكل الأشياء القديمة (بما في ذلك كبار السن)، لا لسوء فيها بل لمجرد أنها قديمة، لم تؤدِ إلى شيء سوى الفوضى والانفلات والانحلال والانحطاط، حيث لم تتحطم الروابط بين الشباب والكبار فحسب، بل وضعفت كل روابط القربى والعلاقات الإنسانية عامة ووصلت إلى حافة الانهيار....

في الواقع، قد تكون الحرية التي تفتقر إلى توجه محدد عبئًا مدمراً للناس أكثر من أكبر الدكتاتوريات قمعـًا. ففي ظل غياب الدين السامي والأخلاق والقانون والابتعاد عن تنشئة جيل صحي ينمو نمواً مستقيمـًا شامخـًا، تُصنع جيوش كاملة من المراهقين المنحرفين والمجرمين."[173]

---

[173] Jameelah, Maryam (1981). The Generation Gap: Its Causes & Consequences. Lahore, Mohammad Yusuf Khan & Sons.

وفقـًا لعلماء الاجتماع، فإن ما يسميه الشباب تحرير المراهقين هو مجرد تحرير من الوالدين والقيم الأخلاقية. ومن ناحية أخرى، فإن هؤلاء المراهقين يتبعون أشخاصـًا في سنهم اتباعـًا أعمى ويقلدونهم أو يقلدون قدوات تبرزهم وسائل الإعلام. وبما أن الشباب يقضون معظم وقتهم في المدارس أو الجامعات فإنهم يصبحون مكبلين بقيود يفرضها عليهم ضغط الأقران عقليـًا وجسديـًا. وتشير الأدلة الاجتماعية إلى أن الشباب، عندما يقضون مع أقرانهم وقتـًا أطول مما يقضونه مع والديهم، يصبحون تبعـًا لهؤلاء الأقران وأنهم يتعلمون العادات والأخلاق والقيم السيئة من أشخاص في سنهم، فيتعاملون مع الناس بصورة سلبية ويصبحون رهائن التوجهات الاجتماعية والأخلاقية السائدة بين اقرانهم. ورغم تمتع هؤلاء المراهقين بقدر كبير من الحرية إلا أنهم لا يكونوا قد تعلموا تحمل المسؤولية بعد. وعلى حد قول عالم النفس النمساوي الكبير فيكتور إي. فرانكل (Viktor E. Frankl):

"أنصح بأن يُستكمل تمثال الحرية على الساحل الشرقي بتمثال المسؤولية على الساحل الغربي"(174)

[174] Frankl, Victor E. (1997). Man’s Search for Meaning. New York, Pocket Books.

علاوة على ذلك، يفتقر الشباب إلى النضج للتعامل مع الضغط الذي يمارسه الأصدقاء، حيث أنهم يتأثرون بسهولة ويغيرون مواقفهم أو سلوكياتهم من أجل الانسجام مع قواعد المجموعة (على الرغم من أن تلك القواعد قد تكون في الواقع انحرافات). ويواجه هؤلاء الشباب ضغطاً من أقرانهم من اجل الحصول على أحدث الملابس والأحذية والقبعات والمجوهرات أو الإلكترونيات وأكثرها انتشاراً في الموضة. وقد يؤدي هذا الضغط أحياناً ببعض الشباب إلى ممارسات سيئة كالتدخين أو تعاطي المخدرات لمجرد أن أقرانهم في المجموعة يفعلون ذلك. ولا يقتصر هذا الضغط على الأمور المادية، بل قد يشمل أيضاً الرغبة في امتلاك أو اكتساب سمات جسدية معينة تكون "مقبولة" وفقاً لمعايير ثقافة الشباب. أجرى عالم الاجتماع في جامعة جونز هوبكنز (Johns Hopkins) جيمس كولمان (James Coleman) بحوثاً على الشباب الأمريكي وقال في كتابه "المجتمع المراهق: حياة المراهق الاجتماعية وتأثيرها على التعليم – The Adolescent Society: The Social Life of the Teenager and its Impact on Education"، "لقد خلق مجتمعنا ثقافة خاصة للمراهقين تفضل الجاذبية الجسدية والشهرة عند الجنس الآخر على التحصيل الدراسي، وبخاصة داخل المدارس نفسها. وثقافة

المراهقين الخاصة هذه تقوض القدرة على تحقيق الأهداف التربوية". إن ما يقصده كولمان "بثقافة المراهقين الخاصة" في كتابه هو ثقافة الشباب.[(175)]

ومما يؤسف له أن الشباب المسلم أيضـًا قد تأثر بهذه الظاهرة بشكل مباشر أو غير مباشر. ولو سألناهم من هو عبد الله بن عمر أو من هم "العبادلة" الأربعة الذين كانوا في المدينة في زمن الصحابة أو من هو مصعب بن عمير أو ما هو اسم أبي هريرة الكامل (رضي الله عنهم جميعـًا)، لما عرفوا، حتى أنهم لا يعرفون ولو الشيء القليل عن حياة أولئك الصحابة الكبار. وكذلك، لو سألتهم عن كبار أئمتنا كالإمام البخاري أو الإمام الشافعي أو الإمام أحمد بن حنبل أو الإمام أبي حنيفة، لما عرف الكثير منهم أسماء أولئك العلماء الكاملة، ناهيك عن سيرهم الذاتية. لكن لو سألنا شبابنا عن حياة المشاهير وعن نوع الملابس التي يرتدونها وعن نوع الطعام الذي يتناولونه وعن نوع السيارة أو الأحذية أو حتى الجوارب التي يرتدونها، فإن شبابنا يعرفون تلك الأشياء عنهم لأن المجلات والقنوات الإخبارية والأفلام، في عصر الدجال هذا، تُبرز هؤلاء المشاهير وترفع من شانهم كثيراً، وينسى شبابنا عندما يشترون تلك المجلات أو الأفلام أو غيرها من وسائل الإعلام التي تحتوي على مقابلات أو صور لمشاهير الإعلام أنهم يفسدون آخرتهم ويبنون حياة المشاهير الدنيا (لأن

---

175 Coleman, James S. (1961). The Adolescent Society: The Social Life of the Teenager and its Impact on Education. New York, Free Press.

المشاهير يحصلون على حصة من عوائد كل مجلة أو فيلم أو إعلان يبيعون فيه أجسادهم). روي أن عبد الله بن وهب تلميذ الإمام مالك سأله ذات مرة: "من أَخسَرُ الناس؟" فأجاب الإمام:

"كَانَ يُقَالُ: أَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ،

وَأَخْسَرُ مِنْهُ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ"

(ترتيب المدارك)[176]

## الشباب المسلم والتدخين

رأينا في فصل سابق أن صناعة التبغ تنفق مبالغ طائلة من المال على إعلانات التبغ التي تستهدف الشباب. ولسوء الحظ، فإن الإعلان عن التبغ وتسويقه في البلدان الإسلامية ناشط جداً نظراً لعدم الاستقرار السياسي والديكتاتورية السائدة فيها مما يؤدي إلى عدم وجود تشريعات تصب في مصلحة مواطنيها. وبالتالي، يبدأ الشباب في بعض الدول الإسلامية في التدخين

---

[176] القاضي عياض (المتوفى 544هـ)، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، بيروت: دار الكتب العلمية (سنة النشر 1998م)، المجلد 2، ص. 60.

وبشكل متزايد في أعمار صغيرة. والتدخين مشكلة خطيرة تواجه المسلمين صغاراً وكباراً، والشباب على وجه الخصوص.

إن التدخين مشكلة صحية كبرى شائعة في كل أنحاء العالم. وفقاً لتقرير نشره مركز السيطرة على الأمراض في الولايات المتحدة الأمريكية (Center for Disease Control)، فإن 100.000 شاب في العالم يدمنون على التدخين يومياً. ومن المؤسف أن التقرير يذكر أيضاً أن غالبية هؤلاء الأشخاص يبدؤون التدخين قبل بلوغهم سن 18 عاماً وأن حوالي 25٪ منهم يبدؤون التدخين بالفعل قبل سن 10 سنوات. كما كشف تقرير مركز السيطرة على الأمراض أن حوالي 10٪ من الطلاب حالياً يدخنون السجائر بينما يستخدم 10٪ آخرون منتجات من التبغ غير السجائر (مثل الغليون وتبغ المضغ وسجائر البيدي).[177] ولا بد أن نعي أن هذه البيانات لا تشمل الدول غير الإسلامية فحسب، بل والإسلامية أيضاً.

لماذا ينتشر تعاطي التبغ والتدخين بين الشباب في العالم؟ والجواب عن هذا السؤال هو أن السبب يعود إلى الجهود الحثيثة التي تبذلها شركات التبغ في الإعلان عن التدخين والترويج له بين الشباب. في عام 1981، قال مايرون إي

---

177 Warren CW, Jones NR, Peruga A, Chauvin J, Baptiste JP, et al. (2008) “Global Youth Tobacco Surveillance, 2000-2007”. *CDC Morbidity and Mortality Weekly Report*. **57** (SS-1).

جونستون (Myron E. Johnston)، الباحث في شركة فيليب موريس وهي شركة عالمية للتبغ والسجائر:

"إن مراهق اليوم هو الزبون المتوقع الدائم في الغد، فالأغلبية العظمى من المدخنين يبدؤون التدخين لأول مرة في سن المراهقة... وفي سن المراهقة يختارون أول علامة تجارية."[178]

تستخدم شركات التبغ والسجائر تقنيات تسويق بارعة للوصول إلى جماهير الشباب والقاصرين. على سبيل المثال، "تكثف هذه الشركات إعلاناتها في محلات البيع بالتجزئة القريبة من المدارس والملاعب مستخدمة لوحات إعلان كبيرة ولافتات يمكن رؤيتها من خارج المحلات"، "وتضع إعلانات السجائر على مستوى نظر الأطفال"، وترعى الألعاب الرياضية ذات القاعدة الجماهيرية الكبيرة من الشباب ككرة القدم والكريكيت" وتضع إعلانات بالقرب من المدارس على لوحات إعلانية كبيرة فيها صور جذابة لتعاطي التبغ".[179] وبالفعل تبين بحوث التسويق والبحوث العلمية

[178] "Curbing the Epidemic: Governments and the Economics of Tobacco Control." (1999) The World Bank Report. Washington, DC: World Bank Publications. Also available on: http://www1.worldbank.org/tobacco/book/html/cover2a.html

[179] "Tobacco Advertising & Youth: The Essential Facts" (2008) Report by Campaign for Tobacco-Free Kids. http://www.thenetwork.org.pk/Resources/Reports/PDF/24-7-2011-22-14-28-182-Tobacco%20Advertising%20and%20Youth%20-%20Complete%20set1.pdf

الاجتماعية بوضوح أن إعلانات التبغ والترويج له تغري الشباب بالتدخين وتقدم لهم تطمينات إلى أن يعتادوا على التدخين ويصبحوا مدخنين دائمين."[180]،[181]

بالإضافة إلى جهود التسويق التي تبذلها شركات التبغ، تشكل الأغاني الشعبية أيضـًا مصدر تشجيع للشباب لممارسة عادة التدخين. ومع أن ذكر التدخين فيها أقل وروداً من ذكر الخمر والمخدرات إلا أنه موجود. وعلى سبيل المثال، هذه أغنية بعنوان (الحب هو "ما نلته" – Love's "What I got") (1996) تغنيها فرقة الروك البديلة سبلايم (Sublime) ورد فيها ذكر التدخين:

Early in the mornin',
risin' to the street
Light me up that **cigarette**
And I'll strap shoes on my feet

عند الشروق في الصباح،
في الشارع نحو حريتي،
أشعل لي **سيجارتي**،

---

[180] Andrews, Rick L. & Franke, George R. (1991) “The determinants of cigarette consumption: A meta-analysis”. *Journal of Public Policy and Marketing*. **10**: 81-100.

[181] Warner, Kenneth E. (1986) Selling Smoke: Cigarette Advertising and Public Health. Washington, DC: American Public Health Association.

كي أنطلق إلى عملي[182]

وسبب ذكر التدخين واضح. التدخين والمخدرات والكحول جزء لا يتجزأ من حياة معظم مطربي الأغاني الشعبية ونجوم السينما. في إحدى أولى الدراسات العلمية التي قاست مدى تكرار ذكر التدخين في الأغاني الشهيرة أجري تحليل لمحتوى 1000 أغنية من أكثر الأغاني الشعبية انتشاراً بين عامي 1996 و1997. فكشفت الدراسة أن 3٪ من تلك الأغاني الألف ذكرت التدخين أو مضغ التبغ، بينما ورد ذكره في 64٪ من أغاني الراب أو الهيب هوب.[183]

وللأسف، يتكرر ظهور التدخين في فيديوهات الأغاني أكثر مما يرد في كلمات الأغاني المسموعة الأمر الذي يكون له تأثير أكبر في سلوك الشباب لأن مقاطع الفيديو تجمع بين الوسائط السمعية والوسائط البصرية. وقد وجد دو رانت (DuRant) وزملاؤه أن 30٪ من الشخصيات في مقاطع فيديو أغاني الراب كانت تدخن، وأن 10٪ من المطربين أو الممثلين في فيديوهات أغاني الكانتري و آر و دي (Country and R&D) يظهرون وهم يدخنون، بينما

---

[182] المرجع نفسه.

[183] Roberts, D.F., Henriksen, L., & Christenson, P.G. (1999). Substance use in popular movies and music. Washington, DC: Office of National Drug Control Policy.

22٪ من الشخصيات تظهر وهي تدخن في فيديوهات أغاني الروك وأغاني البالغين المعاصرة كما هو مبين في الجدول أدناه. وذكر مؤلفو هذا البحث:

"من المرجح أن يكون لهذا التصوير الإيجابي للتدخين وتعاطي الكحول في فيديوهات الأغاني تأثير كبير على توقعات المراهقين للمعايير وعلى سلوكهم لاحقًا"(184)

| جدول: ذكر التدخين في الأغاني / MTV | |
|---|---|
| نوع الأغاني | الانتشار (نسبة مئوية) |
| أغاني الراب/ الهيب هوب التي تتضمن ذكر التدخين | 64٪ |
| مطربون يدخنون في فيديوهات الراب | 30٪ |
| مطربون يدخنون في فيديوهات الكانتري/ آر ودي | 10٪ |
| مطربون يدخنون في فيديوهات أغاني الروك وأغاني | 22٪ |

184 DuRant, R.H., Rome, E.S., Rich, M., Allred, E., Emans, S.J., and Woods, E.R. (1997). "Tobacco and alcohol use behaviors portrayed in music videos: A content analysis". American Journal of Public Health, **87**, 1131-1135.

| | |
|---|---|
| البالغين المعاصرة | |

**ملخص من:**

استخدام المواد في الأفلام والأغاني الشعبية. (1999) واشنطن العاصمة. مكتب السياسة الوطنية لمكافحة المخدرات

"سلوكيات تعاطي التدخين والكحول التي تعرض في فيديوهات الأغاني: تحليل محتوى" (1997). المجلة الأمريكية للصحة العامة، 87، 1131 – 1135.

أضرار التدخين عديدة وتدعم ذلك الأبحاث الطبية المؤكدة اليوم، إذ تكشف الأدلة الطبية بوضوح أن تعاطي التدخين على المدى الطويل يسبب أنواعـًا مختلفة من السرطانات والأمراض المزمنة بما فيها سرطان الرئة وسرطان المعدة والسكتة الدماغية وأمراض القلب التاجية.[185] وتزيد معدلات ضربات القلب عند المدخنين الشباب البالغين ضربتين أو ثلاث ضربات في الدقيقة عن ضربات قلب غير المدخنين. كما بينت الدراسات الطبية أن أجسام الشباب المدخنين تظهر عليها علامات مبكرة لأمراض مميتة كأمراض القلب والسكتة الدماغية.[186] واستناداً إلى تقرير الجراح العام

185 WHO Report on the Global Tobacco Epidemic, 2008 (2008) The MPOWER package, Geneva, World Health Organization.

186 Preventing Tobacco Use Among Young People — A Report of the Surgeon General. (1994) U.S. Department of Health and Human

الأمريكي لعام 2004 هناك الآن ما يكفي من الأدلة الطبية التي تثبت أن التدخين يسبب أمراضاً مزمنة كالعمى واعتام عدسية العين (المياه البيضاء) والتهاب دواعم السن (أمراض اللثة) والالتهاب الرئوي وانخفاض الخصوبة (عند النساء) والربو.(187)

بالإضافة إلى ذلك، يتسبب التدخين المباشر والتدخين غير المباشر (التدخين السلبي) للنساء الحوامل في حدوث إجهاض تلقائي (الإجهاض الناجم عن التبغ)، وولادات ميتة، وحمل خارج الرحم، ومواليد قليلي الوزن، وغير ذلك من مشاكل الحمل والولادة. وعلى سبيل المثال، خلص الدكتور أندريس (Dr Andres) من جامعة تكساس، قسم النساء والتوليد، في بحثه على الحوامل وأطفالهن إلى ما يأتي:

"يُذكر أن التدخين مسؤول عن 15٪ من جميع الولادات المبكرة، وعن 20-30٪ من جميع حالات المواليد ذوي الوزن

---

Services (DHHS), Centers for Disease Control and Prevention, National Center for Chronic Disease Prevention, Office on Smoking and Health: Washington, DC.

187 Centers for Disease Control and Prevention (2004) The health consequences of smoking: a report of the Surgeon General. U.S. Department of Health and Human Services, National Center for Chronic Disease Prevention, Office on Smoking and Health: Atlanta (http://www.cdc.gov/tobacco/data_statistics/sgr/sgr_2004/chapters.htm)

القليل، وعن زيادة بنسبة 150٪ من إجمالي الوفيات في فترة الارضاع [متلازمة موت الرضَّع المفاجئ].(188)

وفي نفس السياق، خلص الدكتور ويسبورغ (Dr. Wisborg) والعلماء المشاركون له في بحثهم إلى ما يأتي:

"كانت نسبة تعرض المدخنات للولادة المبكرة 40٪ أكثر من غير المدخنات. وتبين وجود علاقة استجابة للجرعة بين التدخين وخطر الولادة المبكرة."(189)

ومن المؤسف أنه حتى لو لم تكن الأم الحامل تدخن (كما هو الحال عادة)، فمن المحتمل أن تكون ضحية التدخين غير المباشر (التدخين السلبي) من زوجها، وهذا يلحق بالجنين نفس القدر من الضرر كما لو كانت تدخن. وتشير الدراسات، بالفعل، إلى أن حوالي 20 – 50 في المئة من الحوامل إما أنهن مدخنات أو أنهن يتعرضن للتدخين السلبي.(190) وعلى العموم، فقد تسبب وباء التدخين في وفاة 100 مليون شخص في القرن العشرين. ويموت

---

188 Andres, Robert L. and Day, Mary-Clare. (2000) “Perinatal Complications Associated with Maternal Tobacco Use”. *Seminars in Neonatology*. **5** (3): 231-241

189 Wisborg Kirsten, et al. (1996) “Smoking During Pregnancy and Pre-term Birth”. *British Journal of Obstetrics and Gynaecology*. **103** (8): 800-805.

190 Jauniaux, Eric, Greenough, Anne. (2007) “Short and long term outcomes of smoking during pregnancy”. *Early Human Development*. **83** (11): 697-698.

حاليًا 5.4 مليون شخص كل عام نتيجة أمراض ناجمة عن تعاطي التبغ والتدخين.

إن موقف الإسلام من مسألة التدخين واضح حيث أن الأدلة الطبية ضد التدخين أصبحت مؤكدة وكافية لتحريم التدخين وتعاطي التبغ. فالإسلام يحظر على المسلمين والمسلمات القيام بأي عمل يُلحق الأذى بالنفس أو بالآخرين. والله تعالى يأمرنا بذلك بقوله:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴿٢٩﴾﴾

(سورة النساء: 29)

والله يأمر المؤمنين أيضـًا:

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة: 195)

كما أن الرسول ﷺ يقول:

**لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ** (ابن ماجة، مسند أحمد)[191]

[191] الراوي: عبادة بن الصامت، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: 1909، خلاصة حكم المحدث: صحيح

وهذا الحديث يثبت تحريم التدخين على أساس أن دخان السجائر السلبي يضر بالآخرين ويسبب لهم الأمراض. وقد تبين في وقت سابق، فعلاً، أن التدخين السلبي لا يضر بالحوامل فحسب، بل يضر بالأجنة في أرحامهن ويؤدي أحيانـًا إلى موت الجنين.

كذلك يحذر النبي محمد ﷺ المؤمنين في حديث آخر:

**مَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا** (متفق عليه)[192]

والتدخين ليس قادراً على قتل المدخن فحسب، بل ينطوي أيضـًا على تبذير للمال، الأمر الذي يحرمه الإسلام. فالله يأمر المسلمين في القرآن الكريم:

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ (سورة الإسراء: 26 – 27)

---

192 الراوي: أبو هريرة، خلاصة حكم المحدث : [صحيح]، التخريج : أخرجه البخاري (5778)، ومسلم (109)

لذلك، ينبغي على الحكومات الإسلامية أن تسن قوانين تفرض حظراً على استخدام منتجات التبغ، ويجب أن يفهم كل الشباب المسلم أن التدخين حرام في الإسلام. ويجب تحذير المراهقين المسلمين خصوصاً من ضغط الأقران فيما يخص التدخين.

في دراسة أجريت على 480 شاباً من المسلمين العرب-الأمريكيين، لاحظ الباحثان إسلام وجونسون (Islam and Johnson) أن عدد الذكور المسلمين المراهقين "الذين أقروا بأنهم تعاطوا التدخين" كان ضِعْفَي عدد الإناث، وكان ضغط الأقران "أخطر عامل مهم مؤثر في تعاطي التدخين والتعرض له لكلا الجنسين".[193] وتبين في هذه الدراسة على الشباب المسلمين أن الروادع الإسلامية كان لها بعض الأثر في الحد من تعاطي التدخين. لذا، فلا شك أن برامج منع التدخين الموجهة إلى الشباب المسلم ستكون مفيدة "إذا أرفقت برسائل إسلامية تدين التدخين".

وتؤيد هذا الادعاء دراسة أخرى هي دراسة استقصائية حديثة أجراها الأطباء في كلية فرونتير الطبية في أبوت آباد ( Frontier Medical College, Abbottabad) في باكستان. استطلعت هذه الدراسة، التي أجريت على 1000

---

[193] Islam, S.M., Johnson., C.A. (Nov. 2003) “Correlates of smoking behavior among Muslim Arab-American adolescents”. *Ethnicity & Health*. **8** (4): 319-337.

شخص، تأثير الإسلام كرادع عن التدخين ووجدت أن 32.5٪ من المشاركين كانوا يتعاطون أنواع مختلفة من التدخين بينما يميل المسلمون المتدينون إلى الابتعاد عن التدخين. وخلص الباحثون في هذه الدراسة إلى أن "للإسلام تأثير إيجابي في الامتناع عن التدخين".[194]

## الشباب المسلم والزواج المتأخر

إحدى المشاكل الاجتماعية التي يواجهها الشباب المسلم اليوم هي مشكلة الزواج المتأخر. ونتيجة لهذه المشكلة ينتهي الأمر أحياناً بالشباب المسلم إلى ارتكاب خطايا جسيمة كالمغازلة والمواعدة والاحتفال بعيد الحب والاستمناء ومشاهدة الأفلام الإباحية على التلفزيون وعلى الإنترنت. والزواج هو الضمانة الأخلاقية التي تساعد الرجال والنساء على غض البصر. ومن أكبر العوامل التي يسهم في هذه المشكلة هو تجاهل الأهل المسلمين واهمالهم. يأمرنا الله تعالى صراحة في القرآن الكريم:

---

[194] Hameed, A., Jalil, M.A., Noreen, R., Mughal, I., Rauf, S. (Jan-Mar 2002) “Role of Islam in prevention of smoking”. *Journal of Ayub Medical College* (Abbottabad **14** (1): 23-25.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾ (سورة النور: 32)

الزواج واجب ديني في الإسلام وهو تطبيق لسنة كل الأنبياء كما يخبرنا القرآن:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾

(سورة الرعد: 38)

ويعلمنا القرآن أيضـًا أن ندعو الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ (سورة الفرقان: 74)

وفي الكثير من الأحاديث النبوية يأمرنا النبي محمد ﷺ أن نتجنب التأخير غير المبرر للزواج، فيقول في أحد الأحاديث:

**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ منكُم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ** (متفق عليه)[195]

لا يدرك الأهل المسلمون خطر تأخير الزواج إذ يعرضون أبناءهم الشباب عمداَ للخطر بتأخير تزويجهم دون داعٍ. وهناك بيانات علمية اجتماعية تقدم ما يكفي من الأدلة على إثبات وجود علاقة بين الرجال العازبين وارتفاع معدلات الجريمة والاكتئاب وحالات الوفاة المبكرة. يذكر عالم الاجتماع الأمريكي جورج غيلدر (George Gilder) في كتابه "الرجال والزواج – Men & Marriage" أن الرجال الناجحين والمشهورين في أي مجتمع هم المتزوجون. وذلك لأن الرجل بمجرد أن يُخضع قدراته الكامنة الهائلة وغير المحدودة لطاقات الإبداع والأمومة عند المرأة، فإنها توجه قدراته في الاتجاه الصحيح فيتسلق سلم النجاح.[196] وإذا فقد الرجال هدفهم في التناسل، فإن جميع إمكانياتهم تذهب أدراج الرياح. إن الرجال شهوانيون بطبيعتهم، والذي يحول شهواتهم العشوائية وسلوكهم الجنسي غير المسؤول إلى حب بناء والتزام طويل الأمد هو مؤسسة الزواج. فالزواج يخلق شعوراً بالمسؤولية

---

[195] الراوي: عبدالله بن مسعود، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 5066، ايضاً المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 1400

[196] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

والواجب في نفوس الرجال تجاه عائلاتهم. وحب الزوجة هو الذي "يروض الشخص الهمجي" داخل الرجل ويحوله إلى شخص متحضر.(197)

يدرك الإسلام أن فترة الشباب هي فترة عصيبة على كل من الفتيان والفتيات. فعند الوصول إلى سن البلوغ يزداد افراز الهرمونات الجنسية في أجسامهم. وفي حال تأخير تزويجهم فإن الكثير من طاقاتهم الإبداعية تُهدر ويتحول تركيزهم إلى مقاومة رغباتهم الجنسية. وأفضل حل لذلك هو تزويج الشباب لأنه يوجه طاقاتهم الإبداعية في الاتجاه الصحيح. وينبغي ألا نلتفت إلى خرافة العصر بأن الزواج يعيق الشباب والشابات عن تحصيل مستويات عليا من التعليم. فالزواج، بالفعل، يخلق إحساساً بالمسؤولية لدى الشباب ويوفر لهم التركيز الذهني اللازم لتحقيق أعلى مستويات التعليم والتخصص.

إن الإسلام يشجع على ارتباط الرجل بالمرأة برباط الزواج المقدس. والزواج في الإسلام التزام اجتماعي. إلا أننا اليوم وبمجرد طرح فكرة الزواج نبدأ بالتفكير بالمتاعب والأعباء ونفقات حفل الزفاف. وبالإضافة إلى ذلك، يعتقد العديد من الآباء أن بناتهم أو أبناءهم الشباب إن لم يطلبوا منهم تزويجهم

---

197 المرجع نفسه.

صراحة فإن ذلك يعني أنهم لم يشعروا بعد بحاجة إلى الزواج. لكن الحقيقة هي أنه ليس من طبيعة الفتاة المسلمة أو الشاب المسلم أن يكون واضحًا وصريحًا مع والديه ليقول لهما "لقد طفح الكيل، زوجوني الآن". ولكن، ولأنه ليس من السهل أن نتغلب على رغباتنا الجسدية وعلى بنيتنا الحيوية وهرموناتنا الجنسية، فإن هؤلاء الشباب الذين لا يطلبون من أهلهم تزويجهم يبدون في كثير من الأحيان هادئين مستكينين لأنهم يكونون في الواقع مرتبطين بعلاقة مع شخص ما وبالتالي لا يشعرون في تلك الفترة بحاجة إلى أن يطلبوا من أهلهم تزويجهم. يروي إبراهيم بن ميسرة عن طاووس أن عمر بن الخطاب قال لرجل يؤخر زواجه من غير داع:

**مَا يَمَنُعكَ مِن النِّكاحِ إلَّا عَجْزٌ أو فُجُورٌ** [198]

وقد أشار عالم النفس المسلم الدكتور بدري إلى أن الزيجات الإسلامية أصبحت اليوم مكلفة كثيراً بسبب تبديد المال على حفلات الزواج

---

[198] الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ«ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦هـ). "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء". (باب: رسالة فقه عمر الفاروق، كتاب النكاح). كراتشي، المكتبة القديمة. المجلد. 3، ص. 407

للتباهي ولتقليد عادات الزواج المأخوذة عن الهندوس أو عن غيرهم من المجتمعات الوثنية.[199] وإحدى هذه العادات هي دفع مهر للعروس يخالف التعاليم الإسلامية ويتحمل والدا العروس وزره. ويقترح الدكتور بدري أن الحل لهذه المشكلة في البلدان الإسلامية هو إقامة حفلات زفاف جماعية غير مكلفة على المستوى الوطني مع هدايا زفاف رمزية. وبالفعل، أفضل أنواع الزواج هو الزواج غير المكلف كما قال النبي محمد ﷺ

**أَعظَمُ النِّكاحِ بَرَكَةً أَيسَرُهُ مَؤونَةً**

(البيهقي في شعب الإيمان)[200]

يتعين على الآباء المسلمين ألا يؤخروا زواج أولادهم كثيراً حتى لا يصبح المخرج الوحيد أمام ابنهم أو ابنتهم هو الانغماس في عبث التودد والمواعدة والعشق قبل الزواج أو التورط في زيجات الغرام. أظهرت الأبحاث أن الزيجات التي تحصل نتيجة العبث والمواعدة والعشق لا تدوم وأن "تجريب الشريك" قبل الزواج لا يساعد على الاستقرار. و"الحب من النظرة

---

[199] Badri, Malik (1997). The AIDS Crisis: An Islamic Socio-cultural Perspective. Kuala Lumpur, The International Institute of Islamic Thought and Civilization.

[200] رواه البيهقي في "شعب الإيمان" (6566)، و السنن الكبري 235/ 7) ]و أحمد (82/ 6، 145) وصححه الحاكم علي شرط مسلم (178/ 2) ووافقه الذهبي

الأولى" هو شعار الشيطان. إنه في الواقع "شهوة من النظرة الأولى" وليس حباً من النظرة الأولى. وعلى الآباء المسلمين ألا ينسوا ما حذر منه النبي محمد ﷺ في حديث رواه أبو حاتم المازني قال فيه:

**إذا أتاكُم من ترضَونَ دينَهُ وخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إن لَا تفعلوا تَكُن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ** (الترمذي)[201]

## الشباب المسلم وظاهرة المشوَّش نت

## (Confused.com Phenomenon)

إن الإنترنت بالنسبة للشاب المسلم الباحث عن المعرفة الإسلامية تشبه سيفاَ ذا حدين، فيها نفع من جهة وفيها ضرر من جهة أخرى. فإن لم يكن الشاب المسلم متمكناً من المعرفة الإسلامية ولم يكن قد اكتسب العلوم الإسلامية الأصيلة من علماء الإسلام الأفذاذ لفترة معقولة من الزمن، فالاحتمال كبير جداً أن يحرفه الإسلام المعروض على الإنترنت فيصبح مُشوش نت – confused.com".

201 رواه الترمذي في سننه، وقال في تخريجه: حديث حسن غريب؛ وحسن الألباني الحديث لغيره في صحيح الترمذي، وأخرجه البيهقي في سننه برقم (13863).

وكما أن هناك مواقع تحتوي على العلوم الإسلامية الحقيقية القائمة على القرآن والسنة النبوية الصحيحة، هناك مواقع أكثر منها أنشأها بعض الأشخاص لنشر معلومات خاطئة عن الإسلام للعوام، فتراهم ينشرون على مواقعهم التي تبدو إسلامية أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ وترى البعض منهم ممن "نصبوا أنفسهم علماء مسلمين" يتمتعون بلسان طليق أو بشخصية جذابة، فتبدو خطبهم على اليوتيوب مقنعة جداً لشبابنا المسلمين وتثير إعجابهم، لكن الحقيقة أن ما يقدمونه لا يزيد في الواقع عن كونه رسائل تلبيس كاذبة. والله سبحانه وتعالى يخبرنا عن أمثال هؤلاء بقوله:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ (سورة المنافقون: 4)

إن القرآن والسنة هما أكبر أسلحتنا لمواجهة المنافقين والمبتدعين و"علماء الدولار". فاليوم، لكل جماعة من الجماعات الإسلامية الضالة مواقع خاصة بها تضع عليها شعار الإسلام. ومواقع الجماعات الضالة هذه تقدم معلومات مضللة تهدف إلى الإساءة ونشر الأكاذيب والتشويش على الشباب المسلمين الذين يزورونها. وقد يتحول المسلم (رجلاً كان أو امرأة) إلى منافق أو كافر إن هو بدأ في تصديق تلك الأفكار المنشورة عليها وذلك

لسبب بسيط هو أن النفاق مُعدٍ بطبيعته. ويمكن فهم ذلك بصورة أفضل من خلال مثال ورد في حديث لنبينا الحبيب محمد ﷺ قال فيه:

**يَأْتي الشَّيْطانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَن خَلَقَ كَذا وكَذا؟ حتَّى يَقُولَ له: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَ ذلكَ، فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ.** (متفق عليه)[202]

عندما يزور الشباب المسلم بعض المنتديات الإسلامية ومجموعات النقاش والمدونات (التي لا يديرها علماء مسلمون حقيقيون)، يصابون "بتلبيس النت" بتطرقهم إلى مناقشات حول الإسلام مع هواة من بعض مسلمي الحداثة والتبرير ومدَّعي العلم. ولزيادة الطين بلة، تجد **تعليقات** من مسلمين غير متضلعين من العلوم الإسلامية تليها سلسلة تعليقات وردود من هواة العلم. وقراءة تلك التعليقات أو الردود لا تزيد الشباب المسلم سوى التباساً أو على الأقل ضياعاً كبيراً لوقتهم. وللعلم، فإن هناك أموراً معينة في الإسلام نقرأ عنها ونؤمن بها ثم ننصرف عنها، إذ ليس من المفروض أن ننشغل بجدل لا طائل منه حولها. ومن الأمثلة على المناقشات العقيمة الجدل

---

[202] الراوي: أبو هريرة، المصدر: صحيح مسلم، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (3276)، ومسلم (134) واللفظ له

والتنازع في مسألة "القدر" المذكورة في حديث واضح حولها. روى أبو هريرة ﵁ أن النبي محمد ﷺ أمر أصحابه ألا يتنازعوا في مسألة القدر، قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب عليه الصلاة والسلام حتى احمرّ وجهه، حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه الرمّان، فقال:

**"أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"**. (حديث حسن رواه الترمذي)

ثم أن هناك مسألة أخرى هي مسألة "تسوق الفتاوي – fatwa-shopping" حيث يطلب بعض المسلمين ممن يتصفحون الإنترنت من عدة أشخاص أن يعطوهم "فتوى مريحة" توافق هواهم، مع أن القاعدة الفقهية المتفق عليها بين علماء الإسلام تقول:

**مَن تَتَبَّعَ الرُّخَصَ فَقَدْ تَزَندَقَ**

يجب أن يفهم شبابنا المسلم أن الخطيئة شيء يزعج قلوبنا، حتى لو أعطاهم بعض علماء الحداثة والتبرير أو "شيوخ للإيجار" ( scholars for dollars) الفتوى التي تناسب رغباتهم. وعلى كل حال، إن كانت هذه المسألة تزعج قلوب الشباب المسلم، فهذا في حد ذاته يعني أنها علامة واضحة على أن

هناك شيئًا ما ليس صحيحًا. وقد روى وابصة بن معبد ﵁ حديثًا قال فيه:

أتيت رسول الله ﷺ فقال:

**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ البِرِّ والإثمِ؟ قال: نَعَم. فقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ. البِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إليهِ النَّفسُ، واطْمَأنَّ إليهِ القَلبُ، والإِثْمُ مَا حَاكَ في النَّفسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ**. (مسند أحمد)[203]

من المشاكل الأساسية المتعلقة بالأخبار العالمية التي تأتي عبر الأقمار الصناعية والإنترنت هي أن مصدرها وسائل الإعلام الغربية. ومشكلة وسائل الإعلام الغربية هي أنها ترتدي قناع الحقيقة والموضوعية مع أن هدفها الحقيقي هو إظهار الباطل على أنه الحقيقة، وعندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين فإنها تمارس معايير مزدوجة، وتشيطن الإسلام وأتباعه من المسلمين الحقيقيين وتطلق عليهم تسميات مثل "متشدد" و"متطرف" وما إلى ذلك. وقد اعترف صموئيل هنتنغتون (Samuel Huntington) بهذه الحقيقة صراحةً وبرر هذه العقلية بجرأة عندما قال في كتابه المؤثر "صدام الحضارات – The Clash of Civilizations":

---

[203] الراوي: وابصة بن معبد الأسدي، المحدث: النووي، المصدر: الأربعون النووية، خلاصة حكم المحدث: حسن، التخريج: أخرجه أحمد (18028)، والدارمي (2533)

**"إن عالمـًا من الحضارات المتصادمة هو حتمـًا عالم من المعايير المزدوجة: أشخاص يطبقون معياراً على بلدانهم ومعياراً آخر على غيرهم."**[204]

تتشكل مفاهيم العديد من شباب المسلمين بناءً على المعلومات التي تُقدمها لهم وسائل الإعلام الغربية والإنترنت. لكن القرآن ينبه المؤمنين كي يتوخوا الحذر ويتحققوا من صحة الأخبار التي تصلهم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾

(سورة الحجرات: 6)

إن شبكة الإنترنت، بصفتها وسيلة سريعة للحصول على المعلومات، يختلط فيها الحق بالباطل. ورغم أن المرء قد يجد فيها الحقيقة إلا أنها قد

[204] Huntington, Samuel P. (1997). The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order. New York, Touchstone.

تضلله أيضـًا. لذا، يجب على المسلمين، رجالاً ونساءً، أن يتوخوا الحذر الشديد عندما يحاولون معرفة شيء عن الإسلام على الإنترنت. فإن قاموا بتنزيل كتاب إسلامي أو مقال أو أي خطاب إسلامي على كمبيوترهم أو على أجهزتهم الأخرى، عليهم أن يتحققوا من صحة محتوى ما أنزلوه بأن يسألوا عنه أحد العلماء المسلمين المحليين الموثوقين إن توفر لهم.

هكذا تكون طبيعة المعرفة التي يجب أن يسعى إليها البشر، لا عن طريق الأجهزة. فالعلم الذي نحصل عليه من معلم بشري يمنحنا امكانية التحقق من شخصية المعلم ومدى معرفته والثقة بجدارته. وهذا ما لا يمكن تطبيقه على المعلومات المكتسبة من التلفزيون أو الإنترنت. وإنه لمن الصعب كثيراً على شخص عادي أن يتحقق من صحة المعلومات الإسلامية التي يلقي بها كل من هب ودب على جادة الإنترنت. وبهذا الخصوص نصح الإمام الشافعي الشباب المسلم بما يأتي:

**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمـًا فَلْيُدَقِّقْ، لِكَيْلَا يَضِيعُ دَقِيْقَ العِلْمِ** [205]

[205] أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني القيسراني (المتوفى: 507هـ)، "الأنساب المتفقة". بيروت، دار الكتب العلمية. ص. 3.

إن من طبيعة العلم الذي لا تُدقق صحته ولا يؤخذ من معلم بشري، أنه قد يعطي معلومات، لكن روح العلم الحقيقية تضيع منه. فالإنترنت والكمبيوتر والتلفزيون قد توفر البيانات والمعلومات، ولكن كونها آلات وأجهزة فليس بمقدورها تعليم الطالب القيم الأخلاقية وآداب السلوك والتعامل الإنساني. ولهذا السبب، يروي عبد الله بن وهب أن الإمام مالك قال:

**لَيْسَ العِلمُ بِكثرَةِ الرِّوايَةِ وإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَضَعَهُ اللهُ في قَلبِ مَنْ يَشَاءُ.** [206]

ما يقصده الإمام مالك في قوله هذا أن الإنسان حتى لو كان "موسوعة تمشي" فإن علمه لا يكون علماً حقيقياً إن لم يتعرف على خالقه أو على الغرض من خلقه.

وصحيح أن الإنترنت تعطينا ثروة من المعلومات إلا أنه علينا التحقق من صحتها بالتواصل مع علماء الإسلام الموثوقين وبالرجوع إلى القرآن الكريم وسنة نبينا الحبيب محمد ﷺ الصحيحة.

---

[206] الإمام أبو بكر الجصاص (المتوفى سنة 370هـ) "أحكام القرآن". (تفسير سورة الأنعام: الآية 83) مصر، مطبعة البهية المصرية.

## الفصل السادس

# الشباب المسلم وعيد الحب

# (عيد فالنتاين)

إحدى العادات الوثنية التي انتشرت على نطاق واسع وأصبحت سائدة بين شباب المسلمين هي عادة الاحتفال بعيد فالنتاين يوم 14 شباط من كل عام. وفي هذا اليوم، يتبادل الشباب والشابات سواء المتزوجون أو العازبون في كل أنحاء العالم الورود الحمراء والهدايا ويهنئون بعضهم بعضاً في هذه المناسبة.

وتصنع المخابز ومحلات الحلويات حلويات خاصة حمراء اللون عليها شكل قلب للتأكيد على أهمية المناسبة، وتبيع المتاجر شوكولاتة وأزهار مخصصة لهذا المناسبة.

وقد أنتشر في السنوات الأخيرة هذا المرض الأخلاقي كالوباء وأصاب فتيان الإسلام وفتياته ورجاله ونسائه. ونظراً لأن الأعمال التلفزيونية والعروض الغنائية وشبكات الأقمار الصناعية تضفي البهجة على الاحتفال "بعيد الحب"، فقد اكتسبت هذه العادة شعبية بين الشباب المسلم. بالإضافة إلى ذلك، تحاول النخبة العلمانية في البلاد الإسلامية توفير تغطية إعلامية كاملة لهذه المناسبة مما يزيد من شعبيتها. علاوة على ذلك، ونظراً لظهور التواصل الجماهيري بين الناس كالدردشة على الإنترنت وفيسبوك والهواتف المحمولة، فقد انتشر مرض "الاحتفال بعيد فالنتاين" كمرض أخلاقي من المدن الكبرى إلى ضواحي المجتمعات الإسلامية وأريافها. وترتفع في العديد من البلاد الإسلامية أسعار الورود الحمراء ارتفاعـاً صارخـاً في هذه المناسبة، وتنظم مراكز التسوق والفنادق، سواء في دول الخليج العربية أو في الدول

الإسلامية غير العربية، حفلات خاصة في عيد فالنتاين. وتتنافس محلات الهدايا ومحلات بطاقات التهنئة في تصميم بطاقات أنيقة وهدايا لهذه المناسبة. وتكتسي العديد من الشركات والمحلات ومجمعات التسوق باللون الأحمر وبعضها يضع تمثال أو صورة "كيوبيد" إله الحب في الخرافات الرومانية دون حتى أن تدرك أنها ترتكب "الشرك" بذلك. وبالتالي، وباسم الحرية، يتم تجاوز كل حدود الحرية، ويحتفل الشباب المسلم "بعيد فالنتاين" تقليداً للحضارة الغربية والمسيحية وينسون تماماً أنهم من أمة النبي محمد ﷺ.

## تاريخ عيد فالنتاين

تعود جذور عيد فالنتاين، كمعظم الأعياد المسيحية الأخرى، إلى الرومان الوثنيين. فقد بدأ الرومان الاحتفال بعيد فالنتاين كأحد الطقوس الوثنية تكريماً لإلههم الإغريقي "لوبيركوس - Lupercus". وكان الشبان والشابات في روما القديمة يحتفلون بهذا العيد، وكانت أكثر ميزة تجذبهم إليه "يانصيب الحب" حيث تكتب الشابات العذارى رسائل حب وتضعها في زجاجة كبيرة. ثم يجري سحب اليانصيب ويختار الشبان الرومان الفتيات اللواتي كتبن تلك الرسائل. وكان أولئك الشبان والشابات يمارسون الحب قبل

الزواج كي يتعرف بعضهم على بعض. لذا، فإن عادة المواعدة بين الشبان والشابات في العصر الحديث ليست جديدة على الإطلاق. إنها دوامة "الجاهلية" نفسها (عادات وثنية قديمة) دارت دورة كاملة وعادت لتضعنا وجهاً لوجه مع نفس عادات الفجور القديمة.

(ملاحظة من المترجم: لوبيركوس، في الخرافات الرومانية، إله وثني كان يعبده المزارعون والرعاة باعتباره حامي القطعان ويعزز خصوبة الأغنام.)

وفقاً لموسوعة عائلة ويبستر (Webster's Family Encyclopedia) فإن الكهنة الرومان، بدلاً من القضاء على عادة عبادة الأوثان، حولوا المهرجان الذي كان يعرف في البداية باسم مهرجان "لوبركاليا – Lupercalia" ويحتفل به في 15 شباط إلى عيد فالنتاين ويحتقل به في 14 شباط.[207] مع أن حياة القديس فالنتاين (متوفي عام 269 م) لا علاقة لها بهذا المهرجان أو بأي شيء يُمارس فيه. كتب الناقد الاجتماعي خالد بايج (Khalid Baig) عن تاريخ هذا المهرجان يقول:

> "كعادتها، حاولت المسيحية، دون جدوى، وقف احتفال الفجور بمهرجان لوبركاليا، فأبدلت في البداية أسماء النساء في

207 Webster's Family Encyclopedia. (1999) Vol. 10. Ridgefield (Mississippi, USA), Trident Press International.

اليانصيب بأسماء القديسين. وكانت الفكرة أن يحاكي الشبان في عامهم القادم حياة القديس الذي يسحبون اسمه. (إن فكرة المحافظة على مظاهر الفساد السائدة مع تغيير بعض الشيء فيها لتخدم أغراض الفضيلة ما تزال حية. انظر إلى كل هؤلاء الذين ما زالوا يحاولون عبثًا أن يستخدموا برامج التسلية الشعبية في التلفزيون للترويج للفضيلة والصلاح. عليهم أن يعتبروا بهذا الجزء من التاريخ. لقد فشل فشلاً ذريعًا). لقد انتهى الأمر بالمسيحية أن تمارس في روما، وفي كل مكان، ما كان يمارسه الرومان. والنجاح الوحيد الذي حققته أنها استبدلت اسم عيد لوبركاليا باسم عيد فالنتاين."[208]

## عيد فالنتاين – موقف القرآن والسنة النبوية

نظراً لانتشار الفساد في العالم، يعتقد الكثير من الشباب المسلم اليوم أنه لا حرج في الاحتفال بعيد فالنتاين. وينسون أنهم بفعلهم هذا يقلدون تقليداً أعمى

---

[208] Baig, Khalid (Feb. 2002). "*Valentine Day, Birthdays and other daze*". http://www.albalagh.net/food_for_thought/valentine_daze.shtml.

عادة من عادات الدين المسيحي. ومن المؤكد أن هذا التقليد الأعمى لغير المسلمين ورد في نبوءة في حديث صحيح ذكرناه سابقـًا في هذا الكتاب رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال فيه النبي محمد ﷺ

**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُم. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟** (صحيح مسلم)[209]

والإسلام نهى المسلمين بشدة عن تقليد الكفار. فقد قال رسول الله ﷺ :

**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنْهُم.** (سنن أبو داود)[210]

قال المفسر المشهور ابن كثير معلقـًا على هذا الحديث:

---

209 الراوي: أبو سعيد الخدري، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه مسلم (2669)، البخاري (3456)

210 سنن ابي داود. كتاب اللباس. المجلد. 3، ص. 241- وروي أيضـًا في مسند أحمد. والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع المجلد. 2، ص. 1058

"ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها".[211]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة:51)" (اقتضاء الصراط المستقيم)[212]

كذلك ألقى محمد أسد، وهو نمساوي اعتنق الإسلام، الضوء على دلالات هذا الحديث حيث قال في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق – Islam at the Crossroads":

"هذا الحديث المشهور ليس مجرد تلميح أخلاقي.
وإنما هو بيان موضوعي يؤكد على حتمية اندماج

[211] ص3 – كتاب شرح تفسير ابن كثير الراجحي – النهي عن التشبه بالكفار – المكتبة الشاملة https://shamela.ws/book/37048/361#p9

[212] ابن تيمية، شيخ الإسلام (المتوفى 728هـ/ 1328م) "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". الرياض، مكتبة اَلرُّشد. المجلد. 2، ص 722–725.

المسلمين بأي حضارة غير مسلمة يقلدونها في مظهرها الخارجي."[213]

نحن نعلم أيضاً أن الاحتفال بعيد الحب (عيد فالنتاين) يشجع على الفساد والرذيلة في المجتمع، بينما يخبرنا القرآن بعبارات لا لبس فيها عن مصير كل الأشخاص الذين يشاركون في أي فعل ينشر الفجور في المجتمع:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النور: 19)

في هذه الآية من القرآن تحذير لكل من ينوي نشر الفساد في المجتمع الإسلامي. وأي شخص لديه قدر صغير من العقل يعلم جيداً أن الاحتفال بعيد الحب لا يعزز جواً من الروحانية في المجتمع، بل ينشر جواً من الحب الطليق والاختلاط السائب بين الجنسين في المجتمع.

---

[213] Asad, Muhammad (1991). Islam at the Crossroads. Lahore, Sh. Muhammad Ashraf Publishers.

## عيد فالنتاين – موقف الصحابة وعلماء الإسلام

سنستعرض هنا أحكام الصحابة رضي الله عنهم وبعض علمائنا الصالحين بخصوص حكم الشرع الإسلامي في المشاركة في أعياد غير المسلمين:

### عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أورد الإمام البيهقي في سننه حكم الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ بخصوص أعياد غير المسلمين. فروى أن الخليفة عمر قال:

> لا تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الأعاجِمِ، ولا تَدْخُلوا على المُشرِكين في كَنائِسِهم يومَ عِيدِهم، فإنَّ السَّخطَةَ تنزِلُ عليهم.
>
> (أحكام أهل الذمة)[214]

وروى عنه أيضـاً أنه ﵁ قال:

> **اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللهِ فِي عِيدِهِم**. (سنن البيهقي)[215]

---

[214] الراوي: عطاء بن دينار، المحدث: ابن القيم، المصدر: أحكام أهل الذمة، الصفحة أو الرقم: 3/1247، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح، التخريج: أخرجه عبدالرزاق في ((المصنف)) (1609)، والبيهقي (19333)

[215] رواه البخارى فى التاريخ الكبير (4/ 14)، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 18641)

## عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

وروى البيهقي أيضـًا أن عبد الله بن عمرو ﵄ قال:

من مرَّ ببلادِ الأعاجمِ فصنع نَيروزَهم ومهرجانَهم وتشبَّه بهم

حتَّى يموتَ وهو كذلك حُشِرَ معهم يومَ القيامةِ.

(أحكام أهل الذمة)[216]

ولا بد أيضـًا أن نشير هنا إلى أن الإمام ابن تيمية روى أن هناك إجماعـًا من أصحاب النبي محمد ﷺ على حرمة تقليد الكفار في أعيادهم. كما أشار الإمام ابن القيم أيضـًا إلى اجماع الفقهاء على ذلك. (انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم)

## الإمام أبو حنيفة (رحمه الله)

[216] الراوي: أبو المغيرة، المحدث: ابن القيم، المصدر: أحكام أهل الذمة، الصفحة أو الرقم: 1248 /3، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

ورد في كتب تلاميذ الإمام أبي حنيفة أنه أفتى بالحكم الآتي في هذه المسألة:

**من أهدى لهم يوم عيدهم بطيخة بقصد تعظيم العيد فقد كفر.**[217]

## الإمام بن تيمية (رحمه الله)

فسر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية حكم الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ المذكور أعلاه على النحو الآتي:

وهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟ أو بفعل ما هو من مقتضيات دينهم؟ أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس عمل بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟ وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم؛ فمن يشركهم في العمل أو بعضه: أليس قد يعرض لعقوبة ذلك؟ ثم قوله: " واجتنبوا أعداء الله في

---

217 "أحكام أهل الذمة" لإبن القيم الجوزية (2/ 722). المصدر: الملّا علي القاري، ابن سلطان (توفي 1014هـجري) "شرح الفقه الأكبر". دار الكتب العلمية، بيروت.

عيدهم " أليس نهيا عن لقائهم والاجتماع بهم فيه؟ فكيف بمن عمل عيدهم؟ (اقتضاء الصراط المستقيم)[218]

## الحافظ شمس الدين الذهبي (رحمه الله)

وأفتى الإمام الذهبي بالحكم الآتي بخصوص مشاركة المسلمين الكفار في أعيادهم:

فإذا كان للنَّصارى عيد، ولليهود عيد، مُخْتَصِّين به، فلا يَشْـرَكُهم فيه مسلمٌ، كما لا يُشَارِكُهُمْ في شِرْعَتِهِمْ ولا في قِبْلَتِهِم. (تشبه الخسيس بأهل الخميس للذهبي)[219]

## ابن القيم الجوزية (رحمه الله)

وعن المشاركة في أعياد غير المسلمين قدْ نقَلَ ابنُ القيِّمِ الإجماعَ على تَحريمِ تَهنئةِ الكُفَّارِ بشَعائرِ الكُفرِ:

---

218 ابن تيمية، شيخ الإسلام (المتوفى 728هـ) "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". الرياض، مكتبة الرشد. (طباعة 1411هـ) المجلد. 1، ص 454.

219 الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (المتوفي 748هـ) "تشبه الخسيس بأهل الخميس". عمان، دار عمار، عام النشر: 1988م

"وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تَهْنَأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سَلِمَ قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قَدْرَ للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنّأ عبداً بمعصية أو بدعة، أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه." (أحكام أهل الذمة)[220]

## الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله)

سُئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (توفي في 5 كانون الثاني 2001) عن حكم الشرع بالاحتفال بالأعياد كعيد فالنتاين. وكان السؤال: "فقد انتشر في الآونة الأخيرة الاحتفال بعيد الحب - خاصة بين الطالبات - وهو عيد من أعياد النصارى، ويكون الزي كاملاً باللون الأحمر الملبس والحذاء ويتبادلن

---

[220] ابن قيم الجوزية (المتوفى 751هـ) "أحكامِ أهلِ الذِّمَّةِ" (1/ 205)، رمادى للنشر، الدمام، الطبعة: الأولى، 1997 ميلادي

الزهور الحمراء... نأمل من فضيلتكم بيان حكم الاحتفال بمثل هذا العيد، وما توجيهكم للمسلمين في مثل هذه الأمور؟

فكتب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

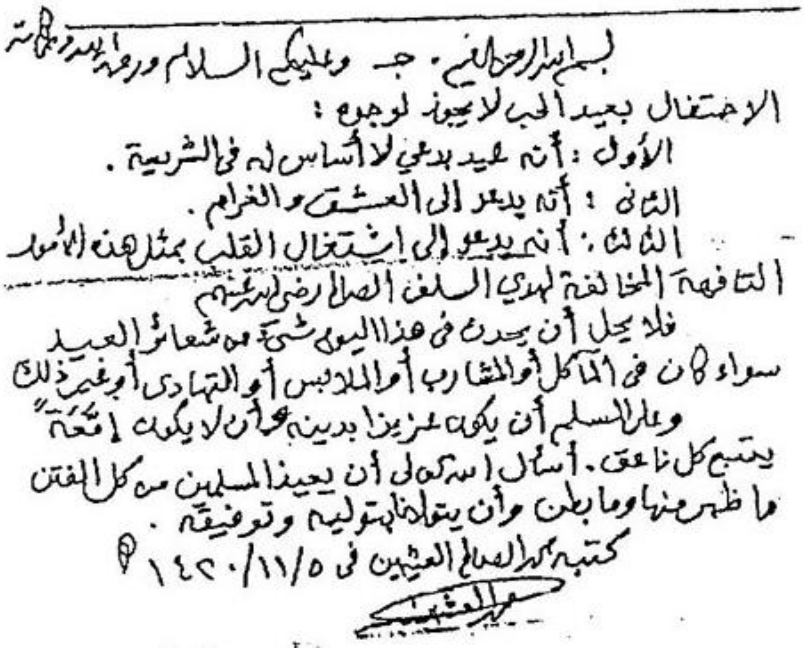
"الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه:

الأول: أنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة.

الثاني: أنه يدعو إلى العشق والغرام

الثالث: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف الصالح رضي الله عنهم. فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر العيد سواء كان في المآكل أو المشارب أو الملابس أو

التهادي أو غير ذلك وعلى المسلم أن يكون عزيز بدينه ولا يكون إمَّـعَـةً يتبع كل ناعق. أسأل الله تعالى أن يعيذ المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يتولانا بتوليه وتوفيقه."[221]


بسم الله الرحمن الرحيم. ج- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه:
الأول: أنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة.
الثاني: أنه يدعو إلى العشق والغرام.
الثالث: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف الصالح رضي الله عنهم
فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر العيد سواء كان في المآكل أو المشارب أو الملابس أو التهادي أو غير ذلك
وعلى المسلم أن يكون عزيزا بدينه وأن لا يكون إمّعة يتبع كل ناعق. أسأل الله تعالى أن يعيذ المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يتولانا بتوليه وتوفيقه.
كتبه محمد الصالح العثيمين في ٥/١١/١٤٢٠ هـ
محمد العثيمين

221 الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، "حكم الاحتفال بعيد الحب في ذو الكتاب والسنة"، جمع: شفيق الرحمن ضياء الله، الرياض، المكتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات. سنة النشر: 2008م

## الشيخ عبد الله بن جبرين (رحمه الله)

وسُئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (توفي في 13 تموز 2009) ذات مرة عن حكم الإسلام فيما يخص تبادل الهدايا والاحتفال بما يسمى عيد الحب أو عيد فالنتاين الذي يحتفل به الشباب المسلم. فأجاب الشيخ ابن جبرين:

"أولاً :لا يجوز الاحتفال بمثل هذه الأعياد المبتدعة؛ لأنه بدعة محدثة لا أصل لها في الشرع فتدخل في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (أي مردود على من أحدثه.)

ثانياً :أن فيها مشابهة للكفار وتقليدًا لهم في تعظيم ما يعظمونه واحترام أعيادهم ومناسباتهم وتشبهًا بهم فيما هو من ديانتهم. وفي الحديث: "من تشبه بقوم فهو منهم." (سنن أبو داود)

ثالثاً :ما يترتب على ذلك من المفاسد والمحاذير كاللهو واللعب والغناء والزمر والأشر والبطر والسفور والتبرج واختلاط الرجال بالنساء أو بروز النساء أمام غير المحارم ونحو ذلك من المحرمات،

أو ما هو وسيلة إلى الفواحش ومقدماتها، ولا يبرر ذلك ما يعلل به من التسلية والترفيه وما يزعمونه من التحفظ فإن ذلك غير صحيح، فعلى من نصح نفسه أن يبتعد عن الآثام ووسائلها.

وعلى هذا لا يجوز بيع هذه الهدايا والورود إذا عرف أن المشتري يحتفل بتلك الأعياد أو يهديها أو يعظم بها تلك الأيام حتى لا يكون البائع مشاركًا لمن يعمل بهذه البدعة والله أعلم."[222]

## الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح أستاذة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات في جامعة الأزهر في مصر. سئلت عن موقف الإسلام من عيد الحب فأوضحت أن الإسلام دين التضحية والتعاون والمحبة، وأن هناك أشكال من الحب مقبولة وأخرى غير مقبولة. فعلى سبيل المثال، حب الله

---

[222] ابن جبرين، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن "حكم الاحتفال بعيد الحب" المصدر: الإسلام سؤال وجواب: الفتوى رقم: 73007.
https://islamqa.info/ar/answers/73007/حكم-الاحتفال-بعيد-الحب

ورسوله محمد ﷺ ليس محموداً فحسب، بل يحتل مرتبة أسمى من كل مراتب الحب الأخرى. ثم قالت:

"الإسلام يقر بالمناسبات السعيدة التي تقرب الناس بعضهم من بعض، وتضيف البهجة إلى حياتهم. ومع ذلك، فالإسلام يعارض التقليد الأعمى للغرب فيما يتعلق بالاحتفال بمناسبة خاصة كعيد الحب. ومن ثم، فإن الاحتفال بهذا اليوم الخاص المعروف باسم عيد الحب هو ابتكار أو بدعة ليس لها سند ديني. وكل بدعة من هذا النوع مرفوضة في الإسلام. والإسلام يطلب من جميع المسلمين أن يحبوا بعضهم بعضـًا طوال العام، ولذلك فإن تقليص العام كله إلى يوم واحد أمر مرفوض تمامـًا.

لذلك، يجب علينا نحن المسلمين ألا نتبع مثل هذه البدع والخرافات الشائعة كالتي تُعرف بما يسمى عيد الحب. ولا شك أن هناك العديد من الممارسات اللادينية التي تحدث في ذلك اليوم، وتلك الممارسات قادرة على ثني الناس عن المعاني الحقيقية

للحب والإيثار إلى درجة يتحول فيه الاحتفال إلى انحطاط أخلاقي."[223]

## اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

يوم 23 تشرين الثاني من العام 1999م، تلقت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في المملكة العربية السعودية استبانة من شاب مسلم يدعى عبد الله آل ربيعة طرح فيها سؤالاً هذا نصه:

السؤال: يحتفل بعض الناس في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير 14/ 2 من كل سنة ميلادية بيوم الحب "فالنتين داي – Valentine's Day"، ويتهادون الورود الحمراء ويلبسون اللون الأحمر ويهنئون بعضهم وتقوم بعض محلات الحلويات بصنع حلويات باللون الأحمر وترسم عليها قلوب وتعمل بعض المحلات إعلانات على بضائعها التي تخص هذا اليوم. فما هو رأيكم:

**أولاً**: الاحتفال بهذا اليوم؟

---

223 "Sharia Ruling on Celebrating Valentine's Day" http://www.sunniforum.com/forum/showthread.php?55182-Sharia-ruling-on-celebrating-Valentine-s-Day Retrieved: June 30, 2012.

**ثانيًا**: الشراء من المحلات في هذا اليوم؟

**ثالثًا**: بيع أصحاب المحلات (غير المحتفلة) لمن يحتفل ببعض ما يهدى في هذا اليوم؟

وجزاكم الله خيراً.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت:

"بأنه دلت الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة – وعلى ذلك أجمع سلف الأمة – أن الأعياد في الإسلام اثنان فقط هما: عيد الفطر وعيد الأضحى وما عداهما من الأعياد سواء كانت متعلقة بشخصٍ أو جماعة أو حَدَثٍ أو أي معنى من المعاني فهي أعياد مبتدعة لا يجوز لأهل الإسلام فعلها ولا إقرارها ولا إظهار الفرح بها ولا الإعانة عليها بشيء لأن ذلك من تعدي حدود الله ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه، وإذا انضاف إلى العيد المخترع كونه من أعياد الكفار فهذا إثم إلى إثم لأن في ذلك تشبهًا بهم ونوع موالاة لهم وقد نهى الله سبحانه المؤمنين عن

التشبه بهم وعن موالاتهم في كتابه العزيز وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تشبه بقوم فهو منهم". وعيد الحب هو من جنس ما ذكر لأنه من الأعياد الوثنية النصرانية فلا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفعله أو أن يقره أو أن يهنئ بل الواجب تركه واجتنابه استجابة لله ورسوله وبعداً عن أسباب سخط الله وعقوبته، كما يحرم على المسلم الإعانة على هذا العيد أو غيره من الأعياد المحرمة بأي شيء من أكلٍ أو شرب أو بيع أو شراء أو صناعة أو هدية أو مراسلة أو إعلان أو غير ذلك لأن ذلك كله من التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الله والرسول والله جل وعلا يقول:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢﴾ (سورة المائدة:2)[224]

---

[224] الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، "حكم الاحتفال بعيد الحب في ذو الكتاب والسنة"، جمع: شفيق الرحمن ضياء الله، الرياض، المكتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات. سنة النشر: 2008م، (الفتوى رقم: 21203 بتاريخ: 23/ 11/ 1999).

لذا، علينا كمسلمين ألا نقبل التهاني في عيد فالنتاين لأنه ليس مناسبة إسلامية ولا عيداً للمسلمين. وإن وجه أحد التهاني للمسلم بهذه المناسبة فينبغي عليه ألا يرد التهنئة. ونذكر شبابنا المسلم بأنه يحرم عليهم "إرسال" رسائل تهنئة أو "الرد" عليها على الهواتف المحمولة أو البريد الإلكتروني أو إرسال رسائل حب بمناسبة عيد فالنتاين (الذي يسميه بعض الشباب بالعربية "عيد الحب") حتى لو كانت تنطوي على إرسال أو إعادة توجيه رسالة حب إلى شخص له علاقة شرعية معه كإرسال الزوج رسالة حب إلى زوجته أو العكس أو إرسال البنت رسالة حب إلى والدتها. ويجب على الشباب المسلم، الفتيان والفتيات، الرجال والنساء أن يتذكروا أيضـًا أنه إذا "نشر" أي منا في عيد الحب أو "شارك" أو "أعاد توجيه" رسائل حب أو بطاقات حب إلكترونية على شبكات التواصل الاجتماعي (كفيسبوك وتويتر وماي سبيس)، فإن فعلنا هذا يعادل مشاركتنا الكفار في عيدهم. حتى لو أن أحدنا ضغط على زر "أعجبني" أو "متابعة" أو "تغريدة" أو "زائد واحد" أو "تثبيت" ليبدي اعجابه

بمنشورات أصدقائه في عيد الحب، فإن ذلك يعني أنه يعبر عن موافقته وتشجيعه للإثم المرتكب في مشاركة الكفار عادتهم هذه.

## دور عيد فالنتاين في الانتحار

إن اسم "إبليس" هو أحد أسماء الشيطان المذكورة في القرآن. وهذا الاسم مشتق في العربية من فعل "بَلَسَ" أي "يَئِسَ وفَقَد الحُجَّة"، والذي قد يعني أيضاً "يئس من رحمة الله". لذا فالشيطان أو إبليس يجعل الناس ييأسون. ومن يتبع خطى إبليس يصاب باليأس والإحباط. وبسبب هذا اليأس وفقدان الإيمان يقتل بعض الناس أنفسهم. وقد بين عالم النفس آرون بيك (Aaron Beck) وزملاؤه في دراساتهم أن اليأس وفقدان الأمل هما العاملان الأهم والحالة النفسية الرئيسة لدى الأشخاص الذين يقدمون على الانتحار.[225]

---

[225] Beck, A., Robert, S., Kovacs, M., et al. (1985). "Hopelessness and Eventual Suicide." *American Journal of Psychiatry* **142**: 559-563.

وبما أن عيد فالنتاين عيد شيطاني فمن الطبيعي أن يشعر الناس بالفراغ واليأس بعد الاحتفال به. وبالفعل، فإن بعض الفتيات والفتيان ينتحرون نتيجة الاكتئاب الذي يسببه لهم عيد فالنتاين. كتبت ديان بارث (Diane Barth)، وهي معالجة نفسية ومعلمة من نيويورك، عن اليأس المرافق لعيد فالنتاين في كتاب "علم النفس اليوم – Psychology Today" ما يأتي:

> "وفي يوم العيد بالذات، تحصل دائماً مفاجآت، أحياناً ممتعة، وغالباً مزعجة. وخيبة الأمل التي تحصل لا مفر منها في أغلب الأحيان، لأن الاحتفال بالعيد نادراً ما يرتقي إلى مستوى الصورة المتوقعة. وأحلام اليقظة حول قضاء فترات رومانسية يحل محلها واقع في مطاعم مزدحمة، ومحادثات روتينية، وشَعْر مبعثر، ومجاملات غير مرغوب فيها."[226]

---

[226] Barth, F. Diane, L.C.S.W. (February 14, 2010) “Breaking Up on Valentine’s Day”. *Psychology Today*. http://www.psychologytoday.com/blog/thecouch/201002/breaking-valentines-day

حاول علماء النفس وعلماء الاجتماع التقصي عن السبب وراء مشاعر خيبة الأمل تلك فوجدوا أن له أساساً علمياً. فقد أشارت الأدلة التي تكشفت عنها النتائج إلى ما يسميه الخبراء "تأثير الوعد المكسور" الذي يلي الأعياد العامة الاحتفالية بما فيها عيد فالنتاين. فقد أجرى جيرت جيسن ( Gert Jessen)، حاصل على درجة الماجستير والدكتوراه في الطب، و بورج جنسن (Borge Jensen) من مركز أبحاث الانتحار في الدنمارك ( Center for Suicidological Research) دراسة على 32291 حالة انتحار وقعت في الدنمارك بين عامي 1970 و1994، فكانت أعمار الأشخاص الذين انتحروا 15 عاماً فما فوق. وعمل الدكتور جيسن وجنسن على تحليل العلاقة بين الانتحار والأعياد العامة، ونشرا بحثهما في عدد عام 1999 من المجلة العلمية "الانتحار والسلوك المهدد للحياة – Suicide and Life-Threatening Behavior". وكانا قد اكتشفا وجود علاقة واضحة بين حالات الانتحار والأعياد العامة بما فيها عيد فالنتاين. وخَلُصا، بناء على البيانات التي توفرت

من خلال دراستهما، إلى أن الأشخاص الذين يحتفلون بالأعياد إن لم تتحقق توقعاتهم فإنهم يصابون باكتئاب شديد يجعلهم ينتحرون. وقالا في بحثهما:

"وجدنا أدلة تدعم نظرية "تأثير الوعد المكسور" المرتبط بالأعياد العامة الرئيسة حيث يبدو أن عدداً كبيراً من حالات الانتحار تؤجل من الفترة التي تسبق العيد إلى ما بعده..... تشير النظرية إلى أن الشخص الذي يفكر في الانتحار قد يتأثر بقدوم مناسبات كالربيع، وعطلة نهاية الأسبوع، والأعياد لأنها تعزز فيه الأمل أو التوقع بأنه سيشعر بتحسن عما كان عليه من قبل. فيتصور أن المناسبة القادمة تعادل "بداية جديدة" تتحسن الأمور خلالها أو بعدها."[227]

من هذه الدراسة يمكن أن نفهم لماذا يبدأ العيدان الإسلاميان الفطر والأضحى بالصلاة وذكر الله. ويخبرنا القرآن بالسبب:

---

[227] Jessen, Gert (M.A., L.D.) and Jensen, Berge F. (M.Sc.) (1999) “Postponed Suicide Death: Suicides around Birthdays and Major Public Holidays” *Suicide and Life-Threatening Behavior*, vol. 29(3), 272-283.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ (سورة الرعد: 28)

فالخطب التي تلي صلاة العيد، تثني على الله وتذكر مشاهد يوم القيامة والآخرة والجنة والنار. وهذا يفسر لنا السبب في أن نبينا محمد ﷺ كان يقرأ سورة ق وسورة القمر في خطبتي عيد الفطر وعيد الأضحى، فهاتان السورتان فيهما وصف واضح لأهوال يوم القيامة، وثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار. وعندما سُئل أبو واقد الليثي رضي الله عنه أحد أصحاب النبي محمد ﷺ

**ما كانَ يَقْرَأُ به رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في الأضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقالَ: كانَ يَقْرَأُ فِيهِما بـ {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}، وَ{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}**

(صحيح مسلم)[228]

---

[228] الراوي: أبو واقد الليثي، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 891

يبدأ المسلمون أعيادهم بذكر الله وذكر الآخرة وثواب الله ونعيم الجنة، فلا يشعرون بالفراغ ولا بالكآبة التي يسببها "تأثير الوعد المكسور" لأنهم يعلمون أن وعد الله لهم بالجنة وعد صادق ووعد حق لا يُنقض، كما في قوله تعالى:

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (سورة التوبة: 111)

على أية حال، إن نتائج دراسة الدكتور جيسن وجنسن التي أظهرت وجود علاقة قوية بين الانتحار والأعياد العامة تنطبق على عيد فالنتاين أيضاً. وهناك دراسة أخرى أكثر صلةً بموضوع الانتحار وعيد فالنتاين وهي دراسة أجراها الدكتور جان بيرتل (Dr Jan Birtle)، عضو الكلية الملكية للأطباء النفسيين، وسوزان إم. دافنبورت (Susan M. Davenport) من قسم الطب النفسي في مستشفى الملكة إليزابيث في إنجلترا. وقد نُشرت هذه الدراسة في العدد 1990 من المجلة الطبية البريطانية (British Medical Journal).

لاحظ الدكتور بيرتل ودافنبورت في بحثهما أن نسبة ضحايا محاولات الانتحار (المسماة حالات انتحار فاشلة) الذين نُقلوا إلى غرف الطوارئ في مستشفيات برمنغهام في إنجلترا كانت في عيد فالنتاين أعلى بكثير من بقية أيام السنة. فكتب الدكتور بيرتل مشيراً إلى هذه النتائج:

> "بينت لنا خبرتنا في قسم الطوارئ أن عدداً كبيراً غير عادي من المرضى الذين تناولوا جرعات زائدة من المخدرات دخلوا المستشفى يوم عيد القديس فالنتاين (14 شباط)، والاحتفال بعيد القديس فالنتاين يمكن أن يُحدث ضغطـًا نفسيـًا يسببه حب من طرف واحد ... وقد أظهرت دراستنا ارتباطـًا وثيقـًا بين عيد القديس فالنتاين وحالات الانتحار الفاشلة، خاصة بين المرضى المراهقين."[229]

[229] Davenport, Susan M. & Birtle, Jan (1990) "Association between parasuicide and Saint Valentine's Day" *British Medical Journal*. **300**, 783-784.

ثم أن هناك دراسة حديثة أجرتها مدرسة هارفارد للصحة العامة (Harvard School of Public Health) تثبت وجود علاقة بين خيبة الأمل الناتجة عن المواعدة والانتحار. وقد شملت هذه الدراسة الموسعة 1977 فتاة من طالبات المدارس الثانوية كن على علاقة مواعدة عاطفية، ونُشرت نتائجها في عدد مجلة الجمعية الطبية الأمريكية ( Journal of the American Medical Association) الصادر في 1 آب 2001. كشفت الدراسة أن 20٪ من الفتيات (واحدة من كل خمسة) أبلغن عن تعرضهن للعنف الجسدي أو الجنسي أثناء المواعدة، وذكرن أنهن "تعرضن للضرب أو الصفع أو الدفع أو الإكراه على ممارسة الجنس" خلال تلك المواعدات. وقد عدّ الدكتور جاي سيلفرمان (Dr Jay Silverman)، الباحث الرئيس في هذه الدراسة، أن هذه النسبة "مرتفعةجداً". أما النتيجة الصادمة التي كشفت عنها الدراسة هي أن العنف الممارس أثناء المواعدة على الفتيات المراهقات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوكيات الخطرة ومحاولات الانتحار. ومن السلوكيات الخطرة الإفراط في شرب الكحول، وتعاطي الكوكايين، والتحكم غير الصحي في الوزن بما في

ذلك تناول حبوب إنقاص الوزن التي تشكل كلها خطراً على صحة الفتيات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن العديد من الفتيات المراهقات اللواتي كن ضحايا عنف مارسه عليهن شركاء المواعدة، فكرن جدياً في الانتحار أو حاولن ذلك بعد تعرضهن للعنف أثناء المواعدة. وفي خلاصة بحثه، كتب الدكتور جاي سيلفرمان:

> "وأخيرًا، كان التفكير بالانتحار مؤخراً ومحاولات الانتحار الفعلية أكثر شيوعاً بحوالي 6 إلى 9 مرات بين المراهقات اللواتي أبلغن عن تعرضهن للأذى الجنسي والجسدي من شركاء المواعدة.... والألم والذل الذي يتعرضن له اللواتي يعانين من "عنف الشريك الحميم" أثناء المواعدة قد يكون لهما الدور الأكبر في دفع المراهقات إلى ممارسة سلوكيات الانتحار والتفكير فيه."[230]

---

[230] Silverman, Jay G., Raj, Anita, Mucci, Lorelei A. & Hathaway, Jeanne E. (Aug 01, 2001). "Dating Violence Against Adolescent Girls and Associated Substance Use, Unhealthy Weight Control, Sexual Risk Behavior, Pregnancy, and Suicidality." Journal of American Medical Association **286** (5): 572-579.

وهنا نرى مرة أخرى "تأثير الوعد المكسور". فقد تبين من البحث السابق أن العنف أثناء المواعدة قد أدى إلى زيادة محاولات الانتحار بين الفتيات. ونحن نعلم بالفعل أن أنشطة المواعدة تبلغ ذروتها خلال عيد فالنتاين. كما أفاد جوزيف إيساس (Joseph Essas)، نائب رئيس التكنولوجيا في موقع إي هارموني دوت كوم (eHarmony.com) وهو موقع مواعدة على الإنترنت، أنه في عيد الحب، "يتضاعف الطلب لدينا مرتين، إن لم يتضاعف إلى أربع مرات".[231] وبالتالي، يمكن أن نرى من خلال هذه الدراسة وجود علاقة ممكنة بين الانتحار وعيد فالنتاين.

في عيد فالنتاين في 14 شباط 2012، انتحر حبيبان بعد أن واجها معارضة شديدة من عائلتيهما. ووفقًا للتفاصيل التي وردت في تقرير الأخبار، كان سعود الشيخ (Saud Sheikh)، البالغ من العمر 17 عامًا، وميتو مُلا (Mitu Mollah)، البالغة من العمر 16 عامًا، كلاهما من جنوب بنغلاديش،

---

[231] Mitchell, Robert L. (Feb. 19, 2009) “Online Dating: Analyzing the Algorithms of Attraction”. PC World – Web & Communication Software http://www.pcworld.com/article/159884/ Retrieved on: 2012-11-10.

من طلاب المرحلة الثانوية في الصف العاشر. كان سعود على علاقة مع ميتو ولكن عائلته رفضت تقبل هذه العلاقة فأرسلته إلى مدينة دكا. في هذه الأثناء، والدا ميتو زوجاها من رجل آخر لم تكن قد رأته من قبل. عاد سعود من دكا ليلاً يوم الاثنين في 13 شباط 2012. وفي صباح الثلاثاء، بمناسبة عيد فالنتاين، ذهب هو وميتو إلى مبنى برج غرامين للهاتف المحمول وقفزا من فوقه. كان العاشقان قد عقدا على أيديهما وشاحًا أحمر، رمزاً لعيد فالنتاين. وماتا على الفور حسبما أفاد لاحقًا ضابط الشرطة ساروجيت بيسواس ( Sarojit Biswas). وعندما عُثر على جثتيهما، كانت أيديهما ما تزال مربوطة معًا بالوشاح.[232]

تشهد الدراسات التي أوردناها أن عيد فالنتاين يزيد من مشاعر اليأس عند المراهقين والشبان والشابات الذين يتعرضون لانكسار القلب، والرفض والألم والبؤس وخسارة علاقاتهم العاطفية، وأن التأثير المحبط الذي يخلقه

---

[232] "Lovers commit suicide on Valentine's Day" (Feb. 14, 2012) BanglaNews24.com
http://www.banglanews24.com/English/detailsnews.php?nssl=36d950d2edf29ad0067ab7ef5a06daa4&nttl=2012042533263

عيد فالنتاين يغذي نزعة الانتحار عند بعض الأشخاص. وعندما تشتعل مشاعر اليأس تسبب كآبة لا تُحتمل تجعل بعض الأشخاص ينتحرون. وهذا لأن عيد فالنتاين هو عيد إبليس (أحد أسماء الشيطان المذكورة في القرآن الكريم)، وهو الذي يخلق مشاعر اليأس في الناس ويشجعهم على ارتكاب أفعال فاحشة ومنكرة. قال الله تعالى في القرآن:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾

(سورة النور: 21)

## دور عيد فالنتاين في فسخ الزواج

ليس الشباب المسلمون العازبون اليوم هم الذين يحتفلون بعيد فالنتاين فحسب، بل والشباب المتزوجون وكذلك الأزواج المتقدمون في السن أيضاً. ولأنهم متزوجون يعتقدون أنهم لا يرتكبون فعلاً خاطئاً، ولا يدركون أن عيد فالنتاين ليس فيه تقليد للكفار فحسب، بل هو عيد شيطاني له تبعات مهولة.

فعندما يُعرِض الناسُ عن أوامر الله ويتبعون خطوات الشيطان تصبح معيشتهم ضنكا، كما يخبرنا القرآن:

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ (سورة طه: 124)

يجب أن يعلم المسلمون الذين يحتفلون بعيد فالنتاين أنه مناسبة صارت تزداد فيها حالات الطلاق. فوفقاً للبيانات التي جمعها موقع آفو (Avvo)، وهو موقع خدمات يقدم تصنيفات مجانية وملفات تعريف ومعلومات عن المحامين والأطباء المرخصين، تبين أن عيد فالنتاين غالباً ما يشهد زيادة بنسبة أربعين في المئة في طلبات الطلاق. وقال مارك بريتون (Mark Britton)، المؤسس والرئيس التنفيذي لموقع آفو (Avvo):

"خلال السنتين الماضيتين، شهدنا زيادة بمعدل 40 في المئة في عدد طلبات الحصول على محامين للطلاق في فترة عيد فالنتاين مقارنة بالأشهر الستة التي سبقتها. علاوة على ذلك، ارتفع عدد

الأسئلة حول الطلاق بنسبة 36 في المئة خلال نفس الفترة [فترة عيد فالنتاين]."(233)

وكتب خبير النزاعات الزوجية والتقاضي ريتشارد سيغال ( Richard Segal) عن الجانب المظلم لعيد فالنتاين في مدونة هافينغتون بوست الأميركية (The Huffington Post)، وهي مدونة وموقع تجميع إخباري على الإنترنت، ما يأتي:

"عيد فالنتاين، بالنسبة للكثيرين، هو "ع. ط." - **عيد طلاق!**

يبدو هذا غريباً، أليس كذلك؟ مرحباً عزيزتي، إليك علبة من قلوب الشوكولاتة والورود الحمراء وهذا استدعاء للمحكمة فيه إخطار لك بإجراءات التفريق [أوراق الطلاق] ...

بينما يكون عيد فالنتاين بالنسبة لمعظم الناس مناسبة للاحتفال بحبهم، يكون لغيرهم مناسبة حان فيها وقت الانفصال."(234)

---

233 Avvo Press Release (Seattle, WA) (February 10, 2011) “Valentine's Day Heartbreak! Divorce Surges Around Day of Romance” http://www.avvo.com/about_avvo/valentines-day-heartbreak-divorce-surges-around-day-of-romance

حاول علماء الاجتماع التقصي عن أسباب هذه الظاهرة. فدرس عالما الاجتماع في جامعة ولاية أريزونا، كاثرين مورس وستيفن نيوبرغ ( Katherine Morse, Steven Newberg)، علاقات الأزواج في الفترة من عام 1999 إلى عام 2000، ونُشرت نتائج دراستهما في عدد عام 2004 من المجلة العلمية "العلاقات الشخصية – Personal Relationships". وعلى الرغم من أن هذه الدراسة شملت الشباب العازبين والشابات العازبات اللذين كانوا على علاقة لفترة من الزمن، إلا أنه من الممكن تطبيق نتائجها على المتزوجين الذين يحتفلون بعيد فالنتاين أيضًا. وللحفاظ على نزاهة هذه الدراسة، لم يدرس الباحثان علاقات الحب في 14 شباط فحسب، بل وفي شهور تشرين الأول وأيلول ونيسان لكي يتمكنا من إجراء مقارنة. فلاحظا في بحثهما أن عدد الأزواج الذين قطعوا علاقاتهم في شهر شباط كان أكبر بكثير من باقي الأشهر، وصرحا بما يأتي:

---

[234] Segal, Richard (February 13, 2012) “Valentine's Day: Day of Love Or Day To Pull The Plug?” *Huffington Post* http://www.huffingtonpost.com/richard-segal/valentines-day-day-of-lov_b_1274431.html

"يُعد عيد فالنتاين مناسبة ذات أعراف واجبة الأداء تثير مجموعة توقعات خاصة يترتب عليها إظهار سلوكيات تليق بها: فيتناول الأزواج العشاء معـًا، ويتبادلون البطاقات والهدايا، "ويظهرون الحب" لبعضهم. وقد يكون لهذا العيد أعراف واجبة لا تعني لبعض الأزواج سوى مناسبة لا يكسبون فيها أي شيء: فإذا تصرف أحد الشركاء بطريقة رومانسية متوقعة، فذلك قد يعني أنه يعبر عن حبه بصدق، لكنه قد يعني أيضـًا أنه مجرد أداء للعرف الواجب في العيد ... وبالتالي فقد يصعب في عيد الحب "الفوز" بما هو أكثر من المتوقع، بينما يكون من السهل حصول 'الخسارة'."[235]

[235] Morse, Katherine A. & Newberg, Steven L. (2004). “How do holidays influence relationship processes and outcomes? Examining the instigating and catalytic effects of Valentine's Day.” *Personal Relationships*. **11**, 509-527.

وهكذا، تخبرنا هذه الدراسة، التي أجرياها مورس ونيوبرغ، أنه بغض النظر عن مقدار الحب الذي يحاول الزوج أن يظهره لزوجته في عيد فالنتاين، فإنها قد تظن أنه يستغل المناسبة كذريعة لإظهار حب غير صادق ليس إلا. وفي دراسة منفصلة أجراها نيوبرغ في عام 1996، تبين أن عدم تحقيق التوقعات له تأثير سلبي على العلاقات بين الأزواج.

ومما يزيد الطين بلة، أن معظم الأزواج يحتفلون بعيد فالنتاين في الأماكن العامة مما يتيح الفرصة لكل من الرجال والنساء مقارنة الظاهر من علاقاتهم، على الأقل، بعلاقات الأزواج الآخرين. وتشير الدكتورة كاثرين مورس إلى أن مثل هذه المقارنة يمكن أن تخلق مشكلة كبيرة، لأنه من المحتمل أن العديد من الأزواج الذين نراهم يعبرون عن حبهم في العلن يؤدون مجرد استعراض للتباهي بالحب في هذه المناسبة "مما يخلق حالة عامة من "الافتتان المطلق" تؤدي إلى تقديرات إيجابية خاطئة لدى الغير عن مدى الرومانسية والحب في علاقاتهم. ثم أن هذه المقارنات الاجتماعية غير

المستحبة تخلق شعوراً سلبياً ونفوراً. وفي هذه الحالة، قد تزيد من احتمال انهيار العلاقات."(236)

كذلك، كشفت شيرلي أوجلتري (Shirley Ogletree)، عالمة اجتماع من جامعة جنوب غرب ولاية تكساس، في بحثها حول عيد فالنتاين أن النساء يملن أكثر من الرجال إلى إبداء الاهتمام بمناسبة عيد فالنتاين – فالنساء يتبادلن الهدايا أكثر من الرجال، ويرتدين ملابس حمراء ويعلقون آمالاً وتوقعات كبيرة على هذا العيد. وبالتالي، هن من يتألمن عندما لا تتحقق تلك التوقعات. وقد أبدت الدكتورة أوجلتري أيضاً ملاحظة مثيرة للاهتمام مفادها أن الذكور الذين لديهم صفات أنثوية أكثر احتمالًا من الذكور العاديين لإيلاء الاهتمام بمناسبة عيد الحب. فكتبت تقول:

---

[236] Morse, Katherine A. & Newberg, Steven L. (2004). “How do holidays influence relationship processes and outcomes? Examining the instigating and catalytic effects of Valentine's Day.” *Personal Relationships*. **11**, 509-527.

"كانت الإناث والأشخاص ذوي الصفات الأنثوية، بغض النظر عن جنسهم، أكثر ميلاً من الذكور والأشخاص الأقل أنوثة إلى التعبير عن أهمية عيد فالنتاين بالنسبة لهم."[237]

كما أجرى الباحثان مورس ونيوبرغ (Morse, Newberg) بحثًا استقصائيًا عن احتمال ما إذا كان عيد فالنتاين يؤدي بالفعل إلى إنهاء العلاقة بين الأزواج. واكتشفا أن احتمال الانفصال يزداد خلال فترة أسبوعين من عيد فالنتاين، مما يعزز تنبؤهما بأن "العلاقات لا تصطبغ دائمًا باللون الوردي في فترة العيد." وفي الواقع، يقر مورس ونيوبيرغ بأنه لو لم يكن في المجتمع أعياد كعيد فالنتاين تفرض عبئًا اجتماعيًا على الناس لكان الاحتمال كبيراً جداً بأن تبقى العديد من العلاقات الزوجية الموشكة على الانهيار متماسكة ولا تصل إلى الانفصال.[238]

---

237 Ogletree, Shirley M. (1993) "How do I love thee? Let me count the Valentines." *Social Behaviour and Personality*, **21**, 129-134.

238 Morse, Katherine A. & Newberg, Steven L. (2004). "How do holidays influence relationship processes and outcomes? Examining the

وفي نفس السياق، ينصح مستشار الأسرة والخبير القانوني ريتشارد سيغال (Richard Segal) الناس بالتفكير مرتين قبل إنهاء زواجهم. ونصح قرَّاءه بعدم الانبهار بسحر عيد فالنتاين المثير المعروض على وسائل التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر من أجل العثور على علاقة حب أخرى.

> "لا تلجأ إلى وسائل التواصل الاجتماعي للحصول على استراحة عاطفية... إن عدد المحامين الذين يستشهدون بفيسبوك وتويتر في قاعات المحاكم يزداد. يمكن اجتزاء منشور غزلي واحد بكامله من سياقه واستخدامه ضدك، لذا فكّر قبل أن تكتب!"(239)

والآن، هذا تحذير للأزواج المسلمين. يتأثر بعض الأزواج المسلمين ببيئتهم لأن كل من حولهم يحتفلون بعيد فالنتاين (ما يسمى عيد الحب)،

---

instigating and catalytic effects of Valentine's Day." *Personal Relationships*. **11**, 509-527.

239 Segal, Richard (February 13, 2012) "Valentine's Day: Day of Love Or Day To Pull The Plug?" *Huffington Post*

فيرغبون فقط في تقديم "هدية مفاجئة" من الشوكولاتة الحمراء أو الورود الحمراء لزوجاتهم في "عيد الحب" أو قد يرغبون في كسب قلبها باصطحابها إلى مطعم حيث يتعين عليها الجلوس بوجود رجال آخرين من غير محارمها يحدقون في وجهها الجميل. وكل هذا ما هو إلا تقليد للكفار. وعلى الأزواج المسلمون هؤلاء أن يفهموا أنه ليس من الممكن أن يكسبوا قلوب زوجاتهم بغضب الله. وقد أوضح الحديث الشريف أن:

**لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ في مَعصِيَةِ الخَالِقِ**

(شرح السنة للبغوي)[240]

ونحن لنا في نبينا الحبيب محمد ﷺ قدوة نقتدي به كأنجح زوج، ومن سيرته يمكن أن نتعلم أساليب كثيرة كي نكسب قلوب زوجاتنا. فالاحتفال بأعياد الكفار لا يقوي علاقاتنا الزوجية بل يضعفها.

---

240 الراوي: النواس بن سمعان الأنصاري، المحدث: الألباني، المصدر: هداية الرواة، الصفحة أو الرقم: 3624، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه البغوي في ((شرح السنة)) (2455)

إن رسالة الحب التي يرسلها الاحتفال بعيد فالنتاين هي في الواقع ليست رسالة حب بل هي رسالة شهوة. وليست الشهوة هي التي تحفظ الزواج وتبقيه متماسكـًا يتجاوز محن الزمن وإنما الإحسان ورعاية كل زوج لزوجه. جاء رجل في خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﵁ وأخبره أنه يريد أن يطلق زوجته. فسأله عمر: "لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟" قال الرجل: "لأنني لم أعد أحبها". ولما سمع عمر ﵁ ذلك قال له:

**أَوَ كُلُّ البُيُوتِ بُنِيَتْ عَلَى الحُبِّ؟**

**فَأَيْنَ الرِّعَايَةُ والتَّذَمُّمُ؟**[241]

ينبغي ألا يخدعنا الفساد الذي تنشره في المجتمع وسائل الإعلام بقوة تأثيرها. قد يقول بعض الناس: "لكن اليوم كل الناس يحتفلون بعيد فالنتاين." لكن القرآن يخبرنا أن ما يفعله أكثر الناس ليس مبرراً لجعله جائزاً. في الواقع،

---

[241] الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ«ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦هـ). "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء". (باب: رسالة فقه عمر الفاروق، كتاب النكاح). كراتشي، المكتبة القديمة.

جاء كل أنبياء الله إلى هذا العالم في أوقات كان أكثر الناس يعصون الله فيها حتى أن الضلال كان يبدو طبيعياً لكل الناس في مجتمعاتهم. يقول الله تعالى في القرآن:

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠﴾

(سورة المائدة: 100)

ويخبرنا أيضاً ألا نتبع الأكثرية:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦﴾

(سورة الأنعام: 116)

إن معيار التفريق بين الحق والباطل لا يُبنى على قاعدة أن "كل الناس يفعلون ذلك فلما لا أفعله أنا؟" وإنما يبنى على تعاليم القرآن وسنة رسول الله ﷺ وكل عادة أو فعل يتوافق مع هذا المعيار هو الحق. وعلى شبابنا المسلم (رجالاً ونساءً، فتياناً وفتيات) أن يحذروا هذه الأعياد التي تقوم على الكفر

والبدعة في الدين.  وعليهم أن يحذروا غيرهم من هذه الأفعال التي هي من أفعال عبدة الأوثان. وعلى شبابنا المسلمين أن يفخروا بديننا – دين الإسلام – ويبذلون جهدهم كي يتميزوا عن الضالين.

## الفصل السابع

# كيف نصلح الشباب المسلم في عصر الدجال

إن تربى شباب المسلمين على تعاليم الإسلام فإنهم سيكتسبون الجرأة والعزيمة على تغيير مجريات الأمور لصالحهم. عليهم أن يقيموا الصلوات المفروضة وأن يلجؤوا إلى الله ليلاً فيقيموا صلاة التهجد. وعليهم أن يأخذوا العلوم الإسلامية من أفواه علماء الإسلام الأتقياء وليس من العلماء الحداثيين. وعليهم أن يفقهوا رسالة القرآن ويدرسوا سنة نبينا الحبيب محمد ﷺ الصحيحة. قال الإمام مالك:

## لَا يُصلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا [242]

كتب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي في شرح هذه القول:

"هذا كلام الإمام مالك رحمه الله والمعنى: أن أول هذه الأمة صلحوا بالتوحيد والقيام بأمر الله، وأداء حقه والجهاد في سبيله، والإيمان بالله وبرسوله، فهذا الذي صلح به أول هذه الأمة، وآخر هذه الأمة لا يصلحها إلا هذا، إذا استقاموا على أمر الله، ووحدوا الله، وأخلصوا العبادة، وآمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله صلح حالهم، فإن لم يفعلوا فلن يصلح حالهم، هذا معناه باختصار."[243]

يجب على الشباب المسلمين ألا يغريهم سلوك الأكثرية من حولهم وينبغي أن يتذكروا أن القرآن والسنة النبوية والسلف الصالح هم معيار الحق. يقول الإمام النووي في كتابه "الأذكار":

"اعلم إن الصواب المختار ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، هذا هو الحق. ولا تغترن بكثرة من يخالفه. فقد قال

---

[242] ابن تيمية، شيخ الإسلام (المتوفى 728هـ/ 1328م) "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم". الرياض، مكتبة اَلرُّشد. المجلد. 2، ص 762-763.

[243] عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، كتاب شرح صحيح ابن خزيمة، المصدر: المكتبة الشاملة، ج 9، ص 22

أبو علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه ما معناه: الزم طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين."[244]

لن يستطيع شباب المسلمين علاج مرض الجهل في عصر الدجال هذا إلا من خلال علوم الإسلام الصحيحة والدعوة. يجب أن يعرفوا من هم وكلاء الدجال وما هي وسائله وما هو نظامه. يجب أن يعرف شبابنا المسلمون شبكة الدجال وتعقيداتها. يجب على إخواننا المسلمين أن يغضوا أبصارهم (كما أمرهم القرآن) لحفظ حيائهم. كما يجب على أخواتنا المسلمات أن يحترسن من برصيصا وكلامه المعسول وعباراته اللطيفة على مواقع التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة. يجب على الشقيقات المسلمات أن تدركن مفهوم الحجاب الحقيقي (أي ألا يراهن الرجال غير المحارم) عندما يستخدمن كاميرا الكمبيوتر أو فيديو سكايب أو عندما ينشرن صورهن على فيسبوك.

---

[244] النووي، يحيى بن شرف (المتوفى 676هـ/ 1278م) "كتاب الأذكار"، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. كتاب الجنازة، ص 136.

يجب على الشباب المسلمين أن يعملوا مع كبار السن. لكن ليس عليهم أن يطيعوهم إن طلبوا منهم أمراً فيه معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ ويجب على الأهل والمعلمين المسلمين أيضـًا ألا ينسوا نهج حبيبنا محمد ﷺ في التعليم عند التعامل مع الشباب إذ كان ينصح صحابته عندما يرسلهم كي يعلموا الناس في أماكن أخرى بقوله:

**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا** (متفق عليه)[245]

## أهمية الرجوع إلى القرآن والسنة النبوية

إن حل مشاكل شبابنا في عصر الدجال هذا يكمن في اتباع كتاب الله وسنة رسوله. يجب على الشباب والشيوخ المسلمين الرجوع إلى القرآن والسنة كي تتحقق لهم الهداية ويتعزز إيمانهم. فالقرآن والسنة فقط هما من يملكان القدرة على تنمية شخصية جديدة في شبابنا المسلم. فقد أنزل الله القرآن كي يكون هدى لنا إلى آخر الزمان. إن القرآن فيه هدى لكل من يبحث عن الحقيقة، في أي مكان وفي أي زمان. يقول الله تعالى في القرآن:

---

[245] الراوي: أنس بن مالك، خلاصة حكم المحدث : [صحيح]، التخريج : أخرجه البخاري (69)، ومسلم (1734)

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(سورة الأنعام: 38)

ويقول في القرآن أيضـًا:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (سورة النحل: 89)

إن أي تساؤل يسعى إلى الهداية لا ريب سيجد جوابه في كتاب الله هذا، وهذه هي معجزة القرآن. فإذا فتحنا أي صفحة منه، نجد فيها هداية لنا. يشير تشارلز جاي إيتون (Charles Gai Eaton)، بريطاني اعتنق الإسلام، إلى هذه الميزة في القرآن في كتابه "الإسلام ومصير الإنسان - Islam and the Destiny of Man" معلقـًا بما يأتي:

"القرآن يمد حبل الخلاص للناس من كل الأصناف - الغبي والذكي. والتفسيرات القاصرة لا تقلل من جدارته مع أنها تلبي حاجات نفوس معينة. ولا يمكن لأي كتاب من تأليف البشر أن

يكون "صالحـًا لكل الناس"، وإنما هذه هي بالضبط وظيفة كتاب مقدس منزل من عند الله. ولذلك لا يمكن قراءته بالطريقة التي تُقرأ بها كتب البشر."[246]

إن القرآن، بخلاف كتب الفقه الإسلامي الأخرى، ليس كتابـًا مقتصراً على الأحكام.  ففي القرآن 6236 آية، فقط حوالي 600 آية منها تتعلق بالأحكام الشرعية. أما بقية الآيات فهي تتناول مواضيع أخرى كالموت والآخرة وقصص الأنبياء والأمم السابقة وتهدف إلى تنبيه المسلمين وامدادهم بالتربية الروحية. يسلط المفسر الشهير الشيخ أمين أحسن الإصلاحي الضوء على هذا الجانب من القرآن في كتابه "مبادئ تدبر القرآن (باللغة الأردية)":

"إن الأوامر والأحكام في القرآن الكريم لا تُقدَّم بالطريقة التي تُقدَّم بها في كتب الفقه الإسلامي. ففي القرآن، يتكرر ذكر صفات الله والحياة الآخرة قبل وبعد كل أمر وحكم، وتتضح فيها فوائد

[246] Eaton, Charles Le Gai (1985). Islam and the Destiny of Man. New York, The Islamic Texts Society.

أوامر الله الروحية والاجتماعية والأخلاقية بطريقة تلامس قلب الإنسان. وإنك إن قرأت الأحكام في أي كتاب من كتب الفقه، فإن قلبك سيبقى على طبيعته، ولكنك إن قرأت نفس الأحكام في القرآن، فإن جزءاً من روحك سيستنير بعظمته، وستندفع للعمل بتلك الأحكام."[247]

ولتوضيح هذه النقطة بصورة أفضل، نورد مثالاً عن تاريخ حالة سريرية لشابة مسلمة كانت تعاني من مشكلة وصفها العالم المعروف في علم النفس السريري المعاصر الدكتور مالك بدري في كتابه "معضلة علماء النفس المسلمين – The Dilemma of Muslim Psychologists". ذكر الدكتور بدري قي كتابه أن القصة حدثت في عام 1965 عندما كان يعمل في قسم الطب النفسي العصبي التعليمي في مستشفى جامعة الرباط التعليمي. أحيلت إليه مريضة مغربية شابة كانت تشكو من عدة مشاكل بما فيها الاكتئاب وأنواع من الرُهاب والقلق الشديد والشعور بالعجز. وكانت قبل مشاهدة الدكتور بدري

---

247 إصلاحي، الشيخ أمين احسن (1999م). "مبادي تدبّر القرآن". لاهور، مؤسسة فاران.

لها قد أدخلت إلى المستشفى مرتين خلال عام واحد تقريباً. لكن العلاج النفسي الحديث لم يُجدِ نفعاً معها، فوصفت لها بعض الأدوية المهدئة، لكنها أيضاً لم تنفعها. وذات يوم، بعد أن كانت قد بدأت بمراجعة الدكتور بدري، وفي إحدى الجلسات، كان يتلو آيات من القرآن عن مغفرة الله للخطايا والفواحش يريد بها تقديم دعم معنوي لمريض سيخرج من المشفى. كانت تلك الآيات:

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ (سورة آل عمران: 133 – 135)

وعندما سمعت المريضة الشابة تلك الآيات اندهش الدكتور بدري إذ رأى عينيها تفيضان بالدموع. بعد ذلك، طلب كبير الأطباء النفسيين الدكتور حبيب من الدكتور بدري أن يتولى علاجها. فبدأ الدكتور بدري يعالجها بأن يتلو عليها آيات من القرآن تتحدث عن مغفرة الله الذنوب جميعـًا ويفسرها لها بكلمات بسيطة. ومما كتبه الدكتور بدري:

"كان رد فعلها ذلك بداية اعتراف عاطفي تلاه تحسن سريع جداً".(248)

وقال كبير الأطباء النفسيين الدكتور حبيب للدكتور بدري مُعبراً عن دهشته من التحسن الكبير الذي ظهر على هذه الشابة:

"لقد كنت احتفظ دائمـًا وعلى مدار السنوات الثلاث الماضية بنسخة من القرآن الكريم في مكتبي في المشفى. لكن لم يخطر

---

[248] Badri, Malik (1979) The Dilemma of Muslim Psychologists. London, MWH London Publishers.

لي ابداً وفي أي وقت من الأوقات أن أنزلها عن الرف لاستخدمها كوسيلة لعلاج مرضاي."[249]

جانب آخر يحتاج أن نسلط عليه الضوء لشبابنا المسلم وهو أن القرآن مجمل ولا يعطي تفاصيل دقيقة عن الأحكام المختلفة وأنه يطلب منا اتباع سنة الرسول محمد ﷺ ويذكر لنا ذلك بوضوح تام:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾

(سورة الحشر: 7)

يقع بعض شباب المسلمين في هذه الأيام ضحايا لبعض المذاهب الضالة وينتهي أمرهم إلى القول بقبول القرآن فقط ورفض سنة رسول الله ﷺ والسبب في رفض بعض حداثيي هذا العصر للسنة النبوية يعود إلى شعورهم بعقدة النقص والدونية عندما يتعرضون إلى مفاهيم الحضارة الغربية. وهذا ما أكده محمد أسد في كتابه "الإسلام عند مفترق الطرق" عندما كتب:

"إن هذا "التغريب" هو اليوم أقوى سبب في هجر أحاديث نبينا وسنته بأكملها. فالسنة النبوية تتعارض بشكل واضح مع الأفكار

---

[249] المرجع نفسه.

الأساسية التي بنيت عليها حضارة الغرب حتى أن الذين يفتنون بها لا يرون سبيلاً للخروج من اللبس الذي وقعوا فيه سوى وصف السنة النبوية بأنها جانب لا صلة له بالإسلام، وبالتالي فهي ليست مُلزِمةً – لأنها "قائمة على أحاديث لا يعتمد عليها". وبعد ذلك، يسهل عليهم تحريف تعاليم القرآن بطريقة تتلاءم مع روح الحضارة الغربية".[250]

لقد أنبأنا نبينا الحبيب ﷺ في أحاديثه عن ظهور مثل هذه العقلية عند بعض الناس وأنهم لا يزالون كذلك حتى تقوم الساعة. روى المِقدامُ بن مَعدي كَرِب حديثًا حذرنا فيه النبي محمد ﷺ قائلاً:

**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهذَا الْقُرْآنِ، فَمَا**

[250] Asad, Muhammad (1991). Islam at the Crossroads. Lahore, Sh. Muhammad Ashraf Publishers.

وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ (سنن أبي داود)[251]

إن السنة النبوية جزء لا يتجزأ من القرآن ونحتاج إليها لفهمه. وفقط بالرجوع إلى سنة النبي محمد ﷺ يمكن أن نتعلم التفاصيل الدقيقة لنمط الحياة الإسلامية. ولذلك، فإن القرآن والسنة النبوية هما أكبر عدو للدجال في هذا العصر.

## أهمية الصلاة والعبادة

أجرى الدكتور أندرو ويفر (Dr Andrew Weaver)، عالم نفس أمريكي من جامعة هاواي، دراسات مختلفة حول تأثير الدين في الشباب. واكتشف في أبحاثه أن المجتمع الذي يميل معظم الشباب فيه إلى التدين والروحانية، تكون جرائم الشباب فيه أقل من المجتمع الذي يكون شبابه أقل اهتماماً بالدين.

---

[251] الراوي: المقدام بن معدي كرب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 4604، خلاصة حكم المحدث: صحيح

وبحسب الدكتور ويفر، تكشف هذه الدراسات أن الدين والروحانية تكون لهما قيمة عالية عند الكثير من الأشخاص في أوقات الأزمات والصدمات والحزن، إذ تساعدهم الصلوات في علاج تلك الصدمات والأزمات.(252)

وأشار أيضاً إلى دراسة أخرى أجريت فيها مقارنة بين 33397 طالباً من المدارس الثانوية في 112 مجتمعاً في وسط الغرب الأمريكي. قام الباحثون في تلك الدراسة بقياس 16 سلوكاً سيئاً في سبع مجالات: التدخين، وتعاطي المخدرات، ومعاقرة الخمر، وممارسة الجنس، والاكتئاب والانتحار، والسلوكيات المعادية للمجتمع، والمشاكل المدرسة. فكشفت الدراسة أن المجتمعات التي يواظب معظم المراهقين فيها على ممارسة الأنشطة الدينية تكون نسبة احتمال معاناتها من سلوكيات الشباب السيئة أقل بمرتين من المجتمعات الأخرى. فخلص الدكتور أندرو إلى القول:

---

252 Garbarino, James (1999). Lost Boys: Why our Sons Turn Violent and How We Can Save Them. New York, Free Press (Simon & Schuster, Inc.).

"إن أشكال التربية الإيمانية تشكل سداً منيعاً في وجه المعاناة والضياع، وتقلل من العزلة وتشجع على الأمل من حيث أنها تقدم نظام دعم فعال."[253]

تعليقاً على نتائج بحث الدكتور ويفر، يشير عالم النفس السريري في جامعة كورنيل، الدكتور جيمس غاربارينو (Dr James Garbarino)، في كتابه " أولاد ضائعون: لماذا يمارس أبناؤنا العنف وكيف يمكننا إنقاذهم – Lost Boys: Why our Sons Turn Violent and How We Can Save Them"، إلى أن إحدى الطرق الفعّالة لإنقاذ شبابنا من "التسمم الاجتماعي" هي أن نغرس فيهم حب الدين والعبادة، حتى تنمو فيهم مشاعر العطف والاهتمام بأفراد المجتمع الآخرين.[254]

---

253 Weaver, Andrew and Garbarino, James (May 8, 1999). "Faith in Troubled Teens: A spiritual connection can help immunize youth against the deadly effects of a toxic society". Honolulu Star-Bulletin. http://archives.starbulletin.com/1999/05/08/editorial/special.html

254 Garbarino, James (1999). Lost Boys: Why our Sons Turn Violent and How We Can Save Them. New York, Free Press (Simon & Schuster, Inc.).

إنها لحقيقة أن التعلق بالدين والعبادة يمنحان الفرد نضجاً في التفكير وشعوراً بالرشاد. وقد لاحظ الدكتور ويفر والدكتور غاربارينو ذلك استناداً إلى معرفتهما بتأثير المسيحية على المجتمع. إلا أنهما قد يكونان غافلين تماماً عن قوة الإسلام في تغيير قلوب الناس. فالإسلام، كونه شريعة حياة كاملة، يؤدي إلى تحول كامل في حياة الذين يعتنقونه.

وقد يكون الأشخاص الذين يعتنقون الإسلام مدمنين على المخدرات، أو مهووسين بموسيقى الميتال (الروك)، أو يعيشون في سجن، ولكن بمجرد اعتناقهم الإسلام، تتغير حياتهم بالكامل. ولنأخذ الأمريكيين من أصل أفريقي الذين يعيشون في الولايات المتحدة كمثال. لقد وصف الروائي والشاعر والناقد الاجتماعي الأمريكي، جيمس بالدوين (James Baldwin)، شقاء المدمن الأمريكي الأسود ببراعة في كتابه الأكثر مبيعاً "النار في الزمن القادم – The Fire Next Time "، بالكلمات التالية:

"أذكر رفاقي في السنوات الخوالي في الأروقة مع خمورهم ودموعهم، في الأروقة وقد شلت المخدرات حركتهم. وأذكر

أخي ذات مرة يقول لي، لو لم يكن في هارلم كنائس كثيرة وعشاق، لكان الدم يجري في الشوارع."[255]

على أية حال، بعد أن يؤمن مدمنو المخدرات بالإسلام، ويعتنقون مبدأ التوحيد (وحدانية الله) ويستوعبون الرسالة الروحية وتعاليم الإسلام، تتغير حياتهم على الفور بشكل تعجز جميع المؤسسات الحكومية التعليمية والاجتماعية والإصلاحية عن تحقيقه. يشير جيمس بالدوين إلى أن الإسلام:

"قد استطاع أن يحقق ما فشلت في تحقيقه أجيال من العاملين في مجال الإصلاح الاجتماعي واللجان والقرارات والتقارير ومشاريع الإسكان والملاعب: إنه يشفي ويصلح المدمنين على الكحول والمخدرات، إنه يغير الأشخاص الذين يخرجون من السجون ويبعدهم عنها، إنه يزرع في الرجال العفة وفي النساء

---

255 Baldwin, James (1962). The Fire Next Time. London, Penguin Books.

الفضيلة، إنه يمنح الذكر والأنثى فخراً وسكينة تلفهما بنور لا يخبو."[256]

الالتزام بالدين ضرورة إنسانية أساسية، لكن حقيقة جمال الإسلام تكمن في أنه بمجرد أن يصبح الشخص ملتزمـًا (سواء كان مسلمـًا جديداً أو مسلمـًا تائبـًا) فإنه يبدأ في رؤية هدف لحياته وهو شعور قوي جداً. لقد حرمت العلمانية في عصرنا الحديث الإنسان من رؤية معنى حقيقيـًا أو هدفـًا لحياته. وعند غياب المغزى من حياة الشخص ينتابه "الفراغ الوجودي" و"القلق الوجودي". وقد صاغ فيكتور فرانكل (Victor Frankl)، أكثر علماء النفس الوجوديين تأثيراً في القرن العشرين، هذا المفهوم بشكل جميل. فأثناء مروره بتجارب مريرة في معسكرات الاعتقال في ألمانيا النازية، درس بعمق نفسية السجناء على مدى أشهر وخلص في كتابه "بحث الإنسان عن المعنى – Man’s Search for Meaning" إلى ما يأتي:

---

[256] المرجع نفسه.

"إن بحث الإنسان عن معنى الحياة قوة أساسية في حياته، وليس "تبريراً عرضيـاً" لدوافع غريزية. وهذا المعنى فريد يتميز في أن المرء عليه إيجاده بنفسه. وبمجرد أن يجده يكتسب أهمية ترضي توقه إلى إيجاد معنى الحياة."[(257)]

ويؤكد فرانكل أن الدين هو أحد أعظم القوى التي تعطي معنى لمعاناة البشر المستمرة. وهذا المفهوم الذي أورده فيكتور فرانكل حول "الفراغ الوجودي" ليس جديداً على الإسلام. فعندما يكون المرء غير مؤمن بوحدانية الله أو يشرك به ولا يؤمن بالحياة الآخرة، فإنه سيعاني من "الفراغ الوجودي" الذي يؤدي إلى "القلق الوجودي". يخبرنا القرآن أن مثل الذين ينسون خالقهم كمثل الذين فقدوا أنفسهم أو وجودهم. وبما أنهم نسوا خالقهم وربهم، أنساهم الله أنفسهم. يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن:

[257] Frankl, Victor E. (1997). Man's Search for Meaning. New York, Pocket Books.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ (سورة الحشر: 19)

عندما يقبل الشباب المسلمون على الإسلام ويطبقون تعاليمه، فإنهم لن يشعروا باستقامة حياتهم فحسب، بل ستتغير نظرتهم إلى لعالم بأكملها. وفي هذا الصدد، لا نبالغ إن أكدنا على قيمة الصلاة (الصلوات الخمس المفروضة يوميًا)، خاصة صلاة الجماعة. يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن عن الصلاة:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾

(سورة العنكبوت: 45)

ذكر القرآن أن هذه الميزة في الصلاة تمنع الإنسان من ارتكاب الفواحش. وفي الحقيقة، لا عبادة أفضل من الصلاة لتربية الإنسان على الأخلاق. فالإنسان الذي يؤدي الصلاة يقف أمام الله خمس مرات كل يوم. وهذا يُجدِّد في عقله مفهوم المساءلة أمام الله الجبار. لذلك، عندما يقبل المسلم العاصي على الدين، فإن أول ما يبدأ به هو أداء الصلاة خمس مرات في اليوم.

والناس الذين يواظبون على أداء الصلاة بانتظام تكون أفعالهم أفضل من حيث الاستمتاع بفعل الخير والنهي عن المنكر. والصلاة تمنع الشباب المسلم من الانغماس في الخطايا. لذلك، ينبغي على الآباء المسلمين تشجيع شبابهم على أداء الصلاة بانتظام. وينبغي على الشباب المسلمين أيضاً أن يحاولوا الابتعاد عن نمط الحياة المادي قبل الزواج وبعده، لأنه لن يؤدي إلا إلى الكآبة والرغبة في جمع المال.

## أهمية ملازمة الصحب الصالحين

البشر مخلوقات اجتماعية. وهم يستجيبون لتأثير الصحب من حولهم. وملازمة الصحبة الفاسدة لا شك تفسد المرء. وعلى النقيض، فإن الصحبة الصالحة لها تأثير إيجابي على المرء. لذلك، على الشاب المسلم أن يسعى جاهداً إلى صحبة الصالحين الأخيار الأتقياء ويتعلم منهم ومن تجاربهم. وإن أراد الآباء إصلاح شبابهم الفاسدين، عليهم أولاً أن يغيروا بيئة ابنهم أو ابنتهم. فعندما يجالس الإنسان الصالحين والمتقين، يكتسب منهم

العادات الحسنة، ويتخلق بأخلاقهم وآدابهم الإسلامية، ويثبت على طريق الصلاح. لذلك تخيروا الصُحبة. قال مالك بن دينار رحمه الله:

**إنك ان تنقُلَ الحجارةَ مع الأبرار، خيرٌ من أن تأكل الحلوى مع الفُجَّار.** (روضة العقلا، ص 100)

ذكرت في القرآن قصة الشباب، أهل الكهف، في سورة الكهف (انظر الفصل الأول للاطلاع على تفاصيل القصة). كان أهل الكهف شباباً اتقياء يعيشون في مدينة ذات حضارة راقية. لكن البيئة المحيطة بهم ومجتمعهم كان فاسداً. أدرك أولئك الشباب أنهم إن استمروا في صحبة الفاسدين فإن حسهم الأخلاقي سيضعف. لذلك قرروا أن يغيروا بيئتهم وذهبوا إلى كهف حيث جعلهم الله ينامون مدة طويلة من الزمن. وبعد سرد هذه القصة في القرآن، أمرنا الله أن نحافظ على صحبة الذين يتقونه، وهي إحدى موضوعات هذه السورة.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴿٢٨﴾ (سورة الكهف: 28)

كذلك أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين في القول والعمل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴿١١٩﴾﴾

(سورة التوبة: 119)

وقال نبينا الحبيب ﷺ في أحد الأحاديث:

**المَرءُ على دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنظُرْ أحَدُكم مَن يُخَالِل**

(الترمذي، أبو داود)[258]

والجدير بالذكر أن التواجد الفعلي مع الأصدقاء ليس هو وحده الذي يعني صحبة الشخص، إذ تندرج أيضًا، في وقتنا هذا، مجموعات أصدقاء الإنترنت على مواقع التواصل الاجتماعي (مثل فيسبوك، تويتر، ماي سبيس،

---

[258] الراوي: أبو هريرة، المحدث: الحاكم، المصدر: المستدرك على الصحيحين، الصفحة أو الرقم: 7526، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه أبو داود (4833)، والترمذي (2378)

فريندستر، بيكيو، وما إلى ذلك) وغرف الدردشة في صحبة المرء. لذا يجب عليه أن يكون على معرفة بهم. فمجموعة الأصدقاء السيئة على الإنترنت قد تدمر الشخص بنفس القدر الذي تدمره به صحبة الأصدقاء السيئين الفعليين، بل إن أصدقاء الإنترنت قد يكونوا في الواقع أكثر خطورة لأنهم خفيون. لذا يجب علينا الحذر ممن يرسل لنا طلب صداقة فقد يدمر تأثير بعض أصدقاء الإنترنت الفاسد إيماننا بالله.

وفي حديث آخر مثير للانتباه ويبعث على التفكير رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يتناول أهمية الصحبة التقية والبيئة الصالحة أن رسول الله ﷺ قال:

" كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ

نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فاعْبُدِ اللهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِما كانَ أدْنَى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنَى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قالَ قَتادَةُ: فقالَ الحَسَنُ ذُكِرَ لَنا، أنَّه لَمَّا أتاهُ المَوْتُ نَأَى بصَدْرِهِ." (صحيح مسلم)[259]

وفي رواية البخاري:

[259] الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2766

**"فَأَوحَى الله تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَى هذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وقَالَ: قِيسُوا مَا بيْنَهُما، فَوَجَدُوهُ إِلَى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ"** (صحيح البخاري)[260]

قال مفسرو هذا الحديث أن الراهب لم يكن عنده علم ولذلك لم يعرف كيف يصلح خطّاءً يريد التوبة، وبالتالي خسر حياته. وعلى النقيض، عندما سأل قاتل المئة عالمـًا، عرف العالم أنه قد يستحيل على هذا القاتل أن يتوب ويثبت على توبته إن بقي مع نفس الصحب الأشرار وفي البيئة الفاسدة. فنصحه العالم قائلاً: "لا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء". فقد كان من المحتمل أن يسحبه أصدقاء السوء، أصدقاءه في الايام الخوالي، إلى ارتكاب الآثام إن هو بقي في نفس البيئة. لذلك نصحه العالم بالانطلاق إلى أرض بها أناس يعبدون الله تعالى و أن يعبد الله معهم.

---

260 الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3470

# أهمية الزمن

الشباب هو فترة النمو حيث يكون جسم الإنسان في ذروة نموه البدني. فالجسم قد نما بأكمله وكل أجهزته تعمل على النحو الأمثل. كما يكون الشباب في ذروة قدراتهم المعرفية وأقصى طاقاتهم على التذكر السريع والدقيق ومعالجة الأفكار وتحليل المعلومات. لذلك فإن فترة الشباب هي الفترة المثلى للسعي إلى المعرفة. والشبان والشابات الذين يهدرون الوقت ولا يسعون إلى المعرفة في هذه الفترة المهمة من حياتهم لن يتمكنوا ابداً من تعويض ما خسروه. وعلى الشباب المسلم أن يدرك أن السعي إلى المعرفة يكون "إما الآن أو لن يكون أبداً". وصدق الشاعر العربي حين قال:

**ما مَضى فاتَ، والمُؤَمَّلُ غيبٌ          ولكَ الساعةُ التي أنتَ فيها**

كان عند أبي حامد الغزالي طالب شاب يتتلمذ على يديه. وعندما أكمل الطالب تعليمه وتجهز لتركه، جاء إلى معلمه يطلب منه النصح والإرشاد حتى يكون له دستوراً ومنهجاً وطريقة في حياته. فأملى الإمام الغزالي رسالته

الطويلة الشهيرة **"أيها الولد المحب"** مخاطبًا تلميذه ومُذكراً إياه أن المرء إن شغل نفسه في اللهو وفي أعمال تافهة يضيع فيها الوقت فهي علامة على غضب الله عليه. وأكد الإمام في رسالته على أهمية الوقت والعمل حيث قال:

أيّها الولد المحب، العلمُ بلا عملٍ جنونٌ، والعملُ بلا علمٍ لا يكونُ. واعلمْ: أنَّ علماً لا يُبعِدُك اليومَ عن المعاصي، ولا يحملُكَ على الطاعةِ.. لنْ يُبعِدُكَ غداً عن نارِ جَهنَّمَ. وإذا لم تعمَلِ اليومَ ولم تَدارَكِ الأيَّامَ الماضيةَ.. تقولُ غداً يومَ القيامةِ: "فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ" (سورة السجدة: 12) فيُقالُ: يا أحمقُ، أنتَ مِن هُناكَ تجيءُ."[261]

---

[261] الغزالي، الإمام أبو حامد. "أيها الولد". كامبريدج (بريطانيا)، جمعية النصوص الإسلامية. سنة النشر: 2005م

يجب علينا كمسلمين أن نتأسف على الوقت الذي أمضيناه في العبث وعلينا أن نعمل على تعويضه. علينا أن نذرف الدمع على الوقت الذي أمضيناه لا نعبد الله ولا نطلب العلم فيه. وقد أخبرنا الرسول مقدار ما نخسره عندما نهدر الوقت قائلاً:

**"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"**

(صحيح البخاري)[262]

وما هو إلا وقت قصير حتى نقف بين يدي الله يسألنا فيما أمضينا وقتنا - هل أمضيناه بحكمة أم قتلناه في اللهو ومشاهدة الأفلام وفي غرف الدردشة وألعاب الفيديو وشبكات التواصل الاجتماعي، الخ. يجب أن تكون أولوية الشباب المسلم طلب العلم ونفع الأمة الإسلامية. ولقد نصح الإمام الشافعي الشباب المسلم في شعره حيث قال:

---

[262] الراوي: عبدالله بن عباس، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6412

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَـــاعَـــةً فتَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ

حياتِـــــهِ

وَمَـنْ فَاتَـهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِــهِ فَكَـبِّــــرْ عَلَيْــــهِ أَرْبَـعـًا

لِـوَفَــاتِــــهِ

وَذَاتُ الْفَتَى وَاللهِ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى إِذَا لَمْ يَـكُـونَـا، لَا اعْتِبَــارَ

لِـذَاتِـــهِ

(ديوان الشافعي)[263]

# الحذر من اتباع العامة ووسائل الإعلام والتسويق

## والثقافة السائدة

يتعرض شباب اليوم إلى ضغط الأقران النفسي بشدة. إنهم يتعرضون لضغوط هائلة للتأقلم مع ثقافة العامة والاندماج بها وبأحدث صيحات الموضة السائدة بين أقرانهم في المدرسة أو الكلية أو المجتمع، حيث يُعد ما

263 الشافعي، الإمام محمد بن إدريس (المتوفى 204 هـجري) "ديوان الإمام الشافعي". المنصورة، مصر، دار الغد الجديد. سنة النشر: 2003م.

يتبعه عامة الناس وتشيعه وسائل الإعلام والتسويق هو "المعيار الذهبي". وليس الشباب المسلم في جميع أنحاء العالم بمنأى عن هذه الظاهرة نظراً لتأثير العولمة عليه وهو أكثر تقبلاً لذلك من كبار السن. وفي حين أن هذه الصفة محمودة في الشباب من حيث تقبلهم لرسالة الحق، فقد تتحول إلى صفة مدمرة للغاية إن لم يكونوا على حذر من ضغط الأقران، إذ نادراً ما ينجذب الشباب إلى ارتكاب خطيئة لا يكون ضغط الأقران هو السبب والدافع لها - كإدمان وسائل التواصل والتدخين والموسيقى والغناء والعلاقات العاطفية قبل الزواج والالفاظ النابية والعنف والزنا والانضمام إلى العصابات.

كما أشرنا سابقـاً في هذا الكتاب، فإن عقلية الخضوع لضغط الأقران ليست ظاهرة جديدة. فالشباب، بطبيعتهم، سريعون جداً في تبني مواقف أقرانهم وتقليد سلوكياتهم. لكن ليس من اللائق أن يمتلك شبان وشابات الإسلام عقلية القطيع هذه أو أن يستسلموا لهذا النمط من التفكير. ولقد قدم عبد الله بن مسعود ﵁ ، أحد أصحاب النبي محمد ﷺ نصيحة بهذا الشأن تناسب تمامـاً كل شاب مسلم في وقتنا الحاضر. فعندما أسلم عبد الله في مكة كان شابـاً في سن المراهقة وواحداً من شبان تحلقوا حول رسول الله ﷺ قال عبد الله ﵁ :

**لَا يَكُنْ أحَدُكمْ إمَّعَةً، يَقُولُ: أَنَا مَعَ النَّاسِ، إِنْ أَحْسَنُوا أَحسَنْتُ وإِنْ أَسَاؤوا أَسَأتُ، ولَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُم أَنْ تُحْسِنُوا إِنْ أَحسَنَ النَّاسُ، وإِنْ أَسَاؤوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُم**.(المعجم الكبير للطبراني)[264]

الإسلام يعلم الشباب ألا يبهرهم انتشار الشر من حولهم حتى لو وصل الانحراف إلى حد يبدو فيه هو المعيار الاجتماعي، رغم أن هذا هو الأمر الشائع من ثقافة العامة في غالب الأوقات. والسبب في الافتتان بثقافة العامة هو طبيعتها البسيطة المثيرة لعواطف أكثر الناس. ولكن، إن كان أكثر الناس يتبعون موضة خاطئة أو يعملون أعمالاً فاسدة، فإن ذلك ليس مبرراً لاتباعهم وتقليد أعمالهم لأن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:

---

[264] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (المتوفى 360هجري) "المعجم الكبير للطبراني". تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية. المجلد 9، # 8765.

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ١١٦﴾

(سورة الأنعام: 116)

ويقول تعالى أيضـاً:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ٤٩﴾ (سورة المائدة: 49)

إن جوهر الحق ومعياره الذهبي ليس "الأكثرية ووسائل الإعلام والتسويق" بل هو "القرآن والسنة". وأي فعل أو عادة تنطبق عليها المعايير المحددة في القرآن والسنة تكون على الطريق الصحيح حتى لو كان الناس يسلكون طريقاً آخر. فقد لا يكون قطيع الناس الذين يتبعون بعض العادات السائدة سوى شرذمة من بهائم تسير نحو الهاوية، تسير بلا عقل نحو دمارها الشامل. وعلى الشباب المسلم ألا يتصرفوا كقطعان البهائم ولا يسلكوا مسلكهم. بل عليهم أن يتصرفوا بطريقة أنبل وأسمى من ذلك بكثير.

## مزايا طاعة الله في شبابك

لا شك أن الرجوع إلى الله في سن صغيرة أفضل من الرجوع إليه في الكبر. لذلك، نصحنا النبي محمد ﷺ أن نستفيد من شبابنا قبل هرمنا، فقال:

**اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ...**

(مستدرك الحاكم)[265]

وفي رواية، امتدح رسول الله ﷺ الشاب التقي بقوله:

**يَعْجَبُ ربُّكَ مِن شَابٍّ لَيْسَت لَهُ صَبْوَةٌ** (مسند أحمد)[266]

الفرق شاسع بين مسلم يبدأ في الالتزام بالإسلام في سن مبكرة ومسلم يتوب ويرجع إلى الإسلام في الكبر. فالشباب هو وقت البذل والعطاء. إنه وقت

---

265 الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: 3355، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: والحاكم (7846)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (10248)

266 الراوي: عقبة بن عامر، المحدث: شعيب الأرناؤوط، المصدر: تخريج المسند لشعيب، الصفحة أو الرقم: 17371، خلاصة حكم المحدث: حسن لغيره، التخريج: أخرجه أحمد (17371)

الصحة المثلى. ومن السهل على الشاب أن يسهر الليل في طلب العلم والتهجد، أن يصوم في رمضان وفي غيره من الأشهر. وجسم الشاب يتحمل الصعاب في سبيل العلم الشرعي والدعوة. والشباب لا يحملون على كاهلهم نفس الأعباء التي على كاهل الكبار – كالأعباء المالية المطلوبة لرعاية أسرة كبيرة أو الأعباء الاجتماعية الأخرى. وعندما يتوب الشاب أو الشابة عن خطاياهم السابقة ويبدأ الواحد منهم في تطبيق الإسلام ويستمر في تطبيقه حتى آخر عمره، تصبح العبادة عنده عادة وينغرس الإسلام في كيانه ويصبح جزءاً لا ينفصل عنه. والأمر كله متروك بين يدي الشباب، يمكن أن يختار الشاب زوجة مسلمة أو تختار الشابة زوجاً مسلماً. يستطيع الشاب أن يشترط على أهله ألا يتزوج إلا بزوجة ملتزمة بدينها ويمكن أن تشترط الفتاة ألا تتزوج إلا بزوج ملتزم بدينه. والحياة كلها أمام الشباب، يمكن أن يربوا أولادهم على كتاب الله وسنة نبيه. والمؤمنون بالإسلام حقاً بأيديهم أن يختاروا مهنة كسبها حلال ويبتعدون عن أي مهنة كسبها حرام. ويمكنهم أن يختاروا أصدقاء مثلهم

ملتزمين بدينهم ويحافظون على صحبتهم حباً في الله طوال حياتهم. وفي النهاية وبعد كل شيء، إن الطيور على أشكالها تقع.

ومن الناحية الأخرى، يختلف الوضع عندما يرجع الشخص إليدينه في سن متأخرة. ومن الصحيح أن باب التوبة مفتوح لكل مسلم إلى حين وفاته وأن أوان التوبة لا يفوت أبداً، لكن الذين يضيعون شبابهم في أمور تافهة ويعودون للالتزام بالإسلام فقط حين يشيخون، يواجهون صعوبات كثيرة بسبب تأخرهم. فنحن كلنا نعلم أننا عندما نتقدم في السن، تكثر مسؤولياتنا ويتعين علينا حل مشاكل عائلاتنا وأطفالنا وأقاربنا، وكلها تستهلك جزءاً كبيراً من وقتنا. وفي الشيخوخة يفقد جسمنا قوة الشباب، وبمجرد أن نتجاوز سن الأربعين، تبدأ وظائف أجسامنا في التراجع رويداً رويداً. ثم، وفي الشيخوخة، تبدأ أمراض مختلفة تهاجم أجسامنا. وتزداد عندئذ الصعوبة في السعي ساعات طويلة من أجل تحصيل العلم الشرعي وفي الصوم في الأيام الحارة وتحمل الصعوبات التي تقف عائقاً أمام نشر الدعوة. ومما يزيد الطين بلة، أنه عندما يرجع كبار السن إلى الدين، يصبح الزوج العلماني الضال في كثير من الأحيان

مصدر إزعاج لزوجته التي رجعت لتوها إلى الالتزام بتعاليم الإسلام، كما تصبح، في حالات أخرى، الزوجة السافرة المحبة للموضة المدعية للتحرر مصدر إزعاج وشوكة في جسد زوج كبير في السن تاب متأخراً. وفي بعض الأحيان، يتوب الزوج والزوجة إلى الله معـًا في سن متأخرة ويبدآن في تطبيق تعاليم الإسلام في حياتهما، لكن أبناؤهما يرفضون اتباعها كونهم نشأوا في بيئة لم يروا فيها والديهما يطبقان الإسلام فيما مضى من حياتهم. وفي حالات أخرى، يتوب زوجان كبيران في السن ويبدآن في عيش حياة إسلامية، فيتوجب عليهما قطع علاقاتهما الاجتماعية مع أصدقائهما السابقين الذين يحبون الحياة المادية والدنيوية. وأحيانـًا، يتوجب على الكبير في السن، عندما يقرر التوبة والرجوع إلى عيش حياة إسلامية، أن يضحي بمهنته لأن كسبه منها مبني على الربا أو على أساليب أخرى محرمة، وليس من السهل على كبير السن البحث عن مهنة بديلة تؤمن له دخلاً للمعاش. بالطبع، باب التوبة مفتوح في أي وقت قبل الموت، ولكن تبقى الحقيقة أن التوبة في سن متأخرة مهمة شاقة للغاية، وقليلون جداً، وربما لا يتجاوزون الواحد في الألف، هم الذين يقررون الرجوع

للعيش بشرع الله ويكون لديهم الإرادة القوية للثبات في مواجهة كل هذه التحديات.

إن الفتيان والفتيات والشبان والشابات الذين يقضون شبابهم في طاعة الله وعبادته، يحفظهم الله في أبدانهم وفي عقولهم عندما يكبرون، لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد في القرآن بقوله:

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ (سورة البقرة: 152)

إن الله يحفظ للشبان والشابات الذين تابوا ورجعوا إلى الله في الصغر أبدانهم في الكبر. كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يركب خلف النبي ﷺ فقال له ﷺ

**يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك** (الترمذي)[267]

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي (توفي 795 هـ) عن أهمية طاعة الله في الشباب:

---

[267] الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2516، خلاصة حكم المحدث: صحيح

"ومَنْ حفظ الله في صباه وقوَّته، حفظه الله في حال كبَره وضعفِ قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحولِه وقوَّته وعقله. كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتَّعٌ بقوَّتِه وعقله، فوثب يومـًا وثبةً شديدةً، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عَنِ المعاصي في الصِّغر، فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أنَّ بعض السَّلف رأى شيخـًا يسأل الناسَ، فقال: إنَّ هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره."(268)

## الشباب المسلم و ثلاثية "اتَّـقِ": "اقرأ"، "تَـزكَّـى"، "قم"

إن غاية ما نتمناه أن يحقق شبابنا المسلم التوازن في هذا العالم المضطرب. ولتحقيق هذا التوازن، يجب أن يتمتع الشباب المسلم بشخصية متوازنة. ولا

[268] ابن رجب الحنبلي، الإمام عبد الرحمن بن شهاب الدين (المتوفى 795 هجري) "جامع العلوم والحكم". بيروت، دار ابن كثير. سنة النشر: 2008م.

يمكن تحقيق شخصية مسلمة كاملة متوازنة ما لم تتوازن فيها ثلاث صفات أصيلة، وهي: العلم وتزكية النفس والعمل. وهذا له أساسه في القرآن. فوفقًا لمعظم المفسرين، أول ما أنزل من الوحي على النبي محمد ﷺ ثلاث آيات في ثلاث سور: سورة العلق وسورة المزمل وسورة المدثر، كما ذكر المفسر الشهير الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن".[269] وهذه الآيات الثلاثة من السور الثلاثة تعطي نموذجًا عن الشخصية المسلمة المثالية. والآيات الثلاث هي:

**1- اقْــــرَأ**

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ (سورة العلق: 1)

**2- تَـــزَكَّـــى**

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ (للصلاة وتزكية النفس)

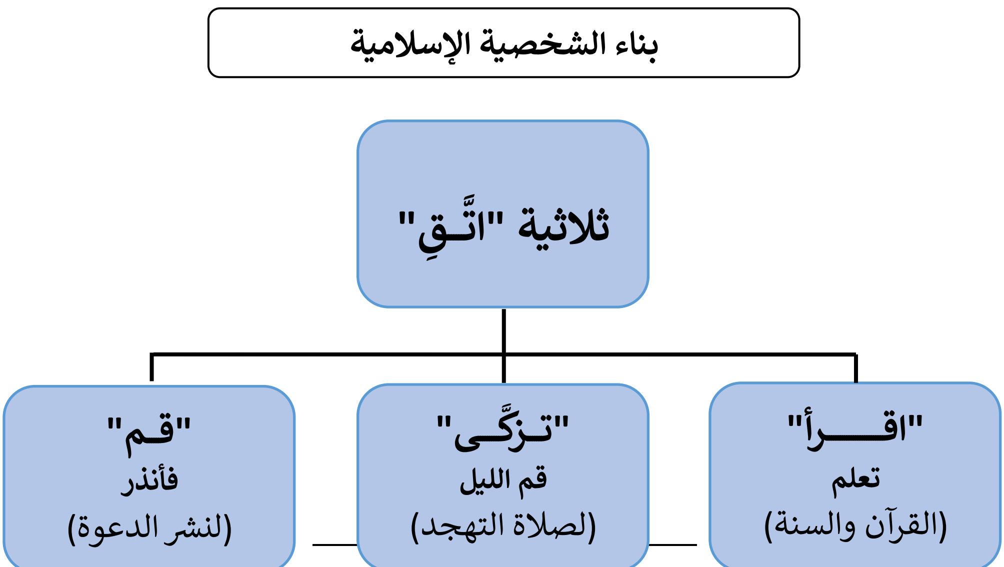
(سورة المزمل: 2)

**3- قُـــمْ**

[269] الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى 911هـ). "الإتقان في علوم القرآن". لاهور، إدارة الإسلامية للنشر. المجلد 1، سنة النشر: 1982م.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ (سورة المدثر: 2-3)

لذلك، على من يرغب من الشباب المسلم أن يتمتع بشخصية مثالية وينشر رسالة الإسلام أن يمتاز بسمات "اتَّـقِ" الثلاث وهي: اقرأ وتزكى (قم) وقم. الأمر الأول، "اقرأ"، تعني لطلب العلم واكتسابه، و "تزكى" أي "قم الليل" تعني للتهجد ليلاً وتزكية النفس، و "قم فأنذر" تعني أن تنهض وتعمل على نشر رسالة الإسلام. وبالتالي، يجب على المسلم أن يكون نموذجاً يمشي على الأرض يمثل "اقرأ" و "قم" تزكى و "قم فأنذر"، والتي يمكن أن تتمثل في ثلاثة مفاهيم، هي العلم، وتزكية النفس، والعمل. والرسم البياني الآتي يوضح كيفية بناء الشخصية الإسلامية:[270]




[270] Mushtaq, Gohar, Ph.D. (2010). Islam: Its Beauty & Wisdom. Maryland (U.S.A.), Amana Publications.

السمة الأولى، "اقرأ"، وتعني أنه يجب على الشاب المسلم أن يسعى لطلب العلم الشرعي، وهذا العلم بالإسلام يجب أن يُبنى على القرآن وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة وقد قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ (سورة النساء: 113)

**العلم** هو أساس كل شيء. وأعمالنا ترتكز على النوايا الحسنة والعلم الصحيح. ولا يكتمل أي شيء ما لم يبنى على علم صحيح. وقد كتب الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان: باب العلم قبل القول والعمل. وأراد الإمام البخاري بذلك التأكيد على أنه لا يمكن أن يكتمل أي عمل دون علم بأصوله. ولا يمكن أن ينشر شبابنا المسلمون رسالة الإسلام ما لم يمتلكوا العلم الشرعي الصحيح، لأن هذه هي سمة نبينا الحبيب محمد ﷺ التي وصفه بها القرآن الكريم:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴿١٠٨﴾ (سورة يوسف: 108)

والسمة الثانية، **"تزكى - قم الليل"**، وقيام الليل عبادة تصل قلب الإنسان بالله وتمكنه من التغلب على مغريات الحياة ومجاهدة نفسه في وقت ينام فيه الآخرون مرتاحين في فرشهم. والاستيقاظ في الليل لأداء صلاة التهجد يحتاج إلى إرادة قوية. والشاب المسلم الذي يمتلك مثل هذه الإرادة لا بد أنه قادر على استخدام علمه وعمله في إصلاح المجتمع. وساعات السَحَر هي أفضل وقت للتوبة وتزكية النفس. قال الله تعالى عن المتقين الذين يقيمون صلاة التهجد:

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا
يَهۡجَعُونَ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾

(سورة الذاريات: 15 - 18)

ووصف الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان الذين يصلون في السحر بعباد الرحمن بقوله:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ (سورة الفرقان: 63 – 64)

إننا كبشر جميعنا خطاؤون. ومرحلة الشباب فترة تكثر فيها الاغراءات فيقع الكثير من الشباب في فخ الشيطان ويقترفون الذنوب. ومع ذلك، يمكن أن يزكي شبابنا المسلمون قلوبهم بالتوبة، وباب التوبة مفتوح على مصراعيه ما لم نصل إلى غرغرة الموت كما قال النبي ﷺ **"إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"** (الترمذي).[271] وقد حثَّ الله تعالى البشر على التوبة في عدة مواضع في القرآن الكريم:

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ (سورة الزمر: 53)

---

[271] الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 3537، خلاصة حكم المحدث: حسن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (سورة التحريم: 8)

إن كان الشاب المسلم قد ارتكب خطيئة ولكنه تاب التوبة النصوح وغير حياته إلى الأفضل فإن الله قد وعد الخطائين بالرحمة والمغفرة. وفي الحقيقة، إن الله يحب التوابين ويمطر من يتوب منهم توبة نصوحة بأنعمه ويبارك فيه. لذا، فإن التوبة وتزكية النفس وتطهيرها من الخطايا تمكن الشباب المسلم من تحقيق النجاح في أعمالهم الدعوية.

والسمة الثالثة **"قم فأنذر"** تشير إلى النشاط الإسلامي أو الدعوة. والدعوة تعني دعوة الآخرين إلى سبيل الله. وهي دعوة للإيمان بوحدانية الله. هي دعوة للعمل بتعاليم الإسلام، وفعل الخير، واحترام حقوق الآخرين، وإقامة العدل بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إن هدف الدعوة الإسلامية هو السعي والعمل من أجل تحسين أوضاع هذا العالم إلى ما ينفع الناس ويقيهم نار جهنم. والدعوة إلى الله شأنها عظيم في الإسلام وأهميتها بالغة. وكثيرة هي آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد ﷺ التي تبين

بوضوح أن الدعوة إلى الإسلام ودعوة الناس إلى سبيل الله واجب على المسلمين. فالله يأمرنا في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾

(سورة آل عمران: 104)

وأثنى على من يدعو إلى الله بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ (سورة فصلت: 33)

يوم خيبر، طلب الرسول ﷺ من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يدعو الناس إلى الإسلام ويخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، وقال له:

**فواللهِ لَأنْ يهديَ اللهُ بكَ رجُلاً واحداً خيرٌ لكَ مِن أنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ.** (البخاري)[272]

(ملاحظة: كانت الإبل الحمر عند العرب في ذلك الزمان تعادل سيارات اليوم باهظة الثمن كرولز رويس وفيراري وهامر ومرسيدس بنز)

---

[272] الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 4210

وتشمل الدعوة إقامة العدل الاجتماعي بين الناس من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يجعل الأمة الإسلامية خير الأمم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: 110)

وقد أمرنا النبي ﷺ بالعمل بين الناس على النحو الآتي:

**مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ.**

(صحيح مسلم)[273]

ومن ثم، يجب على الشاب المسلم أن يكون مثالًا يمشي على الأرض تتمثل فيه ثلاثية "اقرأ وتزكى (قم الليل) وقم فأنذر"، أي العلم وتزكية النفس والدعوة إلى سبيل الله. وإن العمل بالتحلي بسمة واحدة فقط من هذه السمات في غياب السمتين الأخريين يعني شخصية إسلامية ناقصة. فالعمل في الدعوة بلا علم وتزكية للنفس يفتقد إلى أساس له. والعلم بلا عمل هو وسيلة لا غاية لها، كما أن العلم بلا دعوة إلى سبيل الله وتواضع وتوبة نصوح هو كينونة لا فائدة تُرتجى منها.[274]

---

[273] الراوي: أبو سعيد الخدري، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 49

[274] Mushtaq, Gohar, Ph.D. (2010). Islam: Its Beauty & Wisdom. Maryland (U.S.A.), Amana Publications.

يجب على الشباب المسلمين أن يضعوا في اعتبارهم أنه بالإمكان أن يكونوا طلاب علم في نفس الحين الذي يعملون فيه على تزكية أنفسهم وتطهيرها بالعمل بتعاليم الإسلام وفي نفس الوقت الذي يعملون فيه في نشر الدعوة، داعين الناس إلى سبيل الله. وبالتالي، فإن طلب العلم وتزكية النفس ونشر الدعوة ليست أعمالاً متعارضة لأن الدعوة هي ثمرة طلب العلم الشرعي والعمل به.

## ثلاثة رجال محاصرون في كهف - قدوة الشبان المسلمين

الشباب فترة يسهل فيها انجذاب الناس إلى الكثير من الشهوات والمغريات.

وثلاثة من أكبر المغريات هي:

1) حب الجنس الآخر
2) حب الأولاد
3) حب المال

وقد ذكر الله تعالى هذه المغريات في القرآن الكريم بقوله:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ (سورة آل عمران: 14)

تعطينا القصة الآتية التي وردت في حديث صحيح أمثلة عن ثلاثة نماذج يحتذى بها كقدوات للشباب المسلم. فقد واجه هؤلاء الرجال الثلاثة ثلاثة اغراءات قوية: حب الجنس الآخر، وحب الأولاد، وحب المال. ومع ذلك، ورغم شدة الإغراء، خاف هؤلاء الشبان الله واختاروا أن يمضوا في طاعته، وسيطروا على أنفسهم (النفس الأمارة بالسوء) من أجل مرضاته. فكانوا يذكرون الله في السراء، فذكرهم الله في الضراء ونجاهم وقت الشدة، وأثابهم عندما حلت بهم أحلك الظروف.

روى هذا الحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد جاء فيه:

انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوُا المَبِيتَ إلى غارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهمُ الغارَ، فَقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، فَقالَ

رَجُلٌ منهمْ: اللَّهُمَّ كانَ لي أبَوَانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، وكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُما أهْلًا ولَا مَالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شَيءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عليهما حتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُما أهْلًا أوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ علَى يَدَيَّ، أنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه مِن هذِه الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شيئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ.

قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى ألَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ

كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها.

قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وقالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الَّذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فقالَ: يا عَبْدَ اللهِ، أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلتُ له: كُلُّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقالَ: يا عَبْدَ اللهِ، لا تَسْتَهْزِئُ بي! فَقُلتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ. (صحيح البخاري)[275]

[275] الراوي: عبدالله بن عمر، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 2272

## هاجر (زوجة النبي إبراهيم عليه السلام) – قدوة الشابات المسلمات

هاجر عليها السلام هي زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام الثانية وزوجته الأولى سارة عليها السلام. كانت سارة عاقراً لا تلد، فوهبته جاريتها الشابة هاجر ليتخذها زوجة له، فأنجبت له إسماعيل عليه السلام.

يروي ابن كثير في كتابه "قصص الأنبياء" أن إبراهيم عليه السلام طلب ذات يوم من زوجته الشابة هاجر عليها السلام أن تأخذ ابنها إسماعيل وتتجهز لرحلة طويلة. وكان الطفل إسماعيل عليه السلام حينذاك ما يزال رضيعـاً. وبعد سفر طويل وصلوا إلى مكة وكانت واد لا زرع فيه ولا ماء. فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء بالكاد يكفيهما يومين. ثم قفّى إبراهيم عليه السلام منطلقـاً، فتبعته أم إسماعيل وقالت: "يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنس ولا شيء؟" وقالت له ذلك مراراً، لكن إبراهيم لم يجبها وجعل لا يلتفت إليها. ففهمت أخيراً أنه لا بد مأمور وأدركت أن الله لا بد قد أمره بذلك. فقالت له: "الله أمرك بهذا؟" قال: "نعم". قالت: "إذاً لا يضيعنا"، ثم رجعت. وبعد أن سار إبراهيم عليه السلام بضع خطوات رفع يديه متضرعـاً ودعا الله بهذه الدعوات التي أنزلت في القرآن. قال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ (سورة إبراهيم: 37 – 38)

روى ابن عباس رضي الله عنه أنه عندما نفد ما في السقاء عطشت هاجر عليها السلام وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يبكي ويتلوي، أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه لتبحث عن الماء، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه. ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف ذراعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى إذا جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً. ففعلت ذلك سبع مرات تركض بين الصفا والمروة.

روى ابن كثير أن ابن عباس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فلذلك سعى الناس بينهما. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتـًا فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت، فسمعت أيضـًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر

الماء فجعلت تخوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تغرف."

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال النبي ﷺ "يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم." أو قال: "لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا." ثم قال: "فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله."[276]

تذكرنا اليوم شعائر الحج وطقوسه، وخاصة السعي والرمي والشرب من ماء زمزم، بهاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ وتضحيتها العظيمة. فقد رضيت بالبقاء مع رضيعها إسماعيل في وادي مكة القاحل الأجرد طاعة لأمر الله، وتقبل الله طاعتها. فقد أنجبت هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ واحدة من أعظم الحضارات على هذه الأرض. وكانت هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ في الأصل من "مصر" التي تعني في لغتها الأم "المدينة"، فجعل الله اسمها حقيقة دائمة. يقول علماء التاريخ وعلم الاجتماع أن معظم الحضارات العظيمة تنشأ في مكان يتوفر فيه الماء. على سبيل المثال، حضارة السند في شبه القارة الهندية، والحضارة المصرية والحضارة البابلية وغيرها نشأت في مناطق فيها أنهار كبيرة كنهر السند والنيل والفرات. ففي النهاية، ينشأ كل شيء من الماء كما ذكر لنا القرآن الكريم:

---

276 ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفدا (المتوفى 774هـ) "قصص الأنبياء". نيودلهي، دار دينيات للنشر. سنة النشر: 2012م.

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾

(سورة الأنبياء: 30)

وبالفعل كانت بداية العرب الفعلية في مكة مع ظهور بئر زمزم. وقد حصل ذلك بسبب حب هاجر عليها السلام لابنها إسماعيل وإيمانها القوي بالله. فكانت الأم هاجر وابنها الرضيع اول من سكن بوادي مكة. وبعد سنوات جاء النبي إبراهيم عليه السلام ليزور زوجته وابنه، وشارف على المنزل ليلاً، فسمع زوجته هاجر عليها السلام تتلو صحف إبراهيم وتعلمها لابنها الصغير إسماعيل عليه السلام، فامتلأ قلبه فرحاً بما بارك الله له في أسرته هذه.

ولما جرى ماء زمزم في وادي مكة وكان كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً علامة على وجود الماء. فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء. فأقبلوا، وإذا امرأة وطفلها عند الماء، فأدركوا أن هذه المرأة لا بد أن تكون مباركة. فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم.

وشب الغلام إسماعيل وتزوج بامرأة من قبيلة جرهم وعاشت هاجر عليها السلام حتى بلغت 90 عاماً. وكان وجودها مصدر إلهام لكل من سكن وادي مكة، فقد كانت تعلم أولاد جرهم وتحفظهم صحف إبراهيم كما كانت

تعلمهم الكتابة. وقد ورد في بعض الروايات أن أول من بدأ الكتابة في مكة هاجر عليها السلام زوجة إبراهيم عليه السلام.[277]

إذاً، فإن مركز الحضارة العربية هو مكة المكرمة التي أسستها هاجر عليها السلام. كما أن هاجر عليها السلام هي التي علمت العرب الذين استقروا في الوادي الكتابة. وبالقلم يُحفظ العلم ويُنقل إلى الأجيال اللاحقة.

على صعيد تطور جسم الإنسان في رحم الأم، فإن نبضات قلب الأم هي، في الحقيقة، التي تعطي قلب الجنين الطاقة كي يبدأ العمل. كتب العالم والباحث الدكتور بول بيرسال (Paul Pearsall) في كتابه "شيفرة القلب – The Heart's Code" أن "طاقة قلب الأم التي تنقلها الأمواج الصوتية الأولى تحتوي معلومات هي الشيفرة التي تبعث الحياة فينا."[278] وعلى هذا المنوال ولكن على صعيد أكبر، فإن هاجر عليها السلام هي التي منحت شرارة البدء لعرب مكة بتعليمهم الكتابة وكانوا هم العرب الذين صاروا الأمة الإسلامية في القرون اللاحقة. وحقاً، تُعد هاجر عليها السلام "أم العرب"، وهي أكثر من مجرد أم عظيمة، فقد كانت أيضـاً معلمة عظيمة. ومن نسلها جاء قائد كل الأنبياء – النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي كان هو نفسه أيضـاً معلمـاً عظيمـاً.

---

277 جمعة، أحمد خليل. "أزواج الأنبياء". كراتشي، دار النشر. 1999م

278 Pearsall, Paul Ph.D. (1998). The Heart's Code. New York, Broadway Books.

بالفعل، إن في حياة هاجر عليها السلام مثال عظيم للمرأة المسلمة. لقد أنجبت وأنشأت حضارة كاملة. ولكن رغم ذلك، لم يكن همها الأكبر البحث عن سيرة حياة تهمل فيها الأسرة، بل كان هدفها الأسمى هو دورها كأم.

واليوم، يرفع أتباع الحركات النسوية المتطرفون شعارات فارغة وعبارات طنانة تهدف إلى سحب الأمهات المسلمات من منازلهن حتى لا يتركز اهتمامهن على تربية أولادهن تربية إسلامية. وتسعى حركات التحرر النسوية اليوم إلى تشجيع النساء على الانعتاق من "هموم" منازلهن ومسؤولياتهن تجاهها، لأن أتباع الحركات النسوية يعرفون أن حب الأم ورعايتها لأولادها ينشأ عنه أفضل الأشخاص وأمثلهم. وعلى هذا، قالت سيمون دو بوفوار (Simone de Beauvoir)، الكاتبة النسوية الفرنسية والناشطة المشهورة في حركة تحرير المرأة، في مقابلة مع مجلة نيويورك (New York magazine) في أيلول 1975:

"لا يمكن تحرير المرأة إلا حين تُدمر خرافة الأسرة – أسطورة الأمومة وغريزة الأمومة."

إن نجاح الشابات المسلمات اليوم يكمن في اتخاذ حياة هاجر مثالاً واتباعه، فقد كانت واحدة من أعظم النساء في التاريخ. وكانت رغبتها الوحيدة في آخر حياتها أن تكون عيناها تنظران إلى الكعبة، بيت الله، عندما يأتيها الموت.[279]

## مصعب بن عمير – قدوة الشبان المسلمين الأغنياء

إن في حياة مصعب بن عمير ﵁ قدوة أخرى للشباب المسلم. كان مصعب شاباً من شباب مكة وكان وسيماً طويل القامة ذا عينان زرقاوان، وكان والده تاجراً ثرياً من تجار مكة. فنشأ مصعب في بيئة مرفهة. كان يتناول أجود الطعام ويرتدي أغلى الثياب ويتعطر بأطيب العطور ويلبس أثمن الأحذية. وفوق كل ذلك، كان أكثر شباب مكة أناقة، وكان محط أنظار الجميع. وكان النبي محمد ﷺ كلما تحدث عنه قال: "ما رأيت بمكة أحداً أحسن لِمّةً ولا أرق حُلةً، ولا أنعم نعمةً من مصعب بن عمير". "وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه."

بالإضافة إلى الرفاه الذي كان فيه مصعب، فقد أنعم الله عليه بعقل بصير ولسان بليغ. وعندما أنزل القرآن على النبي ﷺ وبدأ يدعو الناس إلى الإسلام، كان مصعب ﵁ من السابقين الأوائل الذين استجابوا لدعوة الحق

---

279 جمعة، أحمد خليل. "أزواج الأنبياء". كراتشي، دار النشر. 1999م

وأسلموا. واستطاع مصعب أن يكتم إسلامه في البداية. لكن بسبب حبه لتعلم القرآن والسنة عن النبي ﷺ وتفرغه لعبادة الله، انكشف إسلامه لكفار مكة ووقع خبره كالصاعقة على أهله. وفجأة، انقلبت أمه وشيوخ عائلته الذين كانوا ما يزالون يحبونه كثيراً، ضده. فربطوه وحبسوه في زاوية من منزله حتى لا يزور النبي ﷺ. وعندما جاء الأمر بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، هاجر مصعب معهم أيضاً. لكن الهجرة الأولى إلى الحبشة لم تدم طويلاً، وعاد مصعب مع المسلين الذين عادوا. فحاولت أمه، تارة أخرى، أن تحبسه لكنها هذه المرة لم تستطع لفرط حبها له وشفقتها عليه.

لما رجع مصعب من الحبشة كان متغير الحال بائساً، وهو الذي اعتاد على ارتداء أغلي الثياب لم يكن يرتدي سوى ثوب من خرق بالية. ثم طلع وعاد إلى صحبة النبي محمد ﷺ ولم يكن عليه ما يغطي جسده إلا بردة مرقوعة هنا وهناك، فلما رآه الصحابة نكسوا رؤوسهم رهبة ورحمة له. وبعدها، كرس مصعب وقته كله في طلب العلم. فثابر على صحبة الرسول ﷺ يتعلم منه القرآن والحديث والحكمة النبوية، فصُقلت شخصيته وزاد علمه وشُحذت بلاغته. ويتضح ذلك من أن النبي ﷺ عندما طلب منه أهل المدينة أن يرسل لهم من يعلمهم الإسلام، اختار مصعب رضي الله عنه لهذه المهمة العظيمة ولينشر الدعوة في أول قاعدة للإسلام.

عندما وصل مصعب رضي الله عنه إلى المدينة، أبهر أسلوبه في الدعوة الكثير من أهلها ولامس شغاف قلوبهم فأسلموا. إلا أن ذلك أثار حفيظة كبار المدينة وزعمائها، فجاءه أحدهم، أسيد بن حضير، غاضباً يحمل حربته في يده وقال: "ما جاء بك إلينا تسفه ضعفاءنا، اعتزلنا إن كانت لك بنفسك حاجة." فقال مصعب في منتهى الهدوء وسعة الصدر :أو تجلس فتسمع؟! فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره." فقال أسيد بن حضير :أنصفت، وجلس وهو مستند على حربته. بدأ مصعب رضي الله عنه يتكلم عن الإسلام، وبدأ يقرأ القرآن، ووقعت كلمات الرحمن في قلب أسيد بن حضير رضي الله عنه فتغير وجهه تماماً، وذهب الغضب من وجهه، وأسلم. ثم جاءه زعيم آخر من زعماء المدينة، سعد بن معاذ رضي الله عنه. يمتاز غضباً لكن هو أيضاً استكان بما سمع من بلاغة مصعب. وفي فترة وجيزة، جاءه آخرون من أكابر القوم واستمعوا له وأسلموا. ومن خلال مواقف مصعب الإيجابية، وردوده الهادئة، وكلامه البليغ، انتشر الإسلام بسرعة في المدينة. ثم أنه نظم المسلمين فيها، وبإذن من النبي محمد ﷺ بدأ يقيم فيهم صلاة الجمعة. وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، كانت المدينة كلها تقريباً قد أسلمت، بفضل جهود الشاب المسلم المثالي الحثيثة – مصعب بن عمير رضي الله عنه.

كان مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثناء غزوة أحد حامل لواء المسلمين. وبعد أن تبين النصر للمسلمين في بداية المعركة، اندفع الرماة عن الجبل فأعطوا بذلك فرصة للكفار لتحويل نصر المسلمين إلى هزيمة. ولما جال المسلمون بقي مصعب في مكانه يحمل اللواء ثابتـاً كالصخر. فأقبل عليه أحد جنود العدو فضرب يده اليمنى ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾ (آل عمران: 144)، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾، ثم حمل عليه بالرمح فأنفذه. ففاضت روح هذا الشاب المسلم وفارقت جسده على أرض المعركة.[280]

بانتهاء موقعة أحد قُتل جمع من أصحاب رسول الله ﷺ من بينهم عم النبي حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لكن عندما رأى الصحابة جثمان مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انهمرت الدموع من أعينهم وتذكروا شبابه أيام مكة حين كان ينعم بأجود الطعام وأغلى الثياب والعطور والأحذية وتذكروا كل تضحياته بعد أن أسلم. روى الخباب بن الأرت حديثاً قال فيه:

---

280 الطبري، محمد بن جرير. "تاريخ الأمم والملوك"، كراتشي: دار نشر أكاديمية نفيس، سنة النشر: 1987م

**هَاجَرْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ نَبْتَغِي وجْهَ اللهِ، فَوَجَبَ أجْرُنَا علَى اللهِ، ومِنَّا مَن مَضَى -أوْ ذَهَبَ- لَمْ يَأْكُلْ مِن أجْرِهِ شيئًا، كانَ منهمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ؛ قُتِلَ يومَ أُحُدٍ، لَمْ يَتْرُكْ إلَّا نَمِرَةً، كُنَّا إذَا غَطَّيْنَا بهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وإذَا غُطِّيَ بهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقالَ لَنَا النَّبيُّ ﷺ غَطُّوا بهَا رَأْسَهُ، واجْعَلُوا علَى رِجْلِهِ الإذْخِرَ -أوْ قالَ: أَلْقُوا علَى رِجْلِهِ مِنَ الإذْخِرِ- ومِنَّا مَن قدْ أيْنَعَتْ له ثَمَرَتُهُ، فَهو يَهْدِبُهَا.** (صحيح البخاري)[281]

وقف النبي ﷺ عند مصعب بن عمير رضي الله عنه ينظر إليه في أسى وقال:

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ (سورة الأحزاب: 23)

ولما رأى أرض المعركة وعليها من قتل من أصحاب عمير، قال

رسول الله ﷺ :

أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ

281 الراوي: خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 3851

(الحاكم)[282]

وهكذا كانت نهاية شاب تربى على الترف والرخاء، وعندما تذوق حلاوة الإيمان وحب الله ورسوله ﷺ ضحى بكل وسائل الرفاهية التي كان ينعم بها في حياته. وعندما أسلم عانى معاناة شديدة ولقي الكثير من العذاب. وتلاشى جمال شخصيته وسحرها وحُرم من مال أبويه وعطفهما ورعايتهما. لكن فضائله وتقواه أكسباه رضى الله ورسوله ﷺ وهذا هو الفوز العظيم. إن حياة مصعب بن عمير رضي الله عنه هي حقًا نموذج وقدوة يحتذي بها كل شاب مسلم.

## جابر بن عبد الله – قدوة الشبان المسلمين الفقراء

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه هو نموذج آخر لشباب المسلمين اليوم. وُلِد جابر بن عبد الله الأنصاري في المدينة المنورة قبل الهجرة بخمسة عشر عامًا. وتوفي في سنة 78 هجرية (697 ميلادية) عن عمر يناهز 94 عامًا. كان ابن عائلة فقيرة من قبيلة الخزرج في يثرب. أسلم جابر رضي الله عنه

[282] الراوي: أبو هريرة، المحدث: الحاكم، المصدر: المستدرك على الصحيحين، الصفحة أو الرقم: 3018، خلاصة حكم المحدث: صحيح على شرط الشيخين

وهو صبي صغير، وأحب النبي ﷺ وكان دائمًا قريبًا منه. وحياته مثال بارز على التضحية من أجل الآخرين. كان جابر واحداً من الشباب حول رسول الله ﷺ ضحى جابر بسعادته من أجل سعادة شقيقاته السبع. ورغم فقره وبدلاً من أن يمضي وقته في كسب المال، حاول دائمًا أن يكون في صحبة النبي ﷺ حتى يتمكن من تعلم القرآن والسنة منه. شارك في 19 غزوة (بما فيها بدر) تحت قيادة النبي ﷺ وشارك في فتح مكة. أمضى عشر سنوات في صحبة النبي ﷺ ثم صار واحداً من أكبر علماء الصحابة. كان واحداً من فقهاء الصحابة في المدينة ممن يفتون وكان كل من فيها يثق بفتاويه.

حاز جابر بن عبد الله رضي الله عنه شرف كونه ابن رجل كلمه الله مباشرة بدون حجاب. والده، عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه، من نقباء الخزرج في المدينة، أسلم في بيعة العقبة الثانية، قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. وكان لعبد الله بن عمرو أسرة كبيرة - ابن واحد (جابر) وسبع بنات. فلم يسمح لجابر أن يشارك في الجهاد في غزوة أحد. فقد كان لجابر سبع شقيقات (ويقول بعض المؤرخين تسع) وأراد عبد الله منه أن يرعى أهله.

ولذلك كان جابر يخدم الجنود الثلاثين عوضـًا عن القتال. وكان عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أول شهيد في غزوة أحد، فانفطر قلب جابر رضي الله عنه لمفارقة أبيه.

وروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: "**يا جابر، مالي أراك منكسراً؟**" قلتُ: يا رسول الله استشهد أبي وترك عِيالاً ودَيْنـًا، قال:

**يا جابرُ ألا أخبرُكَ بما قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لأبيكَ؟ قلت: بلَى قالَ ما كلَّمَ اللهُ أحداً إلَّا من وراءِ حجابٍ إلَّا أَباكَ. كَلَّمَ اللهُ أباكَ كفاحـًا، فَقَالَ: يا عَبْدَ الله، تمنَّ عليَّ أُعْطِكَ. فقالَ يا ربِّ تَرُدُّني فأُقتَلُ فيكَ ثانيةً. فقالَ: سَبَقَ منِّي القَوْلُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرجَعُونَ. فقالَ يا ربِّ فأبلِغْ مَنْ ورائي. فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذِهِ الآيةَ: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.** (سورة آل عمران: 169)

(الترمذي، ابن ماجة)[283]

---

[283] الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: ابن خزيمة، المصدر: التوحيد لابن خزيمة، الصفحة أو الرقم: 890/ 2، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج : أخرجه الترمذي (3010)، وابن ماجه (190)

طلب النبي ﷺ من صحابته أن يساعدوا جابر رضي الله عنه كي يسدد دينه، فساعده كل منهم بما يستطيع، فتمكن جابر أن يسدد دين أبيه. ومع أن جابر رضي الله عنه كان فقيراً فقد كان دائماً يتصدق بقليل مما لديه من طعام. وفي معركة الخندق، كان النبي ﷺ يربط حجرين على معدته كي لا يشعر بالجوع، فدعاه جابر إلى منزله ودعا معه بعض الصحابة. فدعا الرسول ﷺ لعائلة جابر. لذلك بارك الله له في بيته.

وبعد أن تزوج جابر رضي الله عنه، ذهب ذات يوم لزيارة النبي ﷺ وكانت تفوح من ملابسه رائحة العطر، فسأله النبي ﷺ " تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟" فأجاب جابر بالإيجاب. وهو يروي هذه الواقعة في الحديث الآتي:

**وقدْ كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ لي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ: هلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أمْ ثَيِّبًا؟ فَقُلتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا. فَقالَ: هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ؟ قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، تُوُفِّيَ والِدِي -أوِ اسْتُشْهِدَ- ولِي أخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فلا تُؤَدِّبُهُنَّ، ولَا تَقُومُ عليهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لِتَقُومَ عليهِنَّ وتُؤَدِّبَهُنَّ.**

(صحيح بخاري)[284]

إذاً، ضحى جابر ﵁ بمباهجه وسعادته من أجل أخواته السبع اللواتي كن يحتجن إلى امرأة ناضجة ترعاهن، وعاش حياة سعيدة مع زوجته وأخواته. وكان مولعاً بحفظ الأحاديث، وهو أحد الصحابة الستة الذين رووا أكثر الأحاديث فقد روى حوالي 1540 حديثاً موصولاً عن الرسول ﷺ وحبه لتعلم الحديث لم يتوقف بوفاة النبي ﷺ فعندما توسعت الدولة الإسلامية وخرج الصحابة من المدينة وأقاموا في بلدان بعيدة، كان يشد الرحال إلى مسافات طويلة من أجل حديث يعرفه أحدهم. يروي الإمام البخاري في كتابه "التاريخ الأوسط" أن جابر بن عبد الله بلغه أن عبد الله بن أُنَيْس يعرف حديثاً عن القصاص وكان عبد الله بن أنيس مقيماً في الشام حينذاك. ولكي يسمع الحديث منه مباشرة سافر مسيرة شهر كامل وطرق بابه وقال: "جابر على الباب." فأجاب ابن أنيس من داخل الدار: "ابن عبد الله بن عمرو؟ قال جابر: "نعم." فخرج عبد الله بن أنيس واعتنقه. فقال له جابر: "حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن

---

284 الراوي: جابر بن عبدالله، التخريج: أخرجه البخاري (2967)، ومسلم (715)

أسمعه." فحفظ منه الحديث ثم عاد إلى المدينة. لم يبق جابر في الشام بعد سماع الحديث لأنه لم يرد أن يفسد نيته لأي سبب آخر.[285]

إن حياة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه مثال عظيم لشبان وشابات الإسلام، فقد كرس جابر جهوده من أجل نشر رسالة الإسلام، وعلى شبابنا المسلم أن يحذوا حذو جابر في التضحية بالمسرات والملذات والمال قدر استطاعتهم في طلب علوم الإسلام ورعاية اليتامى من أقربائهم ونشر الدعوة ومساعدة المظلومين من إخوانهم وأخواتهم من الأمة الإسلامية.

---

285 البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (المتوفى 256 هجري) كتاب التاريخ الأوسط. بيروت، دار الكتب العلمية. سنة النشر 2004م

# الفصل الثامن

# الخاتمة:

# احياء الإسلام في الشباب المسلم

رغم كل حركات الحداثة والعلمنة في الدول الإسلامية ورغم الجهود الحثيثة التي تبذلها وسائل الإعلام العالمية لتشويه صورة الإسلام على معظم الأقنية الإخبارية، فإننا نشهد انتعاشاً وعودة للإسلام في حياة المسلمين. ومما يثير الاهتمام، أن هذا الانتعاش الكبير لم يحققه جيل كبار السن من المسلمين بل الشباب المسلم، وإننا لنشهد ظاهرة إحيائه بين الشباب في جميع أنحاء العالم.

ونلاحظ اليوم أن الجماعات الإسلامية في معظم الدول الإسلامية (العربية

وغير العربية)، تتكون في الغالب على سبيل المثال لا الحصر من الطلاب والعمال والمحامين والأطباء الشباب. ونرى إصرار عدد لا يحصى من الشابات اللواتي تربين على أيدي أمهات مسلمات معجبات بالحضارة الغربية على ارتداء الحجاب رغم معارضة آبائهن العلمانيين في بعض الأحيان.

ونرى نفس ظاهرة الانتعاش والإحياء هذه لدى شباب المسلمين في مجموعات تتشكل لأداء العمرة والحج. قبل بضعة عقود، كان معظم المسلمين الذين يذهبون لأداء الحج أو العمرة هم كبار السن الذين يرغبون في أداء هذه الفريضة قبل وفاتهم. لكن الوضع تغير الآن إذ يشكل غالبية الحجاج أو المعتمرين شبان وشابات في الثلاثينات من العمر، رغم أن مرحلة الشباب هي فترة ينجذب فيها الناس إلى كثير من المغريات الدنيوية.[286]

لا تقتصر هذه الصحوة في إحياء الإسلام بين شباب المسلمين على الحج والعمرة، بل يمكن ملاحظتها داخل مجتمعات الدول الإسلامية. فعلى سبيل المثال، لاحظت عالمة الاجتماع في جامعة ولاية ميشيغان فلورنس إي. مكارثي (Florence E. McCarthy) أن ارتداء البرقع (الحجاب والنقاب)

---

[286] Badri, Malik (1997). The AIDS Crisis: An Islamic Socio-cultural Perspective. Kuala Lumpur, The International Institute of Islamic Thought and Civilization.

أصبح شائعاً بين الشابات في قرى بنجلاديش رغم أن من كن يرتدينه قبل خمسين عاماً فقط هن نساء الطبقة العليا في المدن.[287]

وكذلك، درس عالما الاجتماع أختار سلوكوم وساهي سلوكوم (Slocum, Akhtar and Sahi) ستة نماذج من القرى في ولاية البنجاب (باكستان) مؤخراً، ولاحظا انتشار البُردة (الحجاب) بين نساء جميع الطبقات الاجتماعية لأن ارتداء البردة أصبح "رمز الهيبة والموضة في القرى البنجابية".[288]

كذلك ذكرت وكالة رويترز الإخبارية، في أعقاب الصحوة الإسلامية المعاصرة في مصر، أن النقاب أصبح أكثر انتشاراً بين شابات اليوم في مصر:

"يقول المحللون إن غطاء الرأس، أو الحجاب، كان يُعد مؤشراً

على الوضع الاجتماعي وكان شائعاً بين الطبقات ذات الدخل

المتدني (قبل 30 عاماً). ونادراً ما كانت نساء الطبقات العليا

والوسطى يتحجبن في سن مبكرة، واللواتي كن يتحجبن كن عادةً

---

[287] McCarthy, F. E. (1967). Bengali Village Women: Mediators between Tradition and Development. (unpublished M.A. thesis) East Lansing, Michigan State University, Department of Sociology.

[288] Slocum, W. L., Akhtar, Jamila and Fatima Sahi, Abrar (1960). Village Life in Lahore District: A Study of Selected Sociological Aspects. Lahore: Social Sciences Research Centre, University of Punjab. p.23

يتبعن تفسيرات عصرية للحجاب. ولم يكن النقاب شائعًا في ذلك الوقت.

لكن النقاب أصبح أكثر انتشاراً. وأصبح من الشائع مشاهدة نساء يرتدين الجلباب الأسود الفضفاض يتجولن في مراكز التسوق الفخمة في مصر وفي فنادق الخمس نجوم، بالإضافة إلى الأحياء الفقيرة."[289]

مما فاجأ علماء السياسة الغربيين هو أن هذا التزايد في الالتزام بالدين في المجتمعات الإسلامية لا يحصل بين كبار السن أو المحافظين، بل بين الشباب من طلبة الجامعات الذين يسعون غالبًا للحصول على درجات في الطب أو الهندسة أو العلوم. وعلى سبيل المثال، درست عالمة السياسة في جامعة إموري (Emory University) في جورجيا في أتلانتا، كاري ويكهام (Carrie Wickham) الصحوة لإحياء الإسلام في مصر وأكدت في كتابها "تعبئة الإسلام – Mobilizing Islam" أن "الناشط الإسلامي النموذجي ليس

[289] Karouny, Mariam (Nov. 2nd, 2009) Reuters (http://www.reuters.com/article/2009/11/02/us-egypt-niqab-idUSTRE59U17V20091102) Retrieved on: Sept 6, 2011.

فلاحـًا أو عاملاً أميـًا، بل طالب جامعي شاب واعد أو مهني غالبـًا ما يكون حاصلاً على درجة علمية أو فنية."[290]

ونشاهد في تركيا نفس النموذج المصري، أي رجوع طلبة الجامعات إلى الإسلام. في إحدى الدراسات التي نُشرت في العدد الصادر عام 1996 من مجلة علم الاجتماع البريطانية (British Journal of Sociology)، درس الدكتور كايهان متلو (Dr. Kayhan Mutlu) الإيمان بالدين والالتزام به بين طلاب الجامعات في أنقرة (تركيا). أجرى استطلاعات رأي في جامعة أنقرة في عام 1978، ثم أجراها مرة أخرى في عام 1991. فوجد أن الطلاب الأتراك الذين أدلوا بآرائهم في عام 1991 أظهروا دلائل على التمسك والالتزام بالإسلام أكثر بكثير من الذين شاركوا في استطلاعات عام 1978. فالطلاب الأتراك في العصر الحديث يشعرون بفخر أكبر بتعبيرهم عن الإيمان بالله، والإيمان بوجود الجنة والنار، والإيمان بيوم القيامة والإيمان بأن القرآن كتاب منزل. وهذا يُعد تحولاً ملحوظـًا يحصل بين الشباب المتعلم في الدولة العلمانية التركية.[291]

[290] Wickham, Carrie Rosefsky. (2002) Mobilizing Islam: Religion, Activism and Social Change in Egypt. New York, Columbia University Press.

[291] Mutlu, Kayhan (1996) ‘Examining religious beliefs among university students in Ankara’. *British Journal of Sociology.* **47**(2), 353–359.

لاحظ كريستيان جي. كيم (Christian G. Kiem) نفس التوجه في دراسة اجتماعية أجراها على شباب وشابات في مالوكو الشمالية من جزر الملوك في إندونيسيا. ركز كيم في دراسته على تأثير عاملين متصارعين، لكنهما مختلفان تماماً – التغريب والإصلاح الإسلامي، على شباب مدينة تيرناتي (Ternate) ذات الأغلبية المسلمة. فلاحظ أن عملية إحياء الإسلام لا تقتصر على جاوة وإنما لها تأثيرها أيضاً على الشباب المسلم في الجزر الإندونيسية النائية. ويقول في دراسته التي نُشرت في عدد شباط 1993 من مجلة القضايا الاجتماعية في جنوب شرق آسيا ( Journal of Social Issues in Southeast Asia)، "إن إحياء الدين مؤخراً في عدة دول إسلامية ينتشر على وجه الخصوص بين شباب يرون أن الإسلام الحنيف يجذبهم كنظام أيديولوجي منظم بدقة ويمكن أن يكون بمثابة آلية دفاع ضد الحداثة الغربية الجامحة." وعلاوة على ذلك، يوضح عالم النفس كيم أيضاً أن إحياء الإسلام بين الشباب المسلم ليس مجرد رد فعل على الحداثة الغربية لكنه أيضاً يوفر النقاء للفرد:

> "علاوة على ذلك، يجب أن نفهم أن إحياء الإسلام ليس مجرد رد فعل على تحديث المفاهيم الثقافية ولكنه أيضاً تطور داخل الإسلام يهدف إلى تطهير الحياة الدينية من المعتقدات والممارسات ما قبل الإسلامية. وبالتالي، فإن ظهور

"الأصوليين المسلمين" الشبان قد ساهم في ظهور انقسام إصلاحي-أصولي داخل الإسلام في مالوكو الشمالية."[292]

وأجرى عالم السياسة محمد ك. شديد دراسة استقصائية اجتماعية على المسلمين في الضفة الغربية وغزة في عام 1988. فلاحظ تزايداً في إقامة الصلوات الخمس اليومية وصوم رمضان وتلاوة القرآن ودراسة العلوم الدينية بين مسلمي هذه المنطقة ما بين عامي 1978 و1984، وأن هذه الزيادة كانت بين الشباب الجامعيين. فعلى سبيل المثال، كانت نسبة 14.7٪ منهم مجموعة في سن ما بين 25 و 30 عاماً قالوا أنهم يؤدون الصلوات اليومية الخمس مقارنة بنسبة أقل بكثير من نفس المجموعة في عام 1978. وكذلك أفاد ما نسبته 11٪ من شباب الجامعات بزيادة وتيرة أداء الصلوات في حين أن هذه النسبة كانت 5.1٪ فقط بين الأميّين.[293]

إن هذه الموجة من الصحوة الإسلامية لم تلاحظ بين الشباب المسلم في الدول الإسلامية فحسب، بل كما بينا سابقاً في الدول غير الإسلامية أيضاً. فقد تبين في إحصائية إسلامية أميركية أجرتها مؤسسة زغبي الدولية للمسلمين

---

[292] Kiem, Christian G. (Feb. 1993) “Re-Islamization among Muslim Youth in Ternate Town, Eastern Indonesia” *Journal of Social Issues in Southeast Asia.* Vol. 8, Issue 1, p 92.

[293] Shadid, Mohammad K. (1988) “The Muslim Brotherhood movement in the West Bank and Gaza”. *Third World Quarterly*. vol. 10, issue 2, 658–682.

في الساحة الأمريكية العامة ( Zogby International for Muslims in the American Public Square) أن أكثر من ثلثي المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية يقيمون الصلوات اليومية وأن هذه النسبة هي أعلى بين النساء وتتزايد بشكل ملحوظ بين الشباب.(294)

وفي نفس السياق، لاحظ لويس وجيليانت راي (Lewis, Gilliat-Ray) وجود أدلة على زيادة التدين بين شبان وشابات الإسلام البريطانيين في دراساتهما على المجتمعات البشرية في بريطانيا.(295) (296)

وفي تقرير المؤتمر الذي نظمه مركز جامعة نيويورك للحوار: العالم الإسلامي – الولايات المتحدة – الغرب في ندوة سالزبورغ العالمية (النمسا)، ورد عن المسلمين في فرنسا استناداً إلى البيانات الحديثة أن:

"الالتزام بالإسلام، وبمقاييس مختلفة، يتزايد بين الأجيال الشابة المولودة في فرنسا. وبالمقارنة مع عقد مضى، يتفق عدد أكبر من المسلمين في الفئات العمرية من 20 إلى 29 عاماً على أن الدين "أكثر أهمية" في حياتهم، ويختار عدد أقل بكثير "عدم

---

294 American Muslim Poll 2004 conducted by Zogby International for Muslims in the American Public Square (Project MAPS), pp. 46, online at http://www.projectmaps.com/AMP2004report.pdf

295 Lewis, Philip (2007) Young, British and Muslim. London, Continuum International Publishing.

296 Gilliat-Ray, Sophie (2010) Muslims in Britain: an Introduction Cambridge, Cambridge University Press.

التدين". وبالإضافة إلى ذلك، صرح الشباب الذين كانوا أقل تديناً في السابق أنه، مع تقدمهم في السن، أصبحوا أكثر التزاماً. وأخيرا، أعلنت الشابات بصراحة أكبر عن هذا النوع من الالتزام الديني".[297]

يدعي علماء الاجتماع الغربيون أن التوجه المتزايد لارتداء الملابس المحتشمة (الحجاب) بين الفتيات المسلمات في الغرب يمكن أن يكون مؤشراً إما على "إحياء ديني" أو على "تأكيد الهوية" خاصة وأنه يظهر في الأماكن العامة، خارج حدود المساجد.[298]

شرح المستشرق المؤرخ الأمريكي جون ل. إسبوزيتو ( John L. Esposito) ظاهرة الصحوة هذه بإيجاز في كتابه "الإسلام: الصراط المستقيم – Islam – The Straight Path"، فكتب:

"لقد تحدى تاريخ الإسلام الحديث العديد من الافتراضات والتوقعات المسبقة. كانت الحكمة السائدة هي أن الحداثة تتطلب فصل الدين عن الحياة العامة، حيث أصبح تحديث

---

297 “Muslim Youth and Women in the West: Source of Concern or Source of Hope?” (2007) New York University, Conference Report held in Salzburg, Austria (May 15-17, 2007).

298 Hashmi, Nadia (2003) “Race, Gender and Difference: Western Europe,” in Suad Joseph, ed., Encyclopedia of Women and Islamic Cultures, vol. 2. Leiden: Brill Publishers.

المجتمعات مع الزمن وبشكل لا مفر منه علمانيًا. وكان ينظر إلى عملية التحديث ذاتها، التي تشمل تأثير العقل والعلوم والتكنولوجيا، على أنها تشجع وتعزز هذه العلمنة ... والصحوة الإسلامية ... واجهت ونقضت منظور التطور الموحد هذا حول التغيير التاريخي والتطور. وكانت الصحوة أكثر وضوحًا في البلدان التي كانت فيها الحداثة قوية. وعلاوة على ذلك، غالبًا ما استُخدمت التكنولوجيا والتعليم الحديث لتعزيز الإيمان والمعتقدات بدلا من تقويضها".[299]

وخلاصة القول، يشير كل هذا وبقوة إلى أن عدداً لا يستهان به من شباب الإسلام يتوجهون وبازدياد إلى الرجوع إلى الدين. وهذا التمسك المتزايد بالإسلام الذي نلاحظه عند شبابنا ما هو إلا علامة على وعد من الله وعدنا به في القرآن الكريم:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾ (سورة الصف: 8)

[299] Esposito, John L. (1988). Islam – The Straight Path. New York, Oxford University Press.